أبو يعقوب نشأت المصري

بيوت يحبها الله ﷻ ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة

مكتبة العلوم والحكم
مصر

مكتبة عباد الرحمن
مصر

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
(١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م)

ربنا
آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار

الناشر

مكتبة عباد الرحمن/ مصر
مكتبة العلوم والحكم/ مصر

بيوت
يحبها الله ورسوله
وتدخلها الملائكة

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

وبعد، فإن الله عز وجل قد بيّن في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ سُبل النجاة في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وذلك لعلمه تعالى بأن عباده في هذه الحياة تحوط بهم الفتن والشبهات التي زينها الشيطان وأعوانه.

ولما أمر الله تعالى بعبادته وحده لا شريك له وباتباع رسوله ﷺ بيّن لنا طرق العبادة وضوابطها، وأنه تعالى لا يقبلها إلا بشرطين اثنين:

الأول: أن تكون خالصة لوجهه الكريم.

والثاني: أن تكون على سنة رسوله ﷺ.

ومن عبادته سبحانه وتعالى: معرفة ما يحبه ويحبه رسوله ﷺ، فالمحبة صفة من صفات الله عز وجل، يؤمن بها أهل السنة، من غير تحريف لمعناها، فلا نقول كما يقول الأشاعرة في تفسير صفة المحبة: إنها إرادة الخير بالعبد! بل نقول: إن المحبة صفة حقيقية ثابتة لله عز وجل على الحقيقة.

وكذلك ما يحبه رسول الله ﷺ هو مما يحبه الله، فكل ما ثبت في السنة أن النبي ﷺ يحبه فإن الله عز وجل يحبه.

وأفراد هذه المحبة كثيرة، فالله عز وجل يحب الحق والعدل والبر والإحسان والإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وبر الوالدين وغير ذلك.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا يتناول طرفًا من أطراف هذه المحبة، أو فردًا من أفرادها، وهو ما يتعلق ببيوتنا، وكيف تكون بيوتًا فاضلة يحبها الله ورسوله ﷺ، وتدخلها الملائكة؟

وهذه البيوت لما كانت أساس المجتمع المسلم، وأساس بنائه، باعتبارها اللبنة الأولى في المجتمع، فقد حظيت بعناية الله ورسوله ﷺ في كثير من أحكام الكتاب والسنة.

وهذا الكتاب أحاول فيه بيان صفات هذه البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة، لعل الله عز وجل يصلح بيوتنا.

وقد رتبته على مقدمة وأبواب، فالمقدمة تناولت فيها الصورة العامة للبيت المسلم من حيث البناء المعنوي والخُلُقي، وكيف يُبنى على تقوى الله ورضوانه، وفي خلال ذلك صورة مشرقة من بيت النبوة، ثم نماذج من بيوت الصحابة رضي الله عنهم.

وأما أبواب الكتاب الرئيسة فهي:

١ ـ صفات البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة، وأول ذلك الاهتمام بعقيدة التوحيد، والعلم النافع، والعمل بالكتاب والسنة، والقيام بالعبادات المختلفة من صلاة وصيام وذِكر وتلاوة للقرآن واستغفار وشكر وحمد وصبر... إلخ.

٢ ـ بيوت قائمة على مكارم الأخلاق.

٣ ـ بيوت قائمة على الآداب الإسلامية الشرعية.

٤ ـ بيوت قائمة على الحقوق الشرعية.

وأسأل الله أن يتقبل ما كتبته بقبول حسن، وأن ينفع به المسلمين، بفضله وكرمه.

وكتب

أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري

القاهرة في ٢٠ ذي الحجة ١٤٢٦

صورة عامة
للبيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ

إن البيت المسلم هو ذلك المجتمع الصغير، أو الأسرة الواحدة التي تربط بينها أواصر القرابة النسبية والدينية والاجتماعية، فتبدو متماسكة البنيان، متجانسة الأخلاق والسلوك، متوهجة الأفئدة بنور الإيمان، وآداب الدين.

إن البيت المسلم هو الذي يُعنى بتكوين أسرة ملتحمة بالأخلاق الكريمة التي تسمو بالنفس البشرية، وتصونها عن التردي في أوحال الهوى وظلمات الشرك والمعاصي والآثام؛ وذلك حينما تسير على شرع الله في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات.

والبيت المسلم هو القاعدة الكبرى لتطبيق المنهج الرباني، والمحافظة على حقوق الآخرين جميعًا، وهو الذي يدفع أفراده إلى صيانة حقوق المجتمع ورعاية الحرمات.

ونحن في هذا المؤلَّف لا نُعنى بالبيت ذاته إلا من ناحية تنزهه عن محرمات اللهو والمتاع، أما البناء ذاته فإنه لا يقدم ولا يؤخر في ميدان الفضائل، وها هم الكفار قد بلغوا القمة في عمارة الأرض المادية، إلا أنهم عُطّل من القيم والأخلاق العليا، فلم تزد حياتهم إلا انحلالًا وخللًا وانحدارًا، لأنهم افتقدوا العنصر الإيماني والأخلاقي الذي تسمو به الحياة وتحلو، وبه يشتد التماسك الأسري.

وأولئكم الصحابة الكرام الجيل المثالي رضي الله تعالى عنهم، كانوا أقل الناس حظًّا من الدنيا، إلا أنهم تمتعوا بأعلى درجات السمو الأخلاقي،

فحملوا مشعل الهداية للبشرية جمعاء، ولم يقعدهم نقصان الجانب المادي عن ارتياد المجد الحقيقي، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، بل قبضوا على مفاتيح الاستخلاف في الأرض حين وفوا بمتطلباته.

والبيت المسلم متميز في خصائصه، سام في أهدافه، متميز في عاداته وتقاليده، فهو يستمد تعاليمه من شرع الله تعالى.

وإعداد البيت المسلم أو تكوين الأسرة المسلمة لا يتم بطريقة عشوائية، ولكن يستند إلى أسس وقواعد وصفات وخصائص، لأنه يستقبل مواليد يحتضنهم ويقوم على تربيتهم وتنشئتهم، فلابد أن يكون كفؤًا لهذه المهمة، لذلك وضع صفات للزوجة والزوج.

تتكون الأمة الإسلامية من مجتمع إسلامي كبير، وهذا المجتمع ما هو إلا مجموعة أسر وبيوت إن صلحت صلح المجتمع كله، وإن كانت هناك أسرة واحدة مريضة سرى المرض إلى بقية البناء، فالمسلمون كالجسد الواحد.

إن البيت هو اللبنة الأولى للمجتمع، وبقدر ما فيه من تماسك ووعي وفهم لكل المراحل التي يجتازها المجتمع الإسلامي، بقدر تمسك البيت بقيمه وأخلاقه الإسلامية.

وما تتقدم أمة من الأمم إلا بسبب صلاح بيوتها وأسرها.

إن البيت هو الدولة الصغيرة، والخلية الأولى للمجتمع الكبير، لذلك حث الإسلام على نشر الإحسان بين أفراده خاصة الوالدين.

وقد أوضح الإسلام ما يكفل للأسرة الحياة الراضية، وينشر بين أفرادها روابط المودة والرحمة، ويوثق الصلة بينهم، ويشيع فيهم خلال الخير.

إن صورة البيت المسلم المشرقة بأنفاس التقوى واستقامة الجوارح،• هي أصل يرنو إليه كل مسلم ومسلمة يبغيان وجه الله تعالى، وهذه الصورة المشرقة

الحقيقية لكل بيت مسلم ملتزم بدين الله، ومستقيم على شرع الله، قد غابت عن أكثر بيوتنا ولا شك، وسيطرة صورة المادة تارة، والشهوات تارة أخرى، وهامت هذه البيوت على وجهها حتى انحرفت عن الصراط المستقيم وابتعدت عنه.

فنجد كثيرًا من البيوت أصبحت مأوى ومسكنًا ومبيتًا ومستقرًا للشياطين، وأصبح طعامها وشرابها وملبسها، مطعم وملبس ومشرب الشياطين، وذلك لبعدها عن التحصينات الشرعية ضد الشياطين وبعدها عن الإيمان والعقيدة الصحيحة، وإعلائها ورفعها لكلام الشيطان ـ الغناء ـ وبعدها عن قرآن الرحمن، قراءة وسماعًا وحفظًا وعملًا وتدبرًا، وفهمًا وتعلمًا وتعليمًا وتخلقًا وأدبًا.

لذلك فأنا أحاول في هذا الكتاب: أن أقدم بين يدي القارئ صورة صادقة للبيوت التي تدخلها الملائكة ويحبها الله ورسوله ﷺ، تلكم البيوت التي تقوم على دعائم العلم والإيمان والتوحيد والعبادة والأخلاق والآداب الخالية من مضار الجهل وظلمة الكفر والشرك، المليئة بأنوار الأذكار، الخالية من مزاحمة الأغيار، شعارها الطهر، ودثارها الصفاء، أهلها أهل الله، وعامروها دعاةٌ هداةٌ إلى الله.

فهذه البيوت تعلم علم اليقين أن الإيمان هو أصل الفلاح والسعادة والأمن والطمأنينة، والحياة الطيبة في الدنيا:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأنعام: ٨٢.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ الرعد:٢٨.

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ النحل: ٩٧.

وأنه أصل الهدى والفلاح في الدنيا والآخرة:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة: ٥.

وأنه سبب النعيم المقيم والفوز:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ النساء: ١٣.

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ التوبة: ٧٢.

وقال تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ التوبة: ٨٨ ـ ٨٩.

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ التوبة: ١٠٠.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ التوبة: ١١٠ـ١١١.

وقال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ يونس: ٦٢ـ٦٤.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٥٤﴾ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ الدخان: ٥١ـ٥٧.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ الجاثية: ٣٠.

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۖ بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ الحديد: ١٢.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ الصف: ١٠ـ١٢.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ التغابن: ٩.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ البروج: ١١.

وهو أصل النصر والتمكين والخلافة في الأرض كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ النور: ٥٥.

❁❁❁

تأسيس البيت
على تقوى الله ورضوانه

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ التوبة:١٠٩-١١٠.

والمعنى: أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ﴾ أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها وأقلها بقاء، وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل ﴿شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ في قلة الثبات والاستمساك.

﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ فطاح به الباطل في نار جهنم.

و«الشَّفَا» الحرف والشفير، وحرف الوادي جانبه الذي يتحفر أصله بالماء، وتجرفه السيول فيبقى واهيًا، والهار والهائر وهو المتصدع الذي أشفى على التهدم والسقوط.

وقوله: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ دليل على استحباب الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة من أول بنائها على عبادة الله وحده لا شريك له، وعلى استحباب الصلاة مع جماعة الصالحين، والعباد العالمين، المحافظين على إسباغ الوضوء، والتنزه عن ملابسة القاذورات.

قال أبو العالية في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾: إن الطهور بالماء الحسن، ولكنهم المطهرون من الذنوب.

وقال الأعمش: التوبة من الذنب، والتطهير من الشرك.

وفي هذه الآية دليل على أن كل شيء ابتدئ بنية تقوى الله تعالى والقصد لوجهه الكريم فهو الذي يبقى، ويسعد به صاحبه، ويصعد إلى الله عمله، ويرفع إليه.

وفي هذه الآية الكريمة دلالة على أن من أَصَّل وأقام وأسس بيته على قاعدة إيمانية قوية محكمة، وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه، فهو الذي يبقى ويسعد به صاحبه، وهو أفضل وخير ممن أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وأقلها بقاء، وهي الباطل والنفاق والمعاصي، فهذا مثله مثل: جرف أو جانب واد تحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيًا، فيسقط ويتصدع، فهو قليل الثبات والاستمساك.

فمن أسس بيته على الإيمان والتقوى والعبادة الصحيحة وكان خاليًا من المنكرات والمعاصي ومقتديًا فيه برسول الله ﷺ في مأكله ومشربه وملبسه ونومه ويقظته وفي كل شيء، فهذا خير وأفضل ممن أسسه على البدع والمنكرات والمعاصي والنفاق والشرك والكفر.

فالبيت الذي أُسّس على تقوى من الله ورضوان من أول يوم: بيتٌ يحبه الله ورسوله وتدخله الملائكة.

فالبيت الذي أُسِّس على تقوى من الله ورضوان من أول يوم هو أساس صلاح المجتمع المسلم.

والبيت الذي أُسِّس على تقوى من الله ورضوان من أول يوم هو البيت الذي تَسْعَدُ به الأمة الإسلامية.

وتأسيس البيت على تقوى الله ورضوانه من أول يوم يعني أن يكون هذا التأسيس على شرع الله عز وجل ولوجه الله عز وجل.

فهذا هو أساس بناء البيت المسلم، هذا البيت الذي يحبه الله ورسوله ﷺ.

وحتى يكون البيت المسلم قائمًا على شرع الله عز وجل ينبغي أن يكون صاحبه على بصيرة بشرع الله، ينبغي أن يكون بصيرًا بما يحبه الله ورسوله، بصيرًا بما يبغضه الله ورسوله، وهذه البصيرة أساسها العلم النافع النابع من الكتاب والسنة.

وأول ذلك أن يقوم البيت على توحيد الله عز وجل، وإقامة العبودية لله عز وجل، وإعلاء كلمة الله عز وجل، والعمل بسنة رسول الله ﷺ.

وأن يكون المرء المسلم في ذلك كله مخلصًا لله رب العالمين كما أمر الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام:١٦٢.

ففي هذه الآية يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له وهذا كقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ الكوثر:٢ أي أخلص له صلاتك وذبحك فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى.

قال مجاهد في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ النسك: الذبح في الحج والعمرة.

وقال الثوري عن السدي عن سعيد بن جبير: ﴿وَنُسُكِي﴾ قال: ذبحي، وكذا قال السدي والضحاك.

وعن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله قال: ضحى رسول الله ﷺ في يوم عيد النحر بكبشين وقال حين ذبحهما: «**وجهت وجهي للذي فطر السموات**

والأرض حنيفًا، وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين»[١].

وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ كقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ الأنبياء:٢٥ ولهذا قال: ﴿حُنَفَآءَ﴾ أي متحنفين عن الشرك إلى التوحيد كقوله: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ النحل:٣٦.

والبيت الذي يحبه الله ورسوله ﷺ بيت مؤسس على وصايا الله ووصايا رسوله ﷺ.

فالله عز وجل وصَّى بالتقوى فقال: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا﴾ النساء:١٣١.

وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ البقرة:٢٢١.

وقال عز وجل: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ النور:٣٢.

---

(١) رواه ابن ماجه (٣١٢١) وهو حديث ضعيف.

وقال عز وجل: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ النور:٣.

فهذه وصايا الله عز وجل التي أمر بحفظها والتي يحبها ويرضاها، ويرضى عمن قام بها والتزم بها وحافظ عليها، فأولئك لهم البشرى الطيبة بكل خير.

قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ الزمر: ١٧-١٨.

وأما وصايا رسول الله ﷺ الذي وصها للأمة في إقامة بيوتهم حتى تكون بيوتًا طيبة مباركة، فهي وصايا عديدة:

منها قوله ﷺ: «**من استطاع الباءة، فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**»[1].

ومن هذه الوصايا قوله ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك**»[2].

❋❋❋

(١) رواه البخاري (١٩٠٥ - ٥٠٦٥ - ٥٠٦٦) ومسلم (١/ ١٤٠٠) من حديث علقمة بن قيس الليثي رحمه الله قال: قال بينا أنا أمشي مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال: كنا مع النبي ﷺ فقال.. فذكره.

(٢) رواه البخاري (٥٠٩٠) ومسلم (٣٧/ ١٤٠٨).

أعمال وأقوال
تبنى بها بيوت في الجنة

وأما البيوت في الجنة عند الله عز وجل فلها شأن آخر، وقد بيّن لنا رسول الله ﷺ أن تلك البيوت التي عند الله عز وجل تبنى بالإيمان والعمل الصالح، وجاء في ذلك عدة أحاديث:

١ - عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع؛ فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسموه بيت الحمد»**[(١)].

٢ـ عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«ما من عبد مسلم توضأ فأسبغ الوضوء، ثم صلى لله في كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا من غير الفريضة، إلا بنى الله له بيتًا في الجنة»**[(٢)].

٣ـ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنة»**[(٣)].

٤ـ عن معاذ بن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له بيتًا في الجنة»**[(٤)].

---

(١) «صحيح سنن الترمذي» (١٠٢١).

(٢) أخرجه مسلم (٧٢٨).

(٣) «صحيح سنن ابن ماجه» (٧٣٧).

(٤) «صحيح الجامع» (٦٤٧٢).

٥ـ وقال ﷺ: «من سد فرجة رفعه الله بها درجة وبنى له بيتًا في الجنة»[١].

٦- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن محقًّا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»[٢].

٧ـ عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى غرف الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بي وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلبًا، ولا من الشر مهربًا يموت حيث شاء أن يموت»[٣].

٨ ـ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الضحى أربعًا وقبل الأولى أربعًا بني له بيت في الجنة»[٤].

٩ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من دخل السوق، فقال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير: كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبني له بيتًا في الجنة»[٥].

* * *

(١) «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٠٥).
(٢) «صحيح الجامع» (١٤٦٤).
(٣) «صحيح الجامع» (١٤٦٥).
(٤) «صحيح الجامع» (٦٣٤٠).
(٥) «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٩٤).

نموذج
من بيت النبوة

فالزوج في هذه البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ ليس فظًّا غليظ القلب، وليس لينًا متهاونًا دائمًا، ولا شديدًا دائمًا، ولا مازحًا دائمًا، ولكن ينبغي أن يكون لينًا فيما يحتاج إلى اللين وشديدًا فيما يحتاج إلى الشدة، ولا يغضب إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله، فهو يتسامر مع زوجه وأولاده للتأليف والمودة والرحمة، وقد ورد في الحديث الصحيح النهي عن السهر بعد العشاء، لكنه ليس على سبيل التحريم، فقد روى البخاري[1] عَنْ سَيَّارِ بْنِ سَلامَةَ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَأَبِي عَلَى أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: كَيْفَ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي المكْتُوبَةَ؟ فَقَالَ: كَانَ يُصَلِّي الْهَجِيرَ الَّتِي تَدْعُونَهَا الأُولَى حِينَ تَدْحَضُ الشَّمْسُ، وَيُصَلِّي الْعَصْرَ، ثُمَّ يَرْجِعُ أَحَدُنَا إِلَى رَحْلِهِ فِي أَقْصَى المدِينَةِ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ - وَنَسِيتُ مَا قَالَ فِي المغْرِبِ - وَكَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يُؤَخِّرَ الْعِشَاءَ الَّتِي تَدْعُونَهَا الْعَتَمَةَ، **وَكَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَهَا وَالحَدِيثَ بَعْدَهَا**، وَكَانَ يَنْفَتِلُ مِنْ صَلاةِ الْغَدَاةِ حِينَ يَعْرِفُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ، وَيَقْرَأُ بِالسِّتِّينَ إِلَى المِائَةِ .

قال الحافظ في «الفتح»:

قال الترمذي: كره أكثر أهل العلم النوم قبل صلاة العشاء، ورخص بعضهم فيه في رمضان خاصة. انتهى.

ومن نقلت عنه الرخصة قيدت عنه في أكثر الروايات بما إذا كان له من يوقظه أو عرف من عادته أنه لا يستغرق وقت الاختيار بالنوم، وهذا جيد

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٤٧).

حيث قلنا: إن علة النهي خشية خروج الوقت، وحمل الطحاوي الرخصة على ما قبل دخول وقت العشاء والكراهة على ما بعد دخوله.

قوله: «والحديث بعدها» أي المحادثة. وهذه الكراهة مخصوصة بما إذا لم يكن في أمر مطلوب. وقيل: الحكمة فيه لئلا يكون سببًا في ترك قيام الليل، أو للاستغراق في الحديث، ثم يستغرق في النوم فيخرج وقت الصبح.

وقال رحمه الله:

والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم عن الصبح، أو عن وقتها المختار، أو عن قيام الليل، وكان عمر بن الخطاب يضرب الناس على ذلك، ويقول: أسمرًا أول الليل ونومًا آخره؟

وإذا تقرر أن علة النهي ذلك، فقد يفرق فارق بين الليالي الطوال والقصار، ويمكن أن تحمل الكراهة على الإطلاق حسمًا للمادة.اهـ.

وهناك عدة أبواب يجوز السمر فيها ولا يكره، فهي أبواب خير، وقد بين ذلك البخاري رحمه الله في صحيحه في عدة مواضع:

فقال رحمه الله في كتاب العلم من صحيحه: باب السَّمَرِ بِالْعِلْمِ.

وقال رحمه الله في كتاب مواقيت الصلاة: باب السَّمَرِ فِي الْفِقْهِ وَالْخَيْرِ بَعْدَ الْعِشَاءِ.

والفقه بلا شك يدخل في عموم الخير، لكنه خصه رحمه الله بالذكر تنويهًا بذكره، وتنبيهًا على قدره.

وقال رحمه الله في كتاب مواقيت الصلاة: باب السَّمَرِ مَعَ الضَّيْفِ وَالأَهْلِ.

وأصل السمر مشتق من لون القمر؛ لأنهم كانوا يتحدثون فيه.

والمراد بالسمر: ما يكون في أمر مباح؛ لأن المحرم لا اختصاص لكراهته بها بعد صلاة العشاء، بل هو حرام في الأوقات كلها.

وروى البخاري عدة أحاديث في جواز السمر بعد العشاء، منها: عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَتَحَدَّثَ رَسُولُ الله ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ قَعَدَ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ آل عمران: ١٩٠، ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنَّ، فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ أَذَّنَ بِلالٌ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ[١].

واستدل به البخاري على جواز السمر في العلم.

قال الحافظ: فإن قيل: هذا إنما يدل على السمر مع الأهل لا في العلم.

فالجواب أنه يلحق به، والجامع تحصيل الفائدة، أو هو بدليل الفحوى؛ لأنه إذا شرع في المباح ففي المستحب من طريق الأولى.

ومن الأحاديث الدالة كذلك على جواز السمر بعد العشاء مع الأضياف: ما رواه البخاري في «صحيحه»[٢] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ: أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَإِنْ أَرْبَعٌ فَخَامِسٌ أَوْ سَادِسٌ» وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلاثَةٍ، فَانْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَشَرَةٍ، قَالَ: فَهُوَ أَنَا وَأَبِي وَأُمِّي، فَلا أَدْرِي قَالَ وَامْرَأَتِي وَخَادِمٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لَبِثَ حَيْثُ صُلِّيَتِ الْعِشَاءُ، ثُمَّ رَجَعَ فَلَبِثَ حَتَّى تَعَشَّى النَّبِيُّ ﷺ فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ الله، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: وَمَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ - أَوْ قَالَتْ: ضَيْفِكَ - قَالَ: أَوَمَا عَشَّيْتِهِمْ؟! قَالَتْ: أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ، قَدْ عُرِضُوا فَأَبَوْا. قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنَا،

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٥٦٩).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٠٢).

فَاخْتَبَأْتُ، فَقَالَ: يَا غُنْثَرُ، فَجَدَّعَ وَسَبَّ، وَقَالَ: كُلُوا لا هَنِيئًا . فَقَالَ: وَاللهِ لا أَطْعَمُهُ أَبَدًا، وَايْمُ اللهِ مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا . قَالَ يَعْنِي حَتَّى شَبِعُوا وَصَارَتْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ، فَإِذَا هِيَ كَمَا هِيَ أَوْ أَكْثَرُ مِنْهَا، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ، مَا هَذَا؟ قَالَتْ: لا وَقُرَّةِ عَيْنِي لَهِيَ الآنَ أَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلاثِ مَرَّاتٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ - يَعْنِي يَمِينَهُ - ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً، ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ، وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَقْدٌ، فَمَضَى الأَجَلُ، فَفَرَّقَنَا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنَاسٌ، اللهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ، أَوْ كَمَا قَالَ.

ووجه الاستدلال من الحديث اشتغال أبي بكر بعد صلاة العشاء بمجيئه إلى بيته، ومراجعته لخبر الأضياف، واشتغاله بما دار بينهم، وذلك كله في معنى السمر، لأنه سمر مشتمل على مخاطبة، وملاطفة، ومعاتبة.

وهذا رسول الله ﷺ يتسامر مع عائشة رضي الله عنها، فيصغي إلى حديثها وهي تحدثه حديثًا طويلًا:

فقد روى البخاري[1] عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا.

قَالَتِ الأُولَى: زَوْجِي لَحْمُ جَمَلٍ غَثٌّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ، لا سَهْلٍ فَيُرْتَقَى، وَلا سَمِينٍ فَيُنْتَقَلُ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٥١٨٩).

قَالَتِ الثَّانِيَةُ: زَوْجِي لا أَبُثُّ خَبَرَهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لا أَذَرَهُ، إِنْ أَذْكُرْهُ أَذْكُرْ عُجَرَهُ وَبُجَرَهُ.

قَالَتِ الثَّالِثَة: زَوْجِي الْعَشَنَّقُ، إِنْ أَنْطِقْ أُطَلَّقْ وَإِنْ أَسْكُتْ أُعَلَّقْ.

قَالَتِ الرَّابِعَةُ: زَوْجِي كَلَيْلِ تِهَامَةَ، لا حَرٌّ، وَلا قُرٌّ، وَلا مَخَافَةَ، وَلا سَآمَةَ.

قَالَتِ الْخَامِسَةُ: زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ، وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ، وَلا يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ.

قَالَتِ السَّادِسَةُ: زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفَّ، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ، وَإِنْ اضْطَجَعَ الْتَفَّ، وَلا يُولِجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ.

قَالَتِ السَّابِعَةُ: زَوْجِي غَيَايَاءُ أَوْ عَيَايَاءُ طَبَاقَاءُ، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ، شَجَّكِ أَوْ فَلَّكِ أَوْ جَمَعَ كُلًّا لَكِ.

قَالَتِ الثَّامِنَةُ: زَوْجِي المسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ زَرْنَبٍ.

قَالَتِ التَّاسِعَةُ: زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ، طَوِيلُ النِّجَادِ، عَظِيمُ الرَّمَادِ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ.

قَالَتِ الْعَاشِرَةُ: زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ، مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكِ، لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ المبَارِكِ قَلِيلاتُ المسَارِحِ، وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيْقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ.

قَالَتِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ فَمَا أَبُو زَرْعٍ أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ، وَمَلأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيَّ، وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلا أُقَبَّحُ وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ، أُمُّ أَبِي زَرْعٍ فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ عُكُومُهَا رَدَاحٌ، وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ، ابْنُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ مَضْجِعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ، وَيُشْبِعُهُ

ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ، بِنْتُ أَبِى زَرْعٍ فَمَا بِنْتُ أَبِى زَرْعٍ طَوْعُ أَبِيهَا، وَطَوْعُ أُمِّهَا، وَمِلْءُ كِسَائِهَا، وَغَيْظُ جَارَتِهَا، جَارِيَةُ أَبِى زَرْعٍ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِى زَرْعٍ لا تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا، وَلا تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا، وَلا تَمْلأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا، قَالَتْ خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالأَوْطَابُ تُمْخَضُ، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ، فَطَلَّقَنِى وَنَكَحَهَا، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا، رَكِبَ شَرِيًّا وَأَخَذَ خَطِّيًّا وَأَرَاحَ عَلَىَّ نَعَمًا ثَرِيًّا، وَأَعْطَانِى مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا وَقَالَ: كُلِى أُمَّ زَرْعٍ، وَمِيرِى أَهْلَكِ. قَالَتْ: فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَىْءٍ أَعْطَانِيهِ مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِى زَرْعٍ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُنْتُ لَكِ كَأَبِى زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ**».

❊ ❊ ❊

نماذج
من بيوت الصحابة رضي الله عنهم

بيوت الصحابة رضي الله عنهم من أفضل البيوت بعد بيوت النبي ﷺ وهي من أعظم البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ لأنها قامت على تقوى من الله ورضوان ومحبة لله ولرسوله ﷺ.

ولقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أروع النماذج في الصفات التي تقام عليها البيوت التي يحبها الله ورسوله وفيما يلي نقدم نماذج مختصرة من هذه الصفات والبيوت:

*** تعظيمهم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ:**

* فهذه زينب بنت جحش رضي الله عنها يخطبها رسول الله ﷺ لفتاه زيد ابن حارثة، وحين يفاتحها في ذلك تأبى وتقول: لست بناكحته، فيقول رسول الله ﷺ: «**بل، فانكحيه**» قالت: يا رسول الله، أؤامر نفسي، فبينما هما يتحدثان إذا بالمولى سبحانه وتعالى ينزل هذه الآية على رسوله ﷺ: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا**﴾ الأحزاب: ٣٦ فتقول: قد رضيته لي يا رسول الله منكحًا؟ فيقول: «**نعم**» فتقول: إذن لا أعصي رسول الله ﷺ قد أنكحته نفسي[1].

* وهذا عقبة بن الحارث يتزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز فتأتيه امرأة فتقول: إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج، فيقول لها عقبة: ما أعلم أنك

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٤٦).

أرضعتني ولا أخبرتني ثم يركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فيسأله فيقول رسول الله ﷺ: «**كيف وقد قيل؟**» فيفارقها عقبة وتنكح زوجًا غيره[١].

وعن أبي برزة الأسلمي: أن جُليبيبًا كان امرأ يدخل على النساء يمر بهن ويلاعبهن، فقلت لامرأتي: لا يدخلن عليكم جليبيب، فإنه إن دخل عليكم لأفعلن ولأفعلن، قال: وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم هل للنبي ﷺ فيها حاجة أم لا فقال رسول الله ﷺ لرجل من الأنصار: «**زوجني ابنتك**» فقال: نعم وكرامة يا رسول الله، ونعمة عين، فقال: «**إني لست أريدها لنفسي**» قال: فلمن يا رسول الله؟ قال: «**لجليبيب**» قال: فقال: يا رسول الله أشاور أمها، فأتى أمها فقال: رسول الله ﷺ يخطب ابنتك، فقالت: نعم ونعمة عيني، فقال: إنه ليس يخطبها لنفسه إنما يخطبها لجليبيب، فقالت: أجليبيب إنيه، أجليبيب إنيه، أجليبيب إنيه، لا لعمر الله لا تزوجه، فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول الله ﷺ ليخبره بما قالت أمها، قالت الجارية: من خطبني إليكم؟ فأخبرتها أمها، فقالت: أتردون على رسول الله ﷺ أمره، ادفعوني، فإنه لم يضيعني، فانطلق أبوها إلى رسول الله ﷺ فأخبره، قال: شأنك بها، فزوجها جليبيبًا، قال: فخرج رسول الله ﷺ في غزوة له، قال: فلما أفاء الله عليه، قال لأصحابه: «**هل تفقدون من أحد؟**» قالوا: نفقد فلانًا ونفقد فلانًا، قال: «**انظروا هل تفقدون من أحد؟**» قالوا: لا، قال: «**لكني أفقد جليبيبًا**» قال: «**فاطلبوه في القتلى**» قال: فطلبوه، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه، فقالوا: يا رسول الله، ها هو ذا إلى جنب سبعة، قد قتلهم، ثم قتلوه، فأتاه النبي ﷺ فقام عليه فقال: «**قتل سبعة وقتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه**» مرتين أو ثلاثا ثم وضعه رسول الله ﷺ على ساعديه، وحفر له ما له سرير إلا

---

(١) «صحيح البخاري» (٨٨).

سعد رسول الله ﷺ ثم وضعه في قبره، ولم يذكر أنه غسله.

قال ثابت: فما كان في الأنصار أيم أنفق منها.

وحدث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ثابتًا قال: هل تعلم ما دعا لها رسول الله ﷺ قال: «اللهم صُبّ عليها الخير صبًّا ولا تجعل عيشها كدًّا كدًّا» قال: فما كان في الأنصار أيم أنفق منها[1].

❊ ❊ ❊

❊ **الإيثار والمواساة:**

❊ روى مسلم[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء فقال: «من يضيف هذا الليلة رحمه الله؟» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: فعلليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه، قال: فقعدوا، وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: «لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة».

❊ وروى مسلم[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالا: الجوع يا رسول الله، قال: «وأنا والذي نفسي بيده، لأخرجني

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٤٦).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٠٥٤).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٠٣٨).

الذي أخرجكما، قوموا» فقاموا معه، فأتى رجلًا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلًا، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أين فلان؟**» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني، قال: فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المدية، فقال له رسول الله ﷺ: «**إياك والحلوب**» فذبح لهم، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم**».

❊ ❊ ❊

❊ الصدقة:

❊ وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد حفر بئر رومة، وجهز جيش العسرة: فقد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ** » فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ. وَقَالَ « **مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ** » فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ[١].

❊ وعن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت: ﴿**مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٌ كَرِيمٌ**﴾ الحديد: ١١، قال أبو الدحداح: يا رسول الله، وإن الله يريد منا القرض؟ قال: «**نعم يا أبا الدحداح**» قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي، حائطًا فيه ستمائة نخلة، ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وفيه أم الدحداح في عيالها، فناداها: يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: اخرجي فإني أقرضت ربي حائطًا فيه ستمائة نخلة[٢].

---

(١) «صحيح البخاري» (٢/٧٠٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٠٠).

* الصبر على فقد الأولاد:

* روى البخاري ومسلم[1] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان ابن لأبي طلحة يشتكي فخرج أبو طلحة فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم: هو أسكن ما كان، فقربت منه العشاء فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: وار الصبي، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «**أعرستم الليلة؟**» قال: نعم، قال: «**اللهم بارك لهما**» فولدت غلامًا، قال لي أبو طلحة: احفظه حتى تأتي به النبي ﷺ، فأتى به النبي ﷺ فقال: «**أمعه شيء؟**» قالوا: نعم تمرات، فأخذها النبي ﷺ فمضغها، ثم أخذ من فيه فجعلها في في الصبي، وحنكه به، وسماه عبد الله.

* * *

* صدقهم رضي الله عنهم في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم:

* عن أنس رضي الله عنه قال[2]: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله، غبتُ عن أول قتال قاتلتَ المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أُحد انكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتل، وقد مثَّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أمثاله

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٤٧٠) و«صحيح مسلم» (٢١٤٤).

(٢) «صحيح البخاري» (٢٨٠٥).

﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾ الأحزاب:٢٣.

* * *

* زهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة:

* لقد سبق الصحابة رضي الله تعالى عنهم غيرهم بقوة إيمانهم ويقينهم بالآخرة الباقية وزهدهم في الدنيا الفانية، ولا شك أنهم تعلموا الزهد من رسول الله ﷺ فقد كان ﷺ يمر عليه الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، ولا يوقد في بيت من أبياته نار.

* وهذا عمر رضي الله تعالى عنه، وهو خليفة المسلمين يرفع ثوبه، فعن أنس رضي الله عنه قال: رأيت عمر، وهو يومئذ أمير المؤمنين، وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث لبد بعضها على بعض.

* ولما قدم عمر رضي الله تعالى عنه الشام تلقاه الناس وعظماء الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة، قالوا: الآن يأتيك، فلما أتاه نزل فاعتنقه، ثم دخل عليه بيته فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله.

* * *

* شجاعتهم النادرة واستهانتهم بالحياة الدنيا:

* لقد بعث الإيمان في قلوبهم الشجاعة النادرة، والحنين الغريب إلى الجنة، والاستهانة بالحياة الدنيا، فتمثلوا الآخرة وتجلت لهم الجنة بنعمائها كأنهم يرونها رأي العين.

* فهذا رسول الله ﷺ يقول يوم بدر: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**» قال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «**نعم**» قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: «**ما حملك على**

قولك بخ بخ؟» قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها» فأخرج تمرات من قِرنه، فجعله يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل(١).

* * *

* قطع حبال الجاهلية وموالاة الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين:

كان الواحد منهم رضي الله تعالى عنهم بمجرد أن يدخل في الإسلام يجتهد كل الاجتهاد أن يقطع حبال الجاهلية، وأن يخلع على باب هذا الدين كل ماضيه بما فيه من سوءات وظلمات.

* فهذا عبد الله بن أبي ابن سلول يبلغه أن رسول الله ﷺ يمر بأبيه وهو في ظل أطم فيقول: غبر علينا ابن أبي كبشة، فيأتي النبي ﷺ فيقول: يا رسول الله والذي أكرمك لئن شئت لآتينك برأسه، فيرد النبي ﷺ قائلًا: «لا، ولكن بر أباك وأحسن صحبته»«(٢)».

* * *

* مسارعتهم رضي الله تعالى عنهم إلى التوبة والإنابة إن بدرت منهم معصية:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم من أسرع الناس إلى التوبة والإنابة والاعتراف بالذنب، كما أنهم دائمًا أسرع الناس إلى الخير، ومن بعض النماذج في ذلك:

---

(١) «صحيح مسلم» (١٩٠١).

(٢) «صحيح الأدب المفرد» (٦).

* ما جاء في قصة ماعز الذي أقر عند رسول الله ﷺ على نفسه بالزنا، فأمر بإقامة الحد عليه، ثم أتت الغامدية تقر على نفسها كذلك.

* وربط أبو لبابة بن عبد المنذر نفسه في سارية من سواري المسجد، لما أحس بأنه قد خان الله تعالى ورسوله ﷺ حتى نزلت براءته.

* وكذا الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بغير عذر، فاعترفوا بين يدي رسول الله ﷺ وما تعللوا بالأباطيل والكذب كما فعل المنافقون، وأمر النبي ﷺ بمقاطعتهم حتى مر عليهم خمسون ليلة، ثم نزلت براءتهم من السماء.

* * *

* تكافلهم فيما بينهم ومواساتهم لإخوانهم:

كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم بينهم من التكافل والتناصر والمواساة ما يضرب به المثل امتثالًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات: ١٠.

وقد مدح الله تعالى الأنصار الكرام بقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر: ٩.

ومن النماذج على ذلك:

* عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[1] أن رجلًا أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء فقال رسول الله ﷺ: «**من يضم أو يضيف هذا؟**».

فقال رجل من الأنصار: أنا فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك وأطفئي سراجك ونوِّمي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأطفأت

(١) «صحيح البخاري» (٣٧٩٨).

سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته.

فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: «لقد ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما» فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر: ٩.

* * *

* استهانتهم بزخارف الدنيا وزينتها الجوفاء:

لقد أيقن الصحابة رضي الله تعالى عنهم بحقارة الدنيا، وزيف زخارفها فاستهانوا بها فلم تبهرهم الأضواء، ولم تشغلهم الشهوات.

* أرسل سعد قبل القادسية ربعي بن عامر رسولًا إلى رستم قائد الجيوش الفارسية، وأميرهم فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابي الحرير وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة وترث وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائل، وأقبل عليه سلاحه ودرعه، وبيضته على رأسه.

فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذاوإلا رجعت.

فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها فقال له: ما جاء بكم؟

قال: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

* حرصهم على الاجتماع والوحدة ونبذ الخلاف:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم من أحرص الناس على أسباب الرفعة والنصر والعزة، ولا شك في أن من أسباب النصر والرفعة: الوحدة والاجتماع ونبذ الفرقة والخلاف.

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ آل عمران: ١٠٣.

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الأنفال: ٤٦.

أخرج عبد الرزاق في «المصنف» مرسلًا من حديث قتادة: أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان صدرًا من خلافته كانوا يصلون بمكة ومنى ركعتين، ثم إن عثمان صلاها أربعًا، فبلغ ذلك ابن مسعود فاسترجع، ثم قام فصلى أربعًا، فقيل له: استرجعت ثم صليت أربعًا؟ قال: الخلاف شر.

* * *

* اتهامهم أنفسهم دائمًا بالتقصير:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يوسف: ٥٣.

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يدخل عليه عمر رضي الله عنه يومًا وهو يجبذ لسانه، فيقول له: مه، غفر الله لك، فيرد عليه أبو بكر قائلًا: إن هذا أوردني شر الموارد.

وهذا أبو الدرداء يصيبه المرض ويدخل عليه أصحابه ليعودوه ويقولوا له: أي شيء تشتكي؟ فيقول: ذنوبي، فيقولون: أي شيء تشتهي؟ فيقول: الجنة.

❊ ❊ ❊

❊ أنفتهم واستعلاء الإيمان في قلوبهم:

لقد رفع الإيمان رأسهم عاليًا، وأقام صفحة عنقهم فلن تنحني لغير الله أبدًا، وملأ قلوبهم وعيونهم بكبرياء الله تعالى وعظمته، فهانت وجوه الخلق وزخارف الدنيا ومظاهر العظمة.

فعن أبي موسى قال: انتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو عن يمينه وعمارة عن يساره، والقسيسون جلوس سامطين - أي ساكتين - وقد قال له عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك، فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان أن يسجدوا للملك، فقال جعفر: لا نسجد إلا لله.

❊ ❊ ❊

صفات البيوت

التي يحبها الله ورسوله ﷺ

وتدخلها الملائكة

بيوت
تقوم على التوحيد

إن أحب البيوت وأزكاها وأشرفها، وأعلاها قدرًا، وأكثرها محبة لله رب العالمين: تلك البيوت التي قامت وبُنيت على توحيد الله رب العالمين.

فما من شيء أحب إلى الله من عباده الموحِّدين.

وما من شيء أبغض إلى الله من عباده المشركين.

فبيوت الموحِّدين بيوت لها خصوصيات ليست لغيرهم.

فهي دائمًا محاطة بعناية الله رب العالمين.

وهي دائمًا في رضا عن الله ورسوله ﷺ.

وهي دائمًا تذكر الله على كل حين وعلى كل حال.

وهي تلك البيوت التي عرفت الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله وأقداره، فوحَّدته في ذلك كله.

هي تلك البيوت التي لا تعرف معبودًا بحقٍّ إلا الله رب العالمين.

هي تلك البيوت التي لا تعرف متبوعًا بحقٍّ إلا محمدًا ﷺ.

هي تلك البيوت التي لا تعرف دينًا حقًّا إلا الإسلام لله رب العالمين.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ النحل:٣٦.

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ الإسراء:٢٣.

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الأنعام:١٥١.

والتوحيد هو حق الله على العبيد إنسهم وجنهم:

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «**يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟**» فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حق العباد على الله أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب منهم من لا يشرك به شيئًا**»[1].

إن بيوت الموحِّدين يملؤها الأمنُ الذي وعد الله به في كتابه قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأنعام:٨٢.

وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي أتاكم عذاب الله عز وجل ﴿بَغْتَةً﴾ وأنتم لا تشعرون به حتى بغتكم وفجأكم ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ أي ظاهرًا عيانا ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي إنما كان يحيط بالظالمين أنفسهم بالشرك بالله وينجوا الذين كانوا يعبدون الله وحده لا شريك له، فلا خوف عليهم، ولا هم يحزنون كقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله:

أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة.اهـ.

فأولئك الذين وحدوا الله، وأخلصوا له العبادة، وآمنوا بأنه لا إله غيره،

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٣٠٠) ومسلم (٣٠).

ولا رب سواه، وهو إلههم الحق، وحده لا شريك له، ولم يخلطوا إيمانهم هذا بشيء من الشرك: لهم الأمن الكامل والتام والهداية المطلقة الكاملة.

فمن آمن بالله ولم يلبس إيمانه بشرك له الأمن التام والهداية التامة وأما من خلط إيمانه بشيء من الكبائر أو الصغائر ثم تاب من فوره، فإن الله يتوب عليه.

وليس المقصود من الآية: أن من خالط إيمانه بشيء من المعصية ليس له أمن ولا هداية.

فكلنا يظلم نفسه.

وكلنا يذنب.

ولهذا لما نزلت هذه الآية شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله، وأينا لم يظلم نفسه؟! قال: «**ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: إن الشرك لظلم عظيم**».

وعن علقمة بن قيس عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال أصحابه: وأينا لم يظلم نفسه؟ فنزلت ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1].

وعن عبد الله بن مسعود أيضًا قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شقَّ ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله، أينا لم يظلم نفسه؟ قال: «**إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ إنما هو الشرك**»[2].

فبين لهم النبي ﷺ أن ظلم النفس الذي يمنع الأمن والهداية هو الشرك بالله رب العالمين.

---

(1) رواه البخاري (3360).

(2) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (1/ 378).

فالمؤمن إذا سلم من الشرك الأكبر والشرك الأصغر، فهدايته تامة، وأمنه تام بإذن الله رب العالمين.

ولا تكون هذه الهداية تامة، ولا يكون هذا الأمن تامًّا إلا بترك ما حرم الله وفِعل ما أمر الله، وهذه مكملات التوحيد التي لابد منها، ولا يتم إيمان العبد إلا بها.

يقول ابن القيم رحمه الله في بيان ذلك ولكن في سياق آيات من سورة آل عمران:

ثم أخبر سبحانه أنه مولى المؤمنين وهو خير الناصرين، فمن والاه فهو المنصور، ثم أخبرهم أنه سيلقي في قلوب أعدائهم الرعب الذي يمنعهم من الهجوم عليهم والإقدام على حربهم، وأنه يؤيد حزبه بجند من الرعب ينتصرون به على أعدائهم، وذلك الرعب بسبب ما في قلوبهم من الشرك بالله، وعلى قدر الشرك يكون الرعب، فالمشرك بالله أشد شيئًا خوفًا ورعبًا، والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بالشرك لهم الأمن والهدى والفلاح والمشرك له الخوف والضلال والشقاء.

ويقول كذلك في «إغاثة اللهفان»[(١)]:

يقول إبراهيم عليه السلام: ﴿أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ وهذا من أحسن الكلام، أي أتريدون أن تصرفوني عن الإقرار بربي وبتوحيده وعن عبادته وحده وتشككوني فيه، وقد أرشدني وبيَّن لي الحق حتى استبان لي كالعيان، وبيَّن لي بطلان الشرك وسوء عاقبته، وأن آلهتكم لا تصلح للعبادة، وأن عبادتها توجب لعابديها غاية الضرر في الدنيا والآخرة، فكيف تريدون مني أن أنصرف عن عبادته وتوحيده إلى الشرك به وقد هداني إلى الحق وسبيل

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٥٤).

الرشاد؟ فالمحاجة والمجادلة إنما فائدتها طلب الرجوع والانتقال من الباطل إلى الحق، ومن الجهل إلى العلم ومن العمى إلى الإبصار، ومجادلتكم إياي في الإله الحق الذي كل معبود سواه باطل تتضمن خلاف ذلك، فخوفوه بآلهتهم أن تصيبه بسوء كما يخوف المشرك الموحد بإلهه الذي يألهه مع الله أن يناله بسوء، فقال الخليل: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ فإن آلهتكم أقل وأحقر من أن تضر من كفر بها وجحد عبادتها، ثم رد الأمر إلى مشيئة الله وحده، وأنه هو الذي يخاف ويرجى فقال: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ وهذا استثناء منقطع والمعنى: لا أخاف آلهتكم فإنها لا مشيئة لها ولا قدرة لكن إن شاء ربي شيئًا نالني وأصابني لا آلهتكم التي لا تشاء ولا تعلم شيئًا وربي له المشيئة النافذة وقد ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ فمن أولى بأن يخاف ويعبد: هو سبحانه أم هي؟! ثم قال: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون ما أنتم عليه من إشراك من لا مشيئة له ولا يعلم شيئا ممن له المشيئة التامة والعلم التام؟ ثم قال: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ وهذا من أحسن قلب الحجة، وجعل حجة المبطل بعينها دالة على فساد قوله وبطلان مذهبه فإنهم خوفوه بآلهتهم التي لم ينزل الله عليهم سلطانًا بعبادتها وقد تبين بطلان إلهيتها ومضرة عبادتها، ومع هذا فلا تخافون شرككم بالله وعبادتكم معه آلهة أخرى ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فمن أولى بأن لا يلحقه الخوف: فريق الموحدين، أم فريق المشركين؟ فحكم الله سبحانه بين الفريقين بالحكم العدل الذي لا حكم أصح منه فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ فحكم سبحانه للموحدين بالهدى والأمن وللمشركين بضد ذلك وهو الضلال والخوف.

وقال في «مفتاح دار السعادة»(١):

والخوف دائمًا مع الشرك والأمن دائمًا مع التوحيد قال تعالى حكاية عن خليله إبراهيم أنه قال في محاجته لقومه: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ فحكم الله عز وجل بين الفريقين بحكم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ وقد صح عن رسول الله ﷺ تفسير الظلم فيها بالشرك وقال: «ألم تسمعوا قول العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾».

فالتوحيد من أقوى أسباب الأمن من المخاوف، والشرك من أعظم أسباب حصول المخاوف، ولذلك من خاف شيئًا غير الله سُلِّط عليه، وكان خوفه منه هو سبب تسليطه عليه، ولو خاف الله دونه ولم يخفه لكان عدم خوفه منه وتوكله على الله من أعظم أسباب نجاته منه، وكذلك من رجا شيئًا غير الله حُرم ما رجاه منه وكان رجاؤه غير الله من أقوى أسباب حرمانه، فإذا رجا الله وحده كان توحيد رجائه أقوى أسباب الفوز بما رجاه أو بنظيره أو بما هو أنفع له منه، والله الموفق للصواب.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة، على ما كان من العمل»**(٢).

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٧٣).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٤٢) ومسلم (٢٨).

ودخوله الجنة على ما كان من العمل: أي على ما كان عنده من صلاح أو فساد: إذا قال لا إله إلا الله مخلصًا من قبله مؤمنًا بها.

ولكن هذا الدخول قد يكون ابتداءً من أول وهلة، إذا مات على توبة وعمل صالح، وقد يكون بعدما يبتلى جزاءً على ما اقترف من السيئات والمعاصي، وبعدما يُمحّص في النار ويُعذّب فيها، ثم مصيره إلى الجنة.

ولهذا يقول أهل العلم: من حقَّق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، وتحقيق التوحيد هو تخليصه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، فمن حقق توحيده لله رب العالمين، وسلم من الشرك والبدع والمعاصي، دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ لأن الشرك الأكبر ينافي التوحيد الواجب، والشرك الأصغر ينافي كمال التوحيد الواجب، والبدع والمعاصي تقدح فيه وتنقص ثوابه.

وقد ضرب الله عز وجل لنا مثلًا بأبينا إبراهيم الذي حقّق التوحيد لله رب العالمين، فأثنى الله عليه قائلًا: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ النحل: ١١٩-١٢٣.

وتحقيقه: تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي.

فهذه صفات إمام الحنفاء والموحِّدين إبراهيم عليه السلام، فلننظر إليها، ولنفتش عنها في بيوتنا، ولنجاهد أنفسنا على تحقيقها حتى تكون بيوتنا بيوتًا يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة.

أولًا: كان أمة.

ثانيًا: كان قانتًا.

ثالثًا: كان حنيفًا.

رابعًا: لم يكن من المشركين.

خامسًا: كان شاكرًا لنعم الله عليه.

وصف إبراهيم عليه السلام بهذه الصفات التي هي الغاية في تحقيق التوحيد:

الأولى: أنه ﴿كَانَ أُمَّةً﴾ أي قدوة وإمامًا معلمًا للخير، وما ذاك إلا لتكميله مقام الصبر واليقين اللذين تنال بهما الإمامة في الدين.

الثانية: قوله ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾ قال شيخ الإسلام: القنوت دوام الطاعة والمصلي إذا أطال قيامه أو ركوعه أو سجوده فهو قانت قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾.

الثالثة: أنه كان ﴿حَنِيفًا﴾ قال العلامة ابن القيم: الحنيف المقبل على الله المعرض عن كل ما سواه.

الرابعة: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي لصحة إخلاصه وكمال صدقه وبعده عن الشرك، ويوضح هذا قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أي على دينه من إخوانه المرسلين ﴿إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ وذكر تعالى عن خليله عليه السلام أنه قال لأبيه آزر: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ فهذا هو تحقيق التوحيد، وهو البراءة من

الشرك وأهله، واعتزالهم، والكفر بهم، وعداوتهم وبغضهم.

وكان من حسن جزاء الله عز وجل له أنه اجتباه، وهداه وآتاه في الدنيا حسنة، وجعله في الآخرة من الصالحين، وأوحى إلى عبده ورسوله محمد: أن يتبع ملة إبراهيم عليه السلام.

ولهذا فأعظم البيوت على الإطلاق هي بيوت النبي محمد ﷺ.

فهل نعرف بيتًا حقق أهله التوحيد كما حققه النبيُّ ﷺ وأزواجه وبناته؟

هل نعرف أحدًا أسعد حالًا وأهنأ بالًا، من النبي ﷺ وأزواجه وبناته؟

وهذه هي الحياة الطيبة التي وعد الله بها المؤمنين، ليست حياة المال والثراء، وإنما الحياة هي حياة المؤمن بقلبه مع الله رب العالمين.

فبيوت الموحِّدين هي أسعد البيوت، وأفلح البيوت.

وبيوت الموحِّدين هي أهنأ البيوت، وأنجح البيوت.

وبيوت الموحِّدين هي أكثر البيوت أمنًا وهداية.

وبيوت الموحِّدين هي أطيب البيوت في هذه الحياة الدنيا، ثم في الآخرة يوفيهم الله أحسن ما كانوا يعملون:

قال الله تعالى: **﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾**.

فجعل لهم الحياة الطيبة في الدنيا.

وجعل لهم حسن الجزاء في الآخرة، وهذا يشمل حسن الجزاء وطيب العيش في القبر وفي الجنة.

وقال تعالى: **﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾**.

وقال الله تعالى حاكيًا عن نبيه ورسوله نوح أنه قال لقومه: **﴿فَقُلْتُ**

ﭐسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾ نوح:١٠-١٢.

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥ﴾ هود:٣.

وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ الزمر:١٠.

فجعل الله عز وجل جزاء التوحيد والإيمان والعمل الصالح جزاءين: جزاء في الدنيا وجزاء في الآخرة.

فهذه كلمة إلى كل بيوت الأرض أجمعين:

من رغب في سعادة العيش، فعليه بتحقيق التوحيد لله رب العالمين.

ومن رغب في طيب الحياة، فعليه بتحقيق التوحيد لله رب العالمين.

فمن حقق التوحيد وعمل صالحًا جازاه الله عز وجل أحسن جزاء في الدنيا قبل الآخرة، فينشرح صدره، وينير قلبه، ويملأ السرور حياته.

فأعظم ما يُجازى به العبد المحسن الموحد: شرح الصدر وإنارة القلب، والسرور بالله، والأنس به، واللذة في عبادته ومنجاته.

قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ الأنعام:١٢٥.

وأعظم ما تجازى به البيوت التي أعرض أهلها عن التوحيد: أن تضيق على أهلها ولو كانت فسيحة كبيرة، وأن تظلم على أهلها ولو كانت مليئة بالمصابيح، وأن يملأها الغم والهم والحزن والنكد والخوف، ولو كان فيها من

آلات اللهو والمرح ما فيها.

فإن الهموم والغموم عقوبات عاجلة، ونار دنيوية، وجهنم حاضرة، وهذا جزاء الشرك والمعاصي.

والإقبال على الله، والرضا به، والأنس به، ومحبته، وذِكْره، وتعظيمه، والفرح بعبادته، والالتزام بأمره ونهيه: جنة الدنيا ونعيمها الذي لا يقدر بثمن، بل تفشل كنوز الدنيا في شراء شيء منه، ولذلك فبيوت الموحِّدين هي أسعد البيوت ولو كانت أفقر البيوت، وبيوت المشركين هي أفقر البيوت ولو كانت بيوت الملوك والرؤساء.

فالبيت الذي يحبه الله ورسوله وتدخله الملائكة بيت يحقق التوحيد الصحيح الخالص لله رب العالمين.

فجميع رسالات الرسل من أولـهم نوح عليه الصلاة والسلام إلى آخرهم محمد ﷺ: كلـها تدعو إلى التوحيد.

قال اللـه تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ النحل: ٣٦.

وذلك أن الخلق خلقوا لواحد، وهو اللـه عز وجل، خلقوا لعبادته، لتتعلق قلوبهم به، تألـهًا، وتعظيمًا، وخوفًا، ورجاءً، وتوكلًا، ورغبةً، ورهبةً.

ولـهذا كانت دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى هذا الأمر الـهام العظيم، عبادة اللـه وحده لا شريك لـه.

ولم يكن الرسل الذين أرسلهم الله عز وجل إلى البشر يدعون إلى توحيد الربوبية كدعوتهم إلى توحيد الألوهية، ذلك أن منكري توحيد الربوبية

قليلون جدًّا.

وقد قسم العلماء - رحمهم الله - التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية:

وهو إفراد الله سبحانه وتعالى في أمور ثلاثة؛ في الخلق، والملك، والتدبير.

دليل ذلك، قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] لا لغيره؛ فالخلق هذا هو، والأمر هو التدبير.

أما الملك؛ فدليله كثير، مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٢٩].

إذًا؛ فالرب عز وجل منفرد بالخلق والملك والتدبير.

القسم الثاني: توحيد الألوهية:

وهو إفراد الله عز وجل بالعبادة، بألا تكون عبدًا لغير الله، لا تعبد ملكًا ولا نبيًّا ولا وليًّا ولا شيخًا ولا أمًّا ولا أبًا، لا تعبد إلا الله وحده، فتُفرد الله عز وجل وحده بالتأله والتعبد، ولهذا يسمى: «توحيد الألوهية»، ويسمى: «توحيد العبادة»؛ فباعتبار إضافته إلى الله هو «توحيد ألوهية»، وباعتبار إضافته إلى العابد هو «توحيد عبادة».

والعبادة مبنية على أمرين عظيمين، هما المحبة والتعظيم، الناتج عنهما: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] فبالمحبة تكون الرغبة، وبالتعظيم تكون الرهبة والخوف.

ولهذا كانت العبادة أوامر ونواهي: أوامر مبنية على الرغبة وطلب الوصول إلى الآمر، ونواهي مبنية على التعظيم والرهبة من هذا العظيم.

والعبادة: تطلق على أمرين: «الفعل» و«المفعول».

تطلق على «الفعل» الذي هو التعبد، فيقال: عبد الرجل ربه عبادة وتعبدًا، ونعرفها باعتبار إطلاقها على الفعل بأنها: التذلل للـه عز وجل حبًّا وتعظيمًا، بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

وتطلق على «المفعول» أي: المتعبد به، وهي بهذا المعنى تُعَرَّف بما عرفها به شيخ الإسلام ابن تيمية؛ حيث قال ـ رحمه اللـه ـ: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه اللـه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة».

والأدلة على أن اللـه منفرد بالألوهية كثيرة، منها:

قولـه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وأيضًا قولـه تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

القسم الثالث وهو توحيد الأسماء والصفات:

انقسم الناس فيه إلى ثلاثة أقسام، وهم: «معطل»، و«ممثل»، و«معتدل»، والمعطل: إما مكذب، أو محرف.

١ـ قسم قالوا: لا يجوز أبدًا أن نصف اللـه لا بوجود ولا بعدم؛ لأنه إن وصف بالوجود؛ أشبه الموجودات، وإن وصف بالعدم، أشبه المعدومات، وعليه يجب نفي الوجود والعدم عنه!

٢ـ وقسم آخر قالوا: نصفه بالنفي ولا نصفه بالإثبات، يعني: أنهم يجوِّزون أن تسلب عن اللـه سبحانه وتعالى الصفات، لكن لا تُثبت، فلا نقول: «حي»، وإنما نقول: «ليس بميت» ولا نقول: «عليم» بل نقول: «ليس

بحجر»!

٣ـ وقسم ثالث قالوا: يثبت لـه الأسماء دون الصفات، وهؤلاء هم المعتزلة. أثبتوا أسماء الله. قالوا: إن اللـه سميع بصير قدير عليم حكيم... لكن قدير بلا قدرة. سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، عليم بلا علم، حكيم بلا حكمة.

٤ـ وقسم رابع قالوا: نثبت له الأسماء حقيقة، ونثبت لـه صفات معينة دل عليها العقل. وننكر الباقي، نثبت لـه سبع صفات فقط.

فقالوا:

لَـهُ الحَيَـاةُ وَالْكَلامُ وَالبَصَرْ   سَمْـعٌ إرادَةٌ وَعِلْـمٌ وَاقْتَـدَرْ

قالوا: هذه الصفات نثبتها لأن العقل دل عليها، وبقية الصفات لم يدل عليها العقل. وهؤلاء هم الأشاعرة.

هذه لمحة سريعة عن العقيدة التي ينبغي أن يقوم عليها البيت المسلم الذي يحبه الله ورسوله ﷺ وتدخله الملائكة ويملؤه الطمأنينة والسكن والإيمان، فنسأل الله عز وجل أن يصلح بيوت المسلمين.

* * *

بيوت
قائمة على الإخلاص

إن من أهم الصفات التي تقوم عليها البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة: الإخلاص، فهو من أهم الأمور التي يقوم عليها إيمان هذه البيوت وتوحيدها لله عز وجل ، وذلك لأن العمل لا يقبل في الشرع من أفراد هذه البيوت المسلمة إلا بشرطين:

الأول: الإخلاص في العبادة لله رب العالمين .

الثاني: الإخلاص في اتباع النبي ﷺ والتزام سنته.

ودليل الشرط الأول: قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ** ﴾ البينة: ٥، وقوله تعالى: ﴿ **فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ** ﴾ [الزمر: ٢، ٣] ولقول النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**» وقد تقدم .

ودليل الشرط الثاني: قوله تعالى: ﴿ **قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ** ﴾ [آل عمران: ٣١] وقوله تعالى: ﴿ **وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ** ﴾ [الحشر: ٧] ولقوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(١)].

والإخلاص يحتاج إلى مجاهدة للنفس، وتدريب لها على تحقيقه حتى تعتاده

---

(١) خرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) .

وتلتزم به.

وكان هذا الأمر هو الشغل الشاغل لسلفنا الصالح رضوان الله عليهم، ولذلك لما حققوه فازوا برضوان الله تعالى.

وقد قال ﷺ: **«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»**[1].

وهذا الخبرُ من أصولِ الإسلامِ، وأحدُ قواعده وأَوَّلُ دعائمه، وآكدُ الأركان.

قال الشافعيُّ رضي الله تعالى عنه: يدخُل هذا الحديثُ في سَبعينَ بابًا من الفِقْهِ.

وقال هو وأحمدُ وغيرُهما: يدخلُ في هذا الحديثِ ثُلُثُ العِلْمِ.

قال البيهقيُّ: مَعناهُ أن كَسْبَ العبدِ إنَّما يكونُ بقلبِهِ ولسانِهِ وبَنَانِهِ، فالنيةُ أَحدُ أقسامِ كَسْبِهِ الثلاثة، وهي أرجحُها، لأنه يكونُ عبادةً بانفرادِهِ بخلافِ القِسْمَينِ الآخرَينِ؛ وَلأنَّ القَوْلَ والعملَ يدْخُلُهما الفسادُ بالرِّياءِ، ولَا يدْخُلُ النيةَ.

وقال غيرُهم : هو أحدُ الأحاديثِ الَّتِي عليهَا مَدَارُ الإِسْلامِ .

وقد وَصَلَهَا الشيخُ الإمامُ محيي الدين النووي رضي الله عنه إلى أربعين حَدِيثًا، وجَمعهَا في «أَربعينه» .

وكان السلفُ وتَابعوهم من الخلفِ رحمهم الله يستحبُّونَ استفتاحَ المصنَّفاتِ ونحوِهَا بهذَا الحديثِ، ومن جُملتِهم إمامُ أهلِ الحديثِ أبو عبدِ الله البخاري في «صحيحه»؛ تنبيهًا للمُطالِعِ على حُسْنِ النيةِ وتَصحيحِها، واهتمامِهِ بذلك واعتنائِهِ بِهِ.

---

(١) مُتَفَقٌ عَلَيهِ، وهو أول حديث في صحيح البخاري.

وقـال الإمـامُ عـبدُ الرحمـنِ بنُ مـهدي رحمه الله: مـن أرادَ أنْ يـصنِّفَ كتـابًا فلْيبدَأ بِهَذَا الحَدِيثِ.

وقال: لو صنفتُ كتابًا بدأتُ في أَوَّلِ كُلِّ بَابٍ منه بهذا الحديثِ .

وقال الإمام أبو سُليمان الخطَّابي: كان المتقدِّمُونَ من شُيوخِنَا يستحبُّونَ تقديمَ حديثِ الأعمالِ بالنِّيةِ أمَامَ كُلِّ شَيءٍ يُنْشَأ ويُبتدأ من أمورِ الدِّينِ؛ لِعمومِ الحاجةِ إِليه في جَمِيعِ أنواعِهَا. انتهَى.

وعن ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما أنه قال: إِنَّمَا يحفظُ الرَّجُلُ عَلَى قَدْرِ نيتِهِ.

وقال غيرُهُ: إِنَّمَا يعطَى الرَّجُلَ عَلَى قَدْرِ نيتِهِ.

وفي لفظٍ: إِنَّمَا يعطَى النَّاسُ عَلَى قَدْرِ نِياتِهِم .

وقال البخاري[1] في قوله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء:٨٤] على نيته.

وعرَّف الإمامُ أبو القاسِمِ القُشَيريُّ رحمه الله تعالى في رسالتِهِ الإخلاصَ بأنَّه: إفرادُ الحقِّ سُبحانه وتعالى في الطاعَةِ بِالقَصْدِ، وهو أَنْ يريد بطاعَتِهِ التَّقرُّبَ إلى الله تَعَالَى دون شيءٍ آخرَ من تَصنُّع لمخلوقٍ، أو اكتسابِ محمدَةٍ عندَ النَّاسِ، أو محبةِ مَدْحٍ من الخلقِ، أو معنى من المعاني سِوَى التَّقَرُّبِ إلى الله تَعالَى.

قال: ويصحُّ أنْ يقالَ: الإخلاصُ تصفيةُ الفعل عن ملاحظة المخلوقين.

قال: ويصحّ أن يقال الإخلاصُ: التَّوقِّي عن ملاحظَةِ الأشخاصِ .

قال: وسمعتُ الأستاذَ أبا علي الدَّقَّاق يقول: الإخلاصُ؛ التَّوقِّي عن ملاحظَةِ الخلقِ، والصِّدْقُ: التنقي عن مطالَعَةِ النَّفْسِ، فالمُخلِص لا رياءَ له، والصادِقُ لا إعجابَ له.

---

(١) «صحيح البخاري» كتاب الإيمان باب ٤١.

وقال أبو يعقوب السُّوسي: متى شَهدُوا في إخلاصِهِمْ الإخلاصَ احتاجَ إخلاصُهم إلى إخلاصٍ.

وقال ذُو النُّون المصري: ثلاثٌ من علاماتِ الإخلاصِ:استواءُ المدحِ والذَّمِ من العامَّة، ونسيانُ رؤيةِ الأعمالِ في الأعمالِ، واقتضاءُ ثوابِ العَمَلِ في الآخرَة.

وقال أبو عثمان المغربي رحمه الله: الإخلاصُ نسيان رُؤيةِ الخَلقِ بدَوام النظرِ إلى الخالق.

وقال حذيفةُ المرعشي: الإخلاصُ أن تستويَ أفعالُ العبدِ في الظَّاهِرِ والباطن.

وقال الإمامُ سهلٌ التُّسْتَريُّ: نظرَ الأكياسُ في تفسيرِ الإخلاصِ، فلم يجدوا غيرَ هذا: أن يكون حركتُهُ وَسُكونُهُ في سِرِّه وعلانيتِهِ لله تَعَالَى لا يمازجهُ نفسٌ ولا هوىً ولا دُنيا.

وقال رُويمٌ: الإخلاصُ في العملِ هو أن لا يريدَ صَاحِبُهُ عليه عِوَضًا في الدَّارين، ولا حظًّا من الملكين.

وقال الفُضيلُ بنُ عياضٍ: تركُ العملِ لأجلِ النَّاسِ رياءٌ، والعملُ لأجلِ الناسِ شِرْكٌ، والإخلاصُ أن يعافيكَ الله منهما.

وقال السَّرِيُّ: لا تعملْ للناسِ شيئًا، ولا تتْرُكْ لهم شيئًا، ولا تُعطِ لهم شيئًا، ولا تَكشفْ لهم شيئًا.

وقال الجُنيدُ: الإخلاصُ سرٌّ بين الله سُبحانهُ وبين العبدِ، لا يعْلَمُهُ ملكٌ فيَكتُبُهُ، ولا شيطانٌ فيفسدُهُ، ولا هوى فيميلُهُ.

وسئل سهلُ بنُ عبد الله: أيُّ شيءٍ أشدُّ على النَّفْسِ؟ فقال: الإخلاصُ؛ لأنه ليس لها فيه نصيبٌ.

وقال يوسفُ بن الحُسين: أعزُّ شيءٍ في الدُّنيا الإخلاصُ، وكم أجتهدُ في إسقاطِ الرِّياء عن قَلبي، فكأنَّهُ ينْبتُ فيه على لَوْنٍ آخر.

ورُوي عن حبيب بن أبي ثابتٍ التابعي رحمه الله تعالى أنه قيل له: حدِّثنا، فقال: حتى تجيء النِّية.

وعن أبي عبد الله سُفيانَ الثَّوريِّ رحمه الله تعالى أنَّهُ قالَ: ما عالجتُ شيئًا أشدَّ عليَّ من نيتي، إنها تتقلبُ عليَّ.

وقال الإمامُ القُشيريُّ: أولُ الصِّدقِ استواءُ السِّرِّ والعلانيةِ.

قال: وسمعتُ الأستاذ أبا عليٍّ الدقاقَ يقولُ: الصِّدْقُ أن تكونَ كما ترى من نفسك أو ترى من نفسك كما تكونُ.

وقال أحمدُ بن خضرويه: من أراد أن يكونَ الله تعالى معه فليلزم الصِّدقَ، فإنَّ الله تعالى مع الصَّادِقِينَ.

وقال سهلُ التَّسْتُريُّ: لا يشمُّ رائحةَ الصدقِ عبدٌ داهنَ نَفسَهُ أو غيره.

وقال ذُو النونِ المصري: الصِّدقُ سيفُ الله، ما وُضع علَى شيءٍ إلا قطعه.

وقال الحارثُ المُحاسبِي: الصادِقُ هو الذي لا يبالي لو خرج كلُّ قدرٍ له في قلوب الخلق من أجل صلاح قَلْبِهِ، ولا يحبُّ اطلاعَ النَّاسِ علَى مثَاقيلِ الذَّرِّ مِنْ عمله، ولا يكرهُ اطلاعَهم على السَّيئ مِنْ عَمَلِهِ، فإن كراهتَهُ لذلك دليلٌ على أنه يحبُّ الزيادة عندهم، وليس هذا مِن إخلاصِ الصِّدِّيقِينَ.

وقال سهلُ بن عبد الله: أولُ خيانةِ الصِّدِّيقِينَ حديثُهم مع أنفسِهِم.

وقال عبدُ الواحِدِ بنُ زيد: الصِّدْقُ: الوفاءُ لله تعالَى بالعملِ.

وقيل: إذا طلبتَ الله بالصِّدقِ أعطاك مرآةً تُبصرُ فيها كلَّ شيءٍ من عجائبِ الدُّنيا والآخرة، وقيل: عليكَ بالصِّدقِ حيثُ تَخافُ أنه يضرُّك، فإنه ينفعُكَ، ودعِ الكذبَ حيثُ ترى أنَّهُ ينفعُك فإنَّهُ يضرُّك.

وَسُئِل فتحٌ الموصليُّ عن الصّدقِ، فأدخلَ يدَهُ فِي كِيرِ الحَدَّادِ وأخْرج الحديدةَ المُحماةَ، ووضَعها على كفِّه، وقال: هذا هو الصِّدقُ.

وقَالَ الجُنَيدُ رَحِمَهُ الله: حقيقةُ الصِّدقِ أَنْ تَصْدُقَ فِي موطنٍ لا يُنجيك فيه إلا الكَذِبُ. وقال: الصَّادِقُ يتَقَلَّبُ فِي اليومِ أَرْبَعِينَ مَرَّةً، والمُرَائِي يثبتُ عَلَى حالةٍ وَاحدةٍ أربعينَ سَنَة.

قال شيخُ الإسلامِ النوويُّ رضي الله عنه: مَعناه أنَّ الصادقَ يدورُ مع الشرعِ حيث دار، فإذا كان الفضلُ الشرعيُّ في الصلاةِ مَثلًا ؛ صلَّى، أو في مجالسةِ العلماءِ والضِّيْفَانِ والعِيالِ وقضاءِ حاجةِ مسلمٍ وجبرِ قلبٍ مكسورٍ ونحو ذلك؛ فَعَلَ، أو في صومٍ وقراءةٍ وذكرٍ وأكلٍ وشُربٍ وجَدٍّ ومِزَاحٍ وعُزلةٍ وخُلطةٍ وتَنعُّمٍ وابتذالٍ ونحوها ؛ أَتَى به، فحيث رأى الفضيلةَ الشرعيةَ في شيءٍ من هذا ؛ فَعَله، كما كان رسول الله ﷺ يفعلُ، ولا يرتبطُ بعادةٍ ولا بعبادةٍ مخصوصةٍ كما يفعلُهُ المُرائي، ولاشكَّ في اختلافِ أحوالِ الشيء في الأَفْضلية، فإنَّ الصومَ حرامٌ يومَ العِيدِ واجبٌ قبله مَسنونٌ بَعْده، ويُندبُ تَحسينُ اللباسِ يومَ الجمعةِ والعيدِ، وخلافه يومَ الاستسقاءِ، وكذا ما أَشْبه ذلك. انتهى.

وأقوالُهم في ذلك غيرُ مُنْحصرةٍ، وفيما أَشَرْنَا إليه مَقْنَعٌ وكِفايةٌ لمن وُفِّق إنْ شاء الله تعالى.

كيف يتحقق الإخلاص في البيوت المسلمة؟

إن الإخلاص أمر ليس بالسهل فهو يحتاج إلى مجاهدة وتدريب كما أسلفنا، ولقد كان السلف يقولون: ما عالجنا شيئًا أشد علينا من الإخلاص وإصلاح النية.

والذي يحقق هذا الإخلاصَ: النظرُ إلى ما افترضه الله عز وجل والنظر إلى

ما أعده الله على ذلك من الأجر في الدنيا والآخرة.

ثم تخليص القلب من سائر الآفات التي تحول بينه وبين العمل لله تعالى، وكذلك تزكية النفس وتطهيرها وتخليتها وتحليتها وإصلاح خللها، وهذا كله متوقف على صلاح القلب فإذا صلح القلب صلح سائر الجسد كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

ولكن يجدر التنبيه على أمر مهم وهو: أن صلاح الباطن ملازم لصلاح الظاهر، فليس الصلاح صلاح قلب فقط بل لابد من ترجمة هذا الصلاح في الأعمال والمظاهر والأخلاق.

* * *

بيوت
قائمة على الحب في الله

ما أحوجَ البيوت الإسلامية المؤمنة إلى محبة الله تعالى، ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة المؤمنين! فلقد امتلأت القلوب والبيوت بحب الدنيا وحب الشهوات والملذات وهذه محبة فانية، وتلك محبة باقية نافعة مقربة إلى الله وجنات النعيم.

إن البيوت القائمة على محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ والحب في الله؛ لبيوت تغمرها السعادة والمودة والمحبة بين أفرادها، فإن السعادة الحقيقية لا تتحقق إلا بمحبة الله تعالى، ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة المؤمنين.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

وهذا كله موقوف على طاعة الله تعالى واتباع رسوله ﷺ، والالتزام بحقوق الإخوة الإيمانية والتوبة النصوح من الذنوب والمعاصي جميعًا.

لقد صرنا في زمان طغت فيه الحياة المادية على البيوت والقلوب، لذا أصبح الشعور بحلاوة الإيمان ولذة الطاعة أمرًا عزيزًا، وأصبح القليل من البيوت الإسلامية هي التي تشعر بهذه الحلاوة، وتجد تلك اللذة، وهي البيوت التي أفرادها من العقلاء الأتقياء، وهم أهل السعادة، والفلاح، والنجاح في الدارين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله(١) في سياق كلامه عن الإيمان:

ولا بد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وخشية الله، وحب ما

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٨٦-١٨٧).

يحبه الله ورسوله، وبغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التى أوجبها الله ورسوله، وجعلها من الإيمان، ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة ولا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح: «**ألا وإن فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهى القلب**» وقال أبو هريرة: القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث الملك خبثت جنوده، وقول أبى هريرة تقريب وقول النبى ﷺ أحسن بيانًا، فإن الملك وإن كان صالحًا فالجند لهم اختيار قد يعصون به ملكهم. وبالعكس فيكون فيهم صلاح مع فساده أو فساد مع صلاحه، بخلاف القلب فإن الجسد تابع له لا يخرج عن إرادته قط، كما قال النبى ﷺ: «**إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد**» فإذا كان القلب صالحًا بما فيه من الإيمان علمًا وعملًا قلبيًا لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق كما قال أئمة أهل الحديث: قول وعمل، قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر، والظاهر تابع للباطن لازم له، متى صلح الباطن صلح الظاهر، وإذا فسد فسد، ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلى العابث «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه» فلابد فى إيمان القلب من حب الله ورسوله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ البقرة: ١٦٥من المشركين لأندادهم.

وفى الآية قولان:

قيل: يحبونهم كحب المؤمنين الله، والذين آمنوا أشد حبًّا لله منهم لأوثانهم.

وقيل: يحبونهم كما يحبون الله والذين آمنوا أشد حبًّا لله منهم.

وهذا هو الصواب، والأول قول متناقض، وهو باطل، فإن المشركين لا يحبون الأنداد مثل محبة المؤمنين لله.

انتهى كلامه رحمه الله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[1]:

محبة الله بل محبة الله ورسوله ﷺ من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، وكما أن التصديق به أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين، فإن كل حركة فى الوجود إنما تصدر عن محبة: إما عن محبة محمودة، أو عن محبة مذمومة، كما قد بسطنا ذلك فى قاعدة المحبة من القواعد الكبار.

فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة، وأصل المحبة المحمودة هى محبة الله سبحانه وتعالى، إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملًا صالحًا، بل جميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله.

انتهى كلامه رحمه الله.

المحبة التي أمر الله بها هي عبادته وحده لا شريك له:

وأصل المحبة المحمودة التي أمر الله بها، وخلق خلقه لأجلها، هي ما في عبادته وحده لا شريك له، إذ العبادة متضمنة لغاية الحب بغاية الذل.

وحب الله أعظم أنواع المحبة المحمودة، بل عبادة الله وحده لا شريك له هي أصل السعادة، ورأسها التي لا ينجو أحد من العذاب إلا بها، وعبادة إله

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٤٨ ـ ٤٩).

آخر من دونه هو أصل الشقاء، ورأسه الذي لا يبقى في العذاب إلا أهله.

فأهل التوحيد الذين أحبوا الله، وعبدوه وحده لا شريك له، لا يبقى منهم في العذاب أحد، والذين اتخذوا من دونه أندادًا يحبونهم كحبه، وعبدوا غيره، هم أهل الشرك الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ النساء: ٤٨.

ولا بد لكل آدمي من اجتماع، ولا بد في كل اجتماع من طاعة ودين، وكل دين وطاعة لا يكون لله فهو باطل، فكل دين سوى الإسلام فهو باطل.

وأيضًا فلا بد لكل حي من محبوب هو منتهى محبته وإرادته، وإليه تكون حركة باطنه وظاهره، وذلك هو إلهه، ولا يصلح ذلك إلا لله وحده لا شريك له، فكل ما سوى الإسلام فهو باطل.

الحب أصل كل عمل والتصديق بالمحبة هو أصل الإيمان:

وإذا كان الحب أصل كل عمل من حق وباطل، وهو أصل الأعمال الدينية وغيرها، وأصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله ﷺ كما أن أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله ﷺ فالتصديق بالمحبة هو أصل الإيمان، وهو قول وعمل كما قد بين في غير هذا الموضع.

ولا ريب أن محبة المؤمنين لربهم أعظم المحبات، وكذلك محبة الله لهم هي محبة عظيمة جدًّا كما في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«يقول الله تعالى من عادي لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلَيَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي**

يمشي. ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه».

وقد تأول الجهمية ومن اتبعهم من أهل الكلام محبة الله لعبده على أنها الإحسان إليه فتكون من الأفعال الاختيارية.

وطائفة أخرى من الصفاتية قالوا: هي إرادة الإحسان، وربما قال كلًّا من القولين بعض المنتسبين إلى السنة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.

وسلف الأمة وأئمة السنة على إقرار المحبة عل ما هي عليه.

حب الله أصل التوحيد العملي:

وإذا كان أصل الإيمان العملي هو حب الله تعالى ورسوله ﷺ وحب الله أصل التوحيد العملي، وهو أصل التأليه الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له. فإن العبادة أصلها أكمل أنواع المحبة مع أكمل أنواع الخضوع، وهذا هو الإسلام.

وأعظم الذنوب عند الله الشرك به، وهو سبحانه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، والشرك منه جليل، ودقيق، وخفي، وجلي، كما في الحديث: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل» فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، إذا كان أخفى من دبيب النمل فكيف نصنع به؟ أو كما قال. فقال: «ألا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت من قليله وكثيره، قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم».

أصل الإشراك العملي بالله الإشراك في المحبة:

فمعلوم أن أصل الإشراك العملي بالله: الإشراك في المحبة، قال تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ فأخبر أن من الناس من يشرك بالله، فيتخذ أندادًا يحبونهم كما يحبون الله، وأخبر أن الذين آمنوا أشد حبًّا لله من هؤلاء، والمؤمنون أشد حبًّا لله من هؤلاء لأندادهم، فإن هؤلاء أشركوا بالله في المحبة، فجعل المحبة مشتركة بينه وبين الأنداد، والمؤمنون أخلصوا دينهم لله الذي أصله المحبة لله، فلم يجعلوا لله عدلًا في المحبة، بل كان الله ورسوله ﷺ أحب إليهم مما سواهما، ومحبة الرسول ﷺ هي من محبة الله، وكذلك كل حب في الله وهو الحب لله.

المؤمنون يحبون لله ويبغضون لله:

كما في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان»** وفي رواية في «الصحيح» أيضًا: **«لا يجد حلاوة الإيمان إلا من كان فيه ثلاث خصال: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار»**.

ولهذا في الحديث: **«من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»**.

وفي الأثر: **«ما تحاب رجلان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حبًّا لصاحبه»**، لأن هذه المحبة من محبة الله، وكل من كانت محبته لله أشد كان أفضل.

وخير الخلق محمد رسول الله ﷺ وخير البرية بعده إبراهيم، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح، وكل منهما خليل الله.

والخلة تتضمن كمال المحبة ونهايتها، ولهذا لم يصلح لله شريك في الخلة، بل قال ﷺ في الحديث الصحيح: **«لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا**

لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله» وفي لفظ: «أنا أبرأ إلى كل خليل من خلته».

فمحبة ما يحبه الله من الأعيان والأعمال من تمام محبة الله، وهو الحب في الله ولله، وإن كان كثير من الناس يغلط في معرفة كثير من ذلك أو وجوده، فيظن في أنواع من المحبة أنها محبة الله ولا تكون لله، ويظن وجود المحبة لله في أمور ولا تكون المحبة لله موجودة، بل قد يعتقد وجود المحبة لله وتكون معدومة، وقد يعتقد في بعض الحب أنه لله ولا يكون لله، كما يعتقد وجود العلم أو العبادة أو غير ذلك من الصفات في بعض الأشخاص والأحوال ولا يكون ثابتًا، وقد يعتقد في كثير من الأعمال أنه معمول لله ولا يكون لله.

فمحبة ما يحبه الله عز وجل من الأعمال الباطنة والظاهرة وهي الواجبات والمستحبات إذا أحببتها لله كان ذلك من محبة الله، ولهذا يوجب ذلك محبة الله لعبده، وكما في الحديث القدسي الصحيح: «يقول الله تعالى: من عادي لي وليًّا، فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضتُ عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه».

وكذلك محبة كلام الله وأسمائه وصفاته، كما في الحديث الصحيح في الذي كان يصلي بأصحابه فيقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إما أن يقرأها وحدها أو يقرأ بها مع سورة أخرى، فأخبروا بذلك النبي ﷺ فقال: «سلوه لم يفعل ذلك» فقال: لأني أحبها، فقال ﷺ: «إن حبك إياها أدخلك الجنة».

وكذلك محبة ملائكة الله وأنبيائه وعباده الصالحين، كما كان عبد الله بن عمر يدعو بالمواقف في حجه، فيقول: اللهم اجعلني أحبك وأحب ملائكتك وأنبياءك وعبادك الصالحين، اللهم حببني إليك، وإلى ملائكتك وأنبيائك وعبادك الصالحين.

محبة الله مستلزمة لمحبة ما يحبه من الواجبات:

ومحبة الله مستلزمة لمحبة ما يحبه من الواجبات كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ آل عمران: ٣١ ، فإن اتباع رسوله هو من أعظم ما أوجبه الله تعالى على عباده وأحبه، وهو سبحانه أعظم شيء بغضًا لمن لم يتبع رسوله، فمن كان صادقًا في دعوى محبة الله اتبع رسوله لا محالة، وكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

الذنوب تنقص من محبة الله:

والذنوب تنقص من محبة الله تعالى بقدر ذلك، لكن لا تزيل المحبة لله ورسوله إذا كانت ثابتة في القلب، ولم تكن الذنوب عن نفاق، كما في «صحيح البخاري» عن عمر بن الخطاب حديث حمار الذي كان يشرب الخمر، وكان النبي يقيم عليه الحد، فلما كثر ذلك منه لعنه رجل فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله**» وفيه دلالة على أنَّا منهيون عن لعنة أحد بعينه، وإن كان مذنبًا، إذا كان يحب الله ورسوله، فكما أن المحبة الواجبة تستلزم لفعل الواجبات، وكمال المحبة المستحبة تستلزم لكمال فعل المستحبات، والمعاصي تنقض المحبة.

أصل العبادة المحبة والشرك فيها أصل الشرك:

ومما يبين ذلك أن أصل العبادة هي المحبة وأن الشرك فيها أصل الشرك كما ذكره الله في قصة إمام الحنفاء إبراهيم الخليل حيث قال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ﴾ الأنعام: ٧٦ وقال في القمر: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾، فلما أفلت الشمس قال: ﴿يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

ولهذا تبرأ إبراهيم من المشركين وممن أشركوا بالله قال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ الشعراء: ٧٥ ـ ٧٧ ، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ الممتحنة: ٤.

محبة الله توجب المجاهدة في سبيله:

وبهذا يتبين أن محبة الله توجب المجاهدة في سبيله قطعًا، فإن من أحب الله تعالى، وأحبه الله: أحب ما يحبه الله، وأبغض ما يبغضه الله، ووالى من يواليه الله وعادى من يعاديه الله، فلا تكون محبة قط إلا وفيها ذلك بحسب قوتها وضعفها، فإن المحبة توجب الدنو من المحبوب، والبعد عن مكروهاته، ومتى كان مع المحبة نبذُ ما يبغضه المحبوب، فإنها تكون تامة، ومتى كان مع المحبة فعل ما يبغضه المحبوب كانت ناقصة.

موادة عدو الله تنافي المحبة:

وأما موادة عدوه، فإنها تنافي المحبة قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ المجادلة:٢٢ ، فأخبر أن المؤمن الذي لا بد أن يكون الله ورسوله ﷺ أحب إليه مما سواهما كما في الحديث المتفق عليه: «**والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من: ولده، ووالده، والناس أجمعين**» لا تجده موادًا لمن حاد الله ورسوله، فإن هذا جمع بين الضدين لا يجتمعان ومحبوب الله ومحبوب معاديه لا يجتمعان.

فالمحب له لو كان موادًا لمحاده لكان محبًّا لاجتماع مراد المتحادين المتعاديين، وذلك ممتنع ولهذا لم تصلح هذه الحالة إلا لله ورسوله، فإنه يجب على العبد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ولا يكون مؤمنًا إلا بذلك، ولا تكون هذه المحبة مع محبة من يحاد الله ورسوله ويعاديه أبدًا، فلا ولاء لله إلا بالبراءة من عدو الله ورسوله.

محبة الله ورسوله على درجتين واجبة ومستحبة:

ومحبة الله ورسوله على درجتين: واجبة وهي درجة المقتصدين، ومستحبة وهي درجة السابقين.

المحبة الواجبة وهي محبة المقتصدين:

فالأولى: تقتضي أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما بحيث لا يحب شيئًا يبغضه كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ

﴿يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وذلك يقتضي محبة جميع ما أوجبه الله تعالى وبغض ما حرمه الله تعالى، وذلك واجب، فإن إرادة الواجبات إرادة تامة تقتضي وجود ما أوجبه، كما تقتضي عدم الأشياء التي نهى الله عنها، وذلك مستلزم لبغضها التام.

فيجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ محمد: ٢٨.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ التوبة: ١٢٥.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ الرعد: ٢٦.

المحبة المستحبة وهي محبة السابقين:

وأما محبة السابقين بأن يحب ما أحبه الله من النوافل والفضائل محبة تامة، وهذه حال المقربين الذين قربهم الله إليه، فإذا كانت محبة الله ورسوله الواجبة تقتضي بغض ما أبغضه الله ورسوله، كما في سائر أنواع المحبة، فإنها توجب بغض الضد علم أن الجهاد من موجب محبة الله ورسوله، فإن مقصود الجهاد تحصيل ما أحبه الله ودفع ما أبغضه الله.

من أحب شيئًا كما يحب الله، أو عظمه كما يعظم الله، فقد أشرك:

فمن أحب شيئًا كما يحب الله أو عظمه كما يعظم الله، فقد جعله لله ندًا، وإن

كان يقول: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ أي يحبونهم كما يحبون الله، والذين آمنوا أشد حبًّا لله منهم؛ لأنهم أخلصوا لله، فلم يجعلوا المحبة مشتركة بينه وبين غيره، فإن الاشتراك فيها يوجب نقصها، والله لا يتقبل ذلك كما في الحديث الصحيح: «**يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملًا أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو كله للذي أشرك**».

فالمؤمن الذي يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، لا بد أن يكون ما أحبه الله ورسوله أحب إليه مما لم يحبه الله ورسوله، وأن يبغض ما يبغضه الله ورسوله، فلا يكون ذلك البغيض أحب إليه من محبوب الله ورسوله.

والحب التام منا مستلزم للإرادة التامة الموجبة للفعل مع القدرة، والبغض التام منا مستلزم للكراهة التامة المانعة للقدرة، فإذا كان العبد قادرًا على محبات الحق ولا يفعلها فلضعف محبتها في قلبه أو وجود ما يعارض الحق مثل محبته لأهله وماله، فإن ذلك قد يمنعه عن فعل محبوب الحق، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

***

بيوت
شعارها الإيمان والخشية من الله

لقد صرنا في زمان تلهَّت فيه البيوت عن طاعة الله وعبادته وخشيته، زمان كثرت فيه الفتن والملهيات، ومالت فيه النفوس إلى الشهوات، فانشغلت البيوت بجمع حطام الدنيا، ونسوا أنهم راجعون إلى ربهم وواقفون بين يديه ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيسألون عن الصغير والكبير والعظيم والحقير.

ومع ذلك فيأمنون مكر الله عز وجل، ولم يخشوا عاقبة مكرهم، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، واتكلوا على عفو الله ونسوا عقوبته، وأمّلوا رحمته ولم يخشوا عذابه، وإذا خُوِّف أهل هذه البيوت عاقبة سعيهم، قالوا: إن الله غفور رحيم.

فالبيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ ليست كهذه البيوت المنغمسة في الشهوات والملذات والملهيات، الآمنة من مكر الله، ولكنها بيوت قائمة على الخشية لله في السر والعلانية، قائمة على الخشية من الله مع الصغير والكبير والقريب والغريب، قائمة على الخشية لله امتثالًا بهدي رسولها ﷺ القائل: «والله إني لأخشاكم لله».

فهذه البيوت تقوم على الخشية لله عز وجل:

الزوج يخشى الله في أولاده وزوجه، وكذلك الزوجة تخشى الله في زوجها وأولادها، وكذلك الأولاد يخشون ربهم في آبائهم وأمهاتهم، والجميع يخشون ربهم في الأقارب والجيران والإخوان، فالخشية خلق جليل عظيم له آثار

وفوائد منها:

١ـ حضور القلب وتهيؤه لطاعة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى﴾ الأعلى:١٠.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ غافر:١٣.

٢ـ الخوف من الله عاصم من الذلل:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأنفال:٢ـ٤.

وقال ﷺ: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»[1].

٣ـ الخوف من الله سبب لنعمة الهداية والتوفيق:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ المائدة:٢٣، والمراد أنعم الله عليهما بنعمة الخوف، أو الإيمان واليقين، أو التوفيق والهداية إلى الحق، وأيًا ما كان المراد فالحاصل أن الخوف نعمة.

٤ـ الخوف من الله يحقق الأمن والنصر والعزة في الدنيا:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأنعام:٨٢.

٥ـ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ الرحمن: ٢٦.

فالخوف من الله سبب في دخول الجنة يوم القيامة.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٠) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى.

٦ـ الخوف من الله والخشية منه والرهبة كذلك من سمات الأنبياء والصديقين والعلماء العالمين وأولياء الله الصالحين:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ الرعد: ٢١.

وقال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ الأنبياء: ٢٦ـ٢٨.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ الأنبياء: ٤٨ـ٤٩.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ الأحزاب: ٣٩.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فاطر: ١٨.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ الزمر: ٢٣.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الملك: ١٢.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١.

ولتعلم هذه البيوت المسلمة أن الخوف والخشية غير مرادين لذاتهما، ولكنهما مرادان لكي يكونا سببًا زاجرًا عن المعاصي، لأن الخوف إذا زاد عن حده فإنه يؤدي إلى اليأس من رحمة الله وهذا كفر، فلابد من الاعتدال في الخوف والرجاء، فالمقياس الذي يقاس به الخوف من الله تعالى، هو مدى الاستجابة لأوامره وترك نواهيه، فالخوف ليس بكثرة البكاء وسكب العبرات، ولكنه بترك المناهي وتحصيل الطاعات.

فإذا أرادت هذه البيوت أن تعرف مدى خوفها وخشيتها لله ومن الله، فلتنظر:

أين أهلها من المحافظة على الصلاة في أوقاتها بخشوع لله تعالى؟

وأين هم من الصيام والزكاة والحج والعمرة.

وأين هم من معرفة حقوق الجيران والفقراء والمساكين وذوي الحاجات؟

أين هم من الحلال والحرام؟

أين هم من ترك الربا، من ترك الرشوة، من ترك الخمر والمخدرات، من ترك الكذب والغيبة والنميمة.

وأين هم من تلاوة القرآن والعمل به وتدبره؟

أين هم من صلة الأرحام؟

أين نساء هذه البيوت من العفة والطهارة والتزام الحجاب؟

أين هن من ترك مخالطة الرجال ومصافحة الأجانب؟

أين أفرادها من ترك سماع الغناء واللهو الصاد عن سبيل الله.

أين هم من إخلاص العمل لله وترك الرياء؟

أين هم من ترك العجب والغرور ومحبطات الأعمال؟

أين هم من حقوق الإخوة في الإسلام؟

أين هم من ترك الخصومات والشحناء؟

أين هم من أوامر الله من حيث الاستجابة والعمل والتنفيذ؟

أين هم من نواهيه سبحانه وتعالى اجتنابًا وابتعادًا وعدم اقتراب؟

* * *

بيوت
تستجيب لله ولرسوله ﷺ في الدين كله

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ الأنفال: ٢٤.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الرعد: ١٨.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ القصص: ٥٠.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ الشورى: ٢٦.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ الشورى: ٣٨.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ الشورى: ٤٧.

إن البيوت المسلمة التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة: بيوت

مستجيبة لله ولرسوله ﷺ في الدين كله.

تستجيب لله تعالى في جميع أوامره من العبادات كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك.

وتستجيب لله تعالى في دعوة عباده إلى عبادته، وتوحيده وحده لا شريك له.

وتستجيب لله تعالى في معاملة الخلق بالعدل والإحسان كما أمر في كتابه وأمر به رسوله ﷺ في سنته.

وتستجيب لله تعالى في تربية الأولاد وتنشئتهم تنشئة إسلامية صحيحة.

ولابد لهذه البيوت أن تستجيب استجابة شاملة للدين كله عبادة ومعاملة وخلقًا وسلوكًا في كل شيء.

فالاستجابة لا تتجزأ ولا يغني بعضها عن بعض، وهي أساس الدين، وهي الترجمة الحقيقية لمعنى الإسلام لله رب العالمين، ترجمة لأوامر القرآن الكريم والسنة المطهرة.

إن سبب ما حل بهذه البيوت من الآفات والبلايا والمشكلات والضنك والضيق والتفرق وتربع الشياطين فيها، لم يكن ذلك إلا بإعراض هذه البيوت عن الاستجابة لله ولرسوله ﷺ.

والاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ فيها سعادة البيوت وأمنها وسلامتها وطمأنينتها، وفيها حياة وكرامة هذه البيوت وذكرها وعلو شأنها ورفعتها في الدنيا والآخرة، وبدون الاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ تكون هذه البيوت في عداد الموتى.

والاستجابة لله ولرسوله هي الحياة الحقيقية، وهي التي تحقق آدمية أفراد هذه البيوت وإنسانيتهم، وترفعهم عن حياة الشهوات البهيمية إلى حياة

سامية، حياة حقيقية في ظل الإيمان والاستجابة لله ولرسوله، حياة لها أهداف وغايات أسمى من التلذذ بالطعام والشراب والشهوات الحسية، أهداف سامية عالية شريفة إيمانية ترجع كلها إلى رضا الله تعالى وابتغاء وجهه تعالى.

وحياة هذه البيوت في ظل الاستجابة لله ولرسوله ﷺ حياة لها غاية نبيلة هي تحقيق كرامة هذه البيوت بتحريرها من الرق والعبودية لجميع الكائنات المخلوقة، إلى التعبد والخضوع لله وحده لا شريك له.

فالاستجابة إذًا تحقق الحياة الكريمة لهذه البيوت وتحررها من العبودية لمخلوق مثله، وهي تحقق السعادة والخير لهذه البيوت في الدنيا والآخرة، وتخلص هذه البيوت من الحيرة والتردد.

كيف تحقق هذه البيوت الاستجابة لله ﷺ؟

الاستجابة لله ولرسوله ﷺ لها شروط لابد من توافرها كي تتحقق لهذه البيوت:

١ـ طرد الغفلة:

فكثير من البيوت غفل أهلها عن الحقيقة المهمة وهي أنهم ما خلقوا إلا للعبادة، ما خلقوا إلا للعمل للآخرة، ما خلقوا إلا لتوحيد الله وحده لا شريك له، ما خلقوا إلا لإقامة شرع الله تبارك وتعالى.

وغفلوا أيضًا عن أمر مهم وهو أن الدنيا فانية وزائلة وأنهم تاركوها ومنتقلون إلى منازل أخرى في الآخرة وحياة حقيقية في الآخرة.

٢ـ التفكر والتذكر:

بعد أن يبتعد أهل هذه البيوت عن الغفلة فلابد أن ينشغلوا بالتفكر والتذكر، فيتفكروا في خلق الله تعالى وقدرته عليهم وعلى بعثهم ومحاسبتهم ومجازاتهم على أعمالهم إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، ويتذكروا نعم الله تعالى

عليهم، فيحصل لهم من ذلك كله يقين بحاجتهم إلى الله تعالى فيقبلوا عليه ويستجيبوا لندائه.

فطرد الغفلة والتفكر والتذكر والتيقظ لأمر الله تعالى مفتاح الاستجابة لله تعالى، إذ لا استجابة لغافل ولا نائم، فلا يستجيب لله ورسوله ﷺ إلا المنتبه اليقظان، المتفكر في خلق الله، المتذكر لشرع الله تعالى.

فهلا سارعت هذه البيوت إلى الاستجابة لله ولرسوله ﷺ قبل فوات الأوان، قبل تحول القلوب، قبل مسابقة الموت، قبل اليقظة على أهوال الآخرة، قبل أن تغلق أبواب التوبة.

قال ابن القيم[1]:

وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: المشهور في الآية أنه يحول بين المؤمن وبين الكفر وبين الكافر وبين الإيمان ويحول بين أهل طاعته وبين معصيته وبين أهل معصيته وبين طاعته، وهذا قول ابن عباس وجمهور المفسرين.

وفي الآية قول آخر: أن المعنى أنه سبحانه قريب من قلبه لا تخفى عليه خافية، فهو بينه وبين قلبه، ذكره الواحدي عن قتادة.

وكأن هذا أنسب بالسياق؛ لأن الاستجابة أصلها بالقلب فلا تنفع الاستجابة بالبدن دون القلب، فإن الله سبحانه بين العبد وبين قلبه، فيعلم هل استجاب له قلبه وهل أضمر ذلك أو أضمر خلافه.

وعلى القول الأول فوجه المناسبة أنكم إن تثاقلتم عن الاستجابة وأبطأتم عنها فلا تأمنوا أن الله يحول بينكم وبين قلوبكم فلا يمكنكم بعد ذلك من

(١) «الفوائد» (ص ٩٠ ـ ٩١).

الاستجابة عقوبة لكم على تركها بعد وضوح الحق واستبانته، فيكون كقوله ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الأنعام: ١١٠، وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ الصف: ٥، وقوله: ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ الأعراف: ١٠١.

ففي الآية تحذير عن ترك الاستجابة بالقلب وإن استجاب بالجوارح.

* * *

بيوت
تنقاد لحكم الله تعالى وحكم رسوله ﷺ
وتحافظ على السنة وآدابها

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ النور:٥١ ـ ٥٢.

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ النساء:٦٥.

فالبيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة تنقاد لحكم الله ورسوله ﷺ وتسمع، وتطيع، وتنفذ، ولا تتكاسل، ولا تتوانى، ولا تتعلل بعلل غير شرعية، ولا تتعذر بأعذار غير شرعية، بل تلبي على الفور.

قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ الحشر: ٧.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ آل عمران: ٣١ ـ ٣٢.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور: ٦٣.

والمراد بالسنة هنا هي طريقته التي كان عليها في عباداته وعقيدته وأخلاقه ومعاملاته، فهي أقواله وأفعاله وإقراراته.

فالبيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة بيوت تحافظ على السنة بجملتها قدر المستطاع في المأمورات، وتجتنب تمامًا المنهيات والمخالفات.

فهي في العقيدة والعبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج تتحرى السنة في ذلك وتتأسى بنبيها ﷺ.

وكذلك في الأخلاق فهي بيوت أفرادها متخلقة بأخلاق نبيها ﷺ التي هي ترجمة لأخلاق القرآن الكريم.

وكذلك في المعاملات فهم يتعاملون فيما بينهم وبين بعضهم وبينهم وبين غيرهم على ضوء الكتاب والسنة، وعند الاختلاف والتنازع يرجعون إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

وكذلك هي بيوت تحافظ على السنة في كل صغيرة وكبيرة في ملبسهم ومأكلهم ومشربهم ومزاحهم وسمرهم ولعبهم، وفي الأذكار المطلقة العامة والأذكار الموظفة الخاصة.

فالآيات السابقة تحث على طاعة النبي ﷺ واتباعه، والاقتداء به، والتحاكم إليه في حياته، وإلى سنته بعد مماته، وبينت أن من علامة حب العبد لله هي اتباعه لرسول الله ﷺ .

وأما الأحاديث فمنها:

الموعظة الجليلة التي وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون قال فيها: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ**»[١].

وقوله: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: وَمن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[٢].

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) رواه البخاري.

والبيت الذي أفراده تجتمع على الكتاب والسنة عقيدة وعبادة وأخلاقًا ومعاملة، علمًا وعملًا، وقولًا، لبيت سعيد آمن مطمئن متعاون متحاب، كالجسد الواحد، لا يدخله شيطان ولا تطيح به العواصف والرياح ولا تزعزعه الشكوك والشبهات.

فهذه البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتحب الله ورسوله ﷺ وتحب الخير والازدياد منه: إذا علمت أو سمعت أمر الله ورسوله ﷺ قالت: سمعنا وأطعنا، ثم فعلت، وعملت، ونفذت، ولا تسأل أواجب أو مستحب، إلا إذا كان على سبيل العلم، فحينئذ لا بأس بالسؤال، ولهذا لم نعهد ولم نعلم أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا أمرهم الرسول ﷺ بأمر قالوا: يا رسول الله، هل هو على سبيل الوجوب أم على سبيل الاستحباب؟ ما سمعنا بهذا، كانوا يقولون: سمعنا وأطعنا، ويفعلون.

فعلى هذه البيوت أن تقول عند حكم الله ورسوله ﷺ: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فتستجيب لحكم الله عز وجل فتخرج المنكرات، وتترك المنهيات، وتأتي بالواجبات كما أمكن، والله ولي التوفيق.

ومن البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة تلك البيوت التي تحرص على تتبع أثر النبي ﷺ حتى في الطعام، وتكره ما يكره، وإن كان شيئًا مباحًا، وهذا ما يبينه لنا بيت أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وأبو أيوب هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف الأنصاري الخزرجي، توفي سنة ٥٠هـ وقيل بعدها.

عن أبي أيوب الأنصاري: أن النبي ﷺ نزل عليه فنزل النبي ﷺ في السفل، وأبو أيوب في العلو، قال: فانتبه أبو أيوب ليلة، فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ، فتنَحَّوْا فباتوا في جانب، ثم قال: لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحول النبي ﷺ في العُلو، وأبو أيوب في السفل، فكان يصنع للنبي ﷺ

طعامًا، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه، فيتتبع موضع أصابعه، فصنع له طعامًا فيه ثُوم، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع النبي ﷺ فقيل له: لم يأكل، ففزع وصعد إليه فقال: أحرام هو؟ فقال النبي ﷺ: **«لا، ولكني أكرهه»** قال: فإني أكره ما تكره، أو ما كرهت[1].

قال النووي رحمه الله:

قوله: «نزل النبى ﷺ فى السفل وأبو أيوب فى العلو» ثم ذكر كراهة أبى أيوب لعلوه ومشيه فوق رأس رسول الله ﷺوأن النبى ﷺ تحول إلى العلو) أما نزوله ﷺأوّلًا فى السفل فقد صرح بسببه وأنه أرفق به وبأصحابه وقاصديه، وأما كراهة أبى أيوب فمن الأدب المحبوب الجميل، وفيه إجلال أهل الفضل، والمبالغة فى الأدب معهم، وفيه منقبة ظاهرة لأبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه من أوجه، منها: نزوله ﷺ ومنها: أدبه معه، ومنها: موافقته فى ترك الثوم.

وقوله: «إنى أكره ما تكره» فمن أوصاف المحب الصادق أن يحب ما أحب محبوبه ويكره ما كره.

قوله: «فكان يصنع للنبى ﷺ طعامًا فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه فيتتبع موضع أصابعه» يعنى إذا بعث إليه فأكل منه حاجته ثم رد الفضلة أكل أبو أيوب من موضع أصابع النبى ﷺ تبركًا.

* * *

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (٢٠٥٣).

بيوت
تحب الله ورسوله ﷺ

الدوافع هي المحرك الرئيسي للكائن الحي، ولهذا يشترك فيها الإنسان والحيوان، وهناك دوافع مشتركة بين الإنسان والحيوان وهي الدوافع الطبيعية التي تدعو لإشباع حاجة الجسم أو الجسد أو البدن، فهي إذًا دوافع مادية: كالطعام والشراب والملبس والمنكح.

وهناك دوافع أخرى خاصة بالإنسان، ويشترك فيها المسلم والكافر أو المشرك وهي الدوافع الروحية القلبية الإيمانية، نعم، المسلم والمشرك الكافر يشتركان فيها، وهذه الدوافع تدفع كل واحد منهما للعمل، فيقترب المسلم من الله وجنته، ويبتعد الكافر عنهما، ويقترب من غضب الله وسخطه وعقابه وناره.

ومن أكبر الدوافع وأهمها، بل هو أساسها وأسها ورأسها: «حب الله ورسوله ﷺ».

وهو أساس قيام بيت المسلم؛ لأن حبَّ الله ورسوله ﷺ دافعٌ لكل خير، ومقربٌ إليه ومبعدٌ عن كل شرٍّ.

فما قيمة بيت لا يحب الله ورسوله ﷺ.

وما قيمة بيت لا يقوم على معرفة خالقه وحبه ومعرفة رسوله وحبه؟!!

عن أنس عن النبي ﷺ قال: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن**

يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يقذف في النار»(١).

قال الحافظ ابن حجر(٢):

(أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما): معناه أن من استكمل الإيمان علم أن حق الله ورسوله آكد عليه من حق أبيه وأمه وولده وزوجه وجميع الناس؛ لأن الهدى من الضلال والخلاص من النار إنما كان بالله على لسان رسوله ﷺ ومن علامات محبته نصر دينه بالقول والفعل والذَّبِّ عن شريعته والتخلق بأخلاقه، والله أعلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**»(٣).

وقوله ﷺ: «حتى أكون أحب» وإن كانت محبة جميع الرسل من الإيمان لكن الأَحَبِيَّة مختصة بسيدنا رسول الله ﷺ.

ورواه البخاري كذلك عن أنس عن النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»(٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع قاله الخطابي.

وقال النووي: فيه تلميح إلى قضية النفس الأمارة والمطمئنة، فإن من رجح جانب المطمئنة كان حبه للنبي ﷺ راجحًا، ومن رجح جانب الأمارة كان حكمه بالعكس.

---

(١) رواه البخاري (١٦) ومسلم (٦٧/ ٤٣).

(٢) «الفتح» (١٠/ ٤٦٣).

(٣) رواه البخاري (١٤).

(٤) «صحيح البخاري» (١٥).

وفي كلام القاضي عياض أن ذلك شرط في صحة الإيمان، لأنه حمل المحبة على معنى التعظيم والإجلال.

وتعقبه صاحب «المفهم» بأن ذلك ليس مرادًا هنا لأن اعتقاد الأعظمية ليس مستلزمًا للمحبة إذ قد يجد الإنسان إعظام شيء مع خلوه من محبته.

قال: فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل إيمانه وإلى هذا يومئ قول عمر الذي سيأتي.

فهذه المحبة ليست باعتقاد الأعظمية فقط، فإنها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعًا.

ومن علامة الحب المذكور أن يعرض على المرء أن لو خُيِّر بين فقد غرض من أغراضه أو فقد رؤية النبي ﷺ أن لو كانت ممكنة فإن كان فقدها أن لو كانت ممكنة أشد عليه من فقد شيء من أغراضه فقد اتصف بالأحبية المذكورة، ومن لا فلا، وليس ذلك محصورًا في الوجود والفقد، بل يأتي مثله في نصرة سنته، والذَّب عن شريعته، وقمع مخالفيها، ويدخل فيه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي هذا الحديث إيماء إلى فضيلة التفكر، فإن الأحبية المذكورة تعرف به، وذلك أن محبوب الإنسان إما نفسه وإما غيرها؛ أما نفسه فهو أن يريد دوام بقائها سالمة من الآفات هذا هو حقيقة المطلوب، وأما غيرها فإذا حقق الأمر فيه فإنما هو بسبب تحصيل نفع ما على وجوهه المختلفه حالًا ومآلًا، فإذا تأمل النفع الحاصل له من جهة الرسول ﷺ الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان إما بالمباشرة وإما بالسبب علم أنه سبب بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي، وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات،

فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره؛ لأن النفع الذي يثير المحبة حاصل منه أكثر من غيره، ولكن الناس يتفاوتون في ذلك بحسب استحضار ذلك والغفلة عنه، ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم من هذا المعنى أتم؛ لأن هذا ثمرة المعرفة، وهم بها أعلم.

وقال القرطبي رحمه الله:

كل من آمن بالنبي ﷺ إيمانًا صحيحًا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة غير أنهم متفاوتون، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى كمن كان مستغرقًا في الشهوات محجوبًا في الغفلات في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي ﷺ اشتاق إلى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وولده وماله ووالده ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة، ويجد مخبر ذلك من نفسه وجدانًا لا تردد فيه، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر لما وقر في قلوبهم من محبته غير أن ذلك سريع الزوال بتوالي الغفلات. انتهى.

وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك**» فقال له عمر: فإنه الآن والله، لأنت أحب إليَّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**»(١).

فحب الله ورسوله ﷺ أصل الإيمان، وعليه تقوم كلمة: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» فإنها بدون حب لا تقبل، والدليل على ذلك النظر في واقع النبي

---

(١) رواه البخاري (٦٢٥٧).

ﷺ وأصحابه:

والمشركون لما لم يكن عندهم محبة الله ورسوله ﷺ فلم يقولوا هذه الكلمة.

والمنافقون قالوها عن غير حب فلم تنفعهم في الآخرة.

والمسلمون قالوها مع غاية الحب، فنفعتهم في الدنيا والآخرة.

حب الله ورسوله ﷺ، وطاعة الله ورسوله ﷺ:

وحب الله ورسوله ﷺ مقرون بطاعتهما، فإنه لا يُتصور ولا يُقبل عقلًا ولا شرعًا أن يدعي مسلم أنه محب لله ورسوله ﷺ وهو لا يطيعهما.

وكما سبق وبينا حال الناس وأحوالهم وأصنافهم في المحبة، فهي كذلك في الطاعة.

* المشركون أو الكافرون انعدمت عندهم محبة الله ورسوله ﷺ ولهذا لا يطيعون في كثير أو قليل.

* والمنافقون لما تظاهروا بالمحبة، قاموا بالطاعة ظاهرًا، ولما كانت قلوبهم خالية من المحبة لم تُقبل طاعتهم بالرغم من قيامهم بها ظاهرًا كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ التوبة:٥٤.

والمسلمون لما رسخت المحبة في قلوبهم أطاعوا الله ورسوله ﷺ طاعة مطلقة، ضُرِب بها المثل، وصارت أسوة وقدوة لمن بعدهم.

وهذا يدل على أن الطاعة تقاس بالمحبة، فكلما عظمت المحبة وكانت صادقة كلما زادت الطاعة وحَسُنت، وكلما قلت المحبة وكانت كاذبة كلما قلَّت الطاعة وصارت ثقيلة على النفس مكروهة لها.

إذًا فالدافع على العبادة، والمحرك لها، والمحرِّض عليها، والباعث لها هو:

الحبُّ.

وهذا مثال على ذلك:

عن أنس أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي بها فأمره أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها فقال له النبي ﷺ: «**أعطها إياه بنخلة في الجنة**» فأبى فأتاه أبو الدحداح فقال: بعني نخلتك بحائطي، ففعل، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني قد ابتعت النخلة بحائطي قال: فاجعلها له فقد أعطيتكها، فقال رسول الله ﷺ: «**كم من عذق راح لأبي الدحداح في الجنة**» قالها مرارًا قال: فأتى امرأته، فقال: يا أم الدحداح، اخرجي من الحائط؛ فإني قد بعته بنخلة في الجنة، فقالت: ربح البيع، أو كلمة تشبهها[1].

وعن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت: ﴿**مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً**﴾ قال أبو الدحداح: يا رسول الله، أو إن الله تعالى يريد منا القرض؟ قال: «**نعم يا أبا الدحداح**» قال: أرني يدك، قال: فناوله قال: فإني أقرضت الله حائطًا فيه ستمائة نخلة، ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط، وأم الدحداح فيه وعياله، فناداها: يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: اخرجي قد أقرضت ربي عز وجل حائطًا فيه ستمائة نخلة.

وقال زيد بن أسلم[2]: لما نزل: ﴿**مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ قال أبو الدحداح: فداك أبي وأمي يا رسول الله! إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض؟ قال: «**نعم يريد أن يدخلكم الجنة به**» قال: فإني إن أقرضت ربي

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٤٦).

(٢) «تفسير القرطبي» (٣/ ٢٢٥).

قرضًا يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي الجنة؟ قال: «نعم» قال: فناولني يدك، فناوله رسول الله ﷺ يده، فقال: إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضًا لله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «**اجعل إحداهما لله، والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك**» قال: فأشهدك يا رسول الله أني قد جعلت خيرهما لله تعالى، وهو حائط فيه ستمائة نخلة، قال: «**إذًا يجزيك الله به الجنة**» فانطلق أبو الدحداح، حتى جاء أم الدحداح، وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل، فأنشأ يقول:

هداك ربي سبل الرشاد إلى سبيل الخير والسداد
بيني من الحائط بالوداد فقد مضى قرضا إلى التناد
أقرضته الله على اعتمادي بالطوع لا من ولا ارتداد
إلا رجاء الضعف في المعاد فارتحلي بالنفس والأولاد
والبر لا شك فخير زاد قدمه المرء إلى المعاد

قالت أم الدحداح: ربح بيعك! بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أجابته أم الدحداح، وأنشأت تقول:

بشرك الله بخير وفرح مثلك أدى ما لديها ونصح
قد متع الله عيالي ومنح بالعجوة السوداء والزهو البلح
والعبد يسعى وله ما قد كدح طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر فقال النبي ﷺ: «**كم من عذق رداح ودار فياح لأبي الدحداح**»[1].

---

(١) حكاه القرطبي في «التفسير» (٣/ ٢٢٥).

فبيتٌ يحب الله ورسوله، يحبه الله ورسوله ﷺ.

وبيتٌ يطيع الله ورسوله، يحبه الله ورسوله ﷺ.

وبيتٌ يعرف حقوق الله وسنة النبي ﷺ ويلتزم بذلك في كل شئونه: بيتٌ تملؤه السكينة والطمأنينة وتحفه الملائكة وتحوطه وتحميه.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

ادعى قوم محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فهذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، ففي الصحيح: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد».

والآية تدل على أن من اتبع النبي ﷺ أحبه الله، وهذا أعظم من حب العبد لله، ولكن الجزاء من جنس العمل، ثم يتكرم الله ويتفضل على عباده فيزيدهم، فقال: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فالاتباع من مكفرات الذنوب.

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ التوبة:٢٣-٢٤.

فالله عز وجل يبين للأمة الإسلامية أنه من آثر أهله وقرابته وعشيرته على

الله ورسوله ﷺ والجهاد في سبيل الله، وقدم محبة أهله وعشيرته وتجارته ومسكنه على محبة الله ورسوله ﷺ، بين الله عز وجل أن من فعل ذلك فهو من الفاسقين، وقد توعده الله وتهدده فقال: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾.

والله عز وجل يأمر بمباينة الكفار وإن كانوا آباء أو أبناءً وينهى عن موالاتهم إن استحبوا الكفر على الإيمان، يعني إن اختاروا أي دين غير دين الإسلام، فإن الدين عند الله الإسلام كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ آل عمران:١٩.

وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وآيات سورة التوبة هذه كقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة:٢٢.

أي لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين كما قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ الآية.

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ

أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره: أنزلت هذه الآية ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر، ولهذا قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة رضي الله عنهم: ولو كان أبو عبيدة حيًّا لاستخلفته.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر، وذكر بعض المفسرين أن الجراح والد أبي عبيدة بن الجراح لقي ابنه أبا عبيدة في يوم بدر، وكان الجراح مشركًا فجعل يغيظ ابنه أبا عبيدة ويكثر عنده من مدح الآلهة التي تُعبد من دون الله، فقصده أبو عبيدة فقتله.

﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ في الصِّدِّيق هَمَّ يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن.

﴿أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ﴾ في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ.

﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ في عمر قتل قريبًا له يومئذ أيضًا وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ، فالله أعلم.

ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين في أسارى بدر، فأشار الصِّدِّيق بأن يفادوا، فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة، ولعل الله تعالى أن يهديهم، وقال عمر: لا أرى ما رأى، يا رسول الله، هل تمكنني من فلان، قريب لعمر، فأقتله وتمكن عليًّا من عَقيل، وتمكن فلانًا من فلان؛ ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا موادة للمشركين.. القصة بكمالها.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي

من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان أي كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته قال السدي: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ جعل في قلوبهم الإيمان.

وقال ابن عباس: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي قواهم.

فمن خلال هذا العرض الصغير يتبين لنا أن البيت المسلم الذي يحبه الله ورسوله بيت يقوم على محبة الله ومحبة رسوله، وتقديم طاعتهما ومرضاتهما على كل شيء.

البيت المسلم يكون ولاؤه لله ورسوله ﷺ.

البيت المسلم يبرأ من أعداء الله ورسوله ﷺ.

البيت المسلم الذي يحبه الله ورسوله ﷺ يجعل من الأبناء والآباء والعشيرة والأموال وسيلة لمرضاة الله ورسوله ﷺ وحب الله ورسوله ﷺ.

وينبغي التنبيه على أن بعض المسلمين يسيئون فهم القضايا المتعلقة بالكفر والإيمان، ولكن من حبهم لله ورسوله ﷺ يريدون القيام بمثل هذه الآية التي في سورة التوبة، فتجدهم يقاطعون أقاربهم وجيرانهم بزعم أنهم فعلوا ما كفروا به.

ولا يمكن عقلًا ولا شرعًا إنكار أن بعض المسلمين قد يفعل ما يكفر به، أو يقول ما يكفر به، لكن الحُكْمُ في ذلك ينبغي أن يكون لأهل العلم، لا أن يكون لكل بيت ولكل أسرة لا سيما تلك البيوت التي قلَّ نصيبها من العلم، فإن الأمر بهذه الصورة المنكرة يكون فوضى وشرًّا وبلاءً عظيمًا.

فأول من يدخل في التحذير من موالاته هو غير المسلم، وأول من يدخل في وجوب عدائه هو غير المسلم.

أما المسلمون الذين يفعلون أو يقولون ما يكفر فاعله أو قائله، فإنه من

الخطأ إطلاق القول بكفرهم بدون إقامة الحجة عليهم، وبدون تحقيق الشروط وانتفاء الموانع.

وهذه أمور لا يحسنها إلا أهل العلم وطلبته الذين هم على بصيرة بأمور دينهم، ولذلك ليس من الصواب أن يجعل البيت المسلم نفسه حكمًا على بيوت الآخرين، فيحكم بكفر هؤلاء ووجوب معاداتهم والبراءة منهم، ويحكم بظلم هؤلاء، وفسق هؤلاء، فهذا شرٌّ عريض، والانشغال بالنفس أولى.

فعلى أهل وصاحب وصاحبة البيت المسلم أن يفتشوا في بيتهم لإصلاح ما وقع فيه من خلل ـ وسيطول ذلك ـ قبلَ الحكم على الآخرين من غير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

وقد قال بعض الحكماء: الخطأ في العفو أولى من الخطأ في العقوبة.

ومثل ذلك لو رأيتَ مسلمًا يفعل أو يقول ما يكفر به، ولكن التمستَ له عذرًا، ولم تتحقق من حاله: هل كفر بذلك أم لا، فإنك قد اجتهدت وقد يكون اجتهادك صوابًا وقد يكون خطأً، فلا ضير أن تسكت عنه ولا تهتم بالحكم عليه، لأنك قد تتبنى القول بكفره فتعامله على ذلك، مع أنه لم يكفر، فقد يكون معذورًا لأي سبب من الأسباب المتقررة شرعًا.

وليس في هذا الكلام دعوة لأن يفعل الناس مايشاءون وأن يقولوا ما يريدون.

وليس في هذا الكلام دعوة لإهمال الولاء والبراء كما قد يتصور بعض الناس.

ولكن هذا الكلام دعوة للعقل والحكمة والتعامل مع الناس برفق وتؤدة لا سيما المسلمين.

***

بيوت
تقوم على العلم الشرعي

البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة: بيوت قائمة على العلم الشرعي الصحيح.

فإن العلم عبادة القلب، وسر حياته، وموطن قوته، والعلم الذي أقصده هو العلم الشرعي الذي غايته البيان والتبليغ وتوحيد الله، فالغاية من العلم إذن هي توحيد الله عز وجل وعبادته، ومن هنا يجب على البيت المسلم القائم على العلم الشرعي أن يظهر عليه أثر التوحيد والعبادة، بالتسليم الكامل للشرع الأغر والخضوع المطلق للدين الأعز.

والعلم نور للقلوب، وصلاح للحياة، والعلم الشرعي ضروري لكل بيت مسلم ولكل فرد مسلم، فهناك الكثير من العبادات والأعمال تحتاج إلى علم بها، فالبيوت الجاهلة تقع فريسة للمعاصي والذنوب والمخالفات والمنكرات والبدع، بينما البيوت العالمة المتعلمة معصومة من ذلك بل هي شمعة وضياء تضيء الطريق للآخرين.

فإن البيت المسلم الذي يحبه الله ورسوله ﷺ بعيد عن الجهل، لأنه بالجهل لا يُعرف الخالق ولا يُعبد ولا يُعرف حلالٌ ولا حرامٌ إلى غير ذلك من الآثار الوخيمة التي تعود على هذا البيت والمجتمع بنتائج سيئة وصور رديئة.

فبالجهل تفشو الفواحش والمعاصي والمنكرات والبدع والأخلاق الذميمة التي تهدم الجبال الراسيات.

وحديثنا عن العلم يقتصر على العلم الشرعي دون العلم الدنيوي نظرًا

لغفلة الكثير من المسلمين عن ذلك العلم الشرعي النافع.

وهذا لا يعني عدم اهتمام البيت بالعلم الدنيوي المباح الذي فيه نفع للإسلام والمسلمين، فالناس ليسوا في حاجة إلى إرشادهم لذلك فهم يعلمونه جيدًا.

فالمراد بالعلم الذي وردت به النصوص في فضله والثواب عليه ورفعة أهله وكونهم ورثة الأنبياء، إنما هو علم الشريعة عقيدة وعملًا، وليس علم ما يتعلق بالدنيا كالحساب والهندسة، وما أشبه ذلك، المراد بالعلم العلم الشرعي؛ الذي جاءت به الشرائع هذا هو العلم الذي يثني الشرع على من أدركه، وعلى من علمه وتعلمه.

والعلم جهاد؛ جهاد في سبيل الله، وعليه يبنى الجهاد وسائر الإسلام، لأن من لا يعلم لا يمكن أن يعمل على الوجه المطلوب، ولهذا قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ [التوبة: ١٢٢] ، يعني لولا نفر بالجهاد من المؤمنين من كل فرقة منهم طائفة، وقعدت طائفة أخرى ليتفقهوا أي الطائفة القاعدون في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم أي رجعوا من الغزو لعلهم يحذرون.

فجعل الله تعالى الفقه في دين الله معادلًا للجهاد في سبيل الله، بل أولى منه؛ لأنه لا يمكن أن يجاهد المجاهد ولا أن يصلي المصلي ولا أن يزكي المزكي ولا أن يصوم الصائم ولا أن يحج الحاج ولا أن يعتمر المعتمر ولا أن يأكل الآكل ولا أن يشرب الشارب ولا أن ينام النائم ولا أن يستقيظ المستيقظ إلا بالعلم، فالعلم هو أصل كل شيء ولذلك قال النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**» قال النووي رحمه الله: فيه فضيلة العلم، والتفقه في الدين، والحث

عليه، وسببه أنه قائد إلى تقوى الله تعالى.

ولا فرق بين المجاهد الذي يُسوي قوسه، وبين طالب العلم الذي يستخرج المسائل العلمية من بطون الكتب، كل منهم يعمل للجهاد في سبيل الله وبيان شريعة الله لعباد الله.

ولهذا كان بعض أهل العلم في مصنفاتهم يعقبون باب الجهاد بباب العلم، ليبينوا أن المجاهد في سبيل الله مثل العالم، وأن الجهاد مثل طلب العلم، بل إن بعض العلماء فضله على الجهاد في سبيل الله.

والصحيح أن في ذلك تفصيلًا، فمن الناس من يكون الجهاد في حقه أفضل، ومن الناس من يكون طلب العلم في حقه أفضل.

فإذ كان الرجل قويًا شجاعًا مقدامًا؛ لكنه في العلم قليل الحفظ قليل الفهم يصعب عليه تلقي العلم، فهنا نقول: الجهاد في حقه أفضل.

وإذا كان بالعكس رجل ليس عنده تلك القوة البدنية أو الشجاعة القلبية لكن عنده حفظ وفهم واجتهاد، فهذا طلب العلم في حقه أفضل.

فإن تساوى الأمران فإن من أهل العلم من رجح طلب العلم؛ لأنه أصل؛ ولأنه ينتفع به الناس كلهم القاصي والداني، وينتفع به من كان حيًا ومن يولد بعد، وينتفع به صاحبه في حياته وبعد مماته، كما قال النبي ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».

وجميع الناس محتاجون للعلم: الأنبياء وغير الأنبياء كلهم محتاجون للعلم، فالرسل محتاجون إلى العلم والزيادة فيه، وإلى سؤال الله عز وجل أن يزيدهم منه، فمن دون الأنبياء من باب أولى.

فجدير بالبيت المسلم أن يسعى في تحصيل العلم ، وأن يسأل أفراده الله

دائمًا أن يزيدهم من العلم.

ولكن إذا سأل العبدُ اللهَ أن يزيده من العلم فلابد أن يسعى في الأسباب التي يحصل بها العلم، أما إن يطلبه ويقول: رب زدني علمًا وهو لم يفعل الأسباب فهذا ليس من الحكمة ولا من الصواب، هذا كمن قال: «اللهم ارزقني ولدًا» ولم يتزوج، فمن أين يأتي هذا الولد؟ فلابد إذا سألت الله شيئًا أن تسعى للأسباب التي يحصل بها؛ لأن الله حكيم، قرن المسببات بأسبابها.

فضل العلم:

قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ آل عمران: ١٨.

❊ قال القرطبي رحمه الله تعالى في «تفسيره»:

هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن العلماء، وقال في شرف العلم لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ طه: ١١٤. فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم.

❊ قال ابن القيم رحمه الله في «مفتاح دار السعادة»:

استشهد سبحانه بأولي العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه:

أحدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر.

والثاني: اقتران شهادتهم بشهادته.

والثالث: اقترانها بشهادة ملائكته.

والرابع: أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم فإن الله لا يستشهد من خلقه

إلا العدول ومنه الأثر المعروف عن النبي ﷺ يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وقال محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة: رأيت رجلًا قدم رجلًا إلى إسماعيل بن إسحاق القاضي، فادعى عليه دعوى، فسأل المدعى عليه فأنكر، فقال للمدعي: ألك بينة؟ قال: نعم فلان وفلان، قال: أما فلان فمن شهودي، وأما فلان فليس من شهودي. قال: فيعرفه القاضي؟ قال: نعم. قال: بماذا؟ قال: أعرفه بكتب الحديث. قال: فكيف تعرفه في كتب الحديث؟ قال: ما علمت إلا خيرًا قال: فإن النبي ﷺ قال: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله» فمن عدله رسول الله ﷺ أولى ممن عدلته أنت. قال: قم فهاته، فقد قبلت شهادته.

الخامس: أنه وصفهم بكونهم أولى العلم، وهذا يدل على اختصاصهم به، وأنهم أهله، وأصحابه ليس بمستعار لهم.

السادس: أنه سبحانه استشهد بنفسه، وهو أجل شاهد، ثم بخيار خلقه، وهم ملائكته والعلماء من عباده، ويكفيهم بهذا فضلًا وشرفًا.

السابع: أنه استشهد بهم على أجل مشهود به، وأعظمه، وأكبره، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم.

الثامن: أنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين، فهم بمنزلة أدلته، وآياته، وبراهينه الدالة على توحيده.

التاسع: أنه سبحانه أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه، ومن ملائكته ومنهم، ولم يعطف شهادتهم بفعل آخر غير شهادته، وهذا يدل على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته، فكأنه سبحانه شهد لنفسه بالتوحيد على ألسنتهم، وأنطقهم بهذه الشهادة، فكان هو الشاهد بها لنفسه؛ إقامة وإنطاقًا

وتعليمًا، وهم الشاهدون بها له إقرارًا واعترافًا وتصديقًا وإيمانًا.

العاشر: أنه سبحانه جعلهم مؤدين لحقه عند عباده بهذه الشهادة، فإذا أدوها فقد أدوا الحق المشهود به، فثبت الحق المشهود به فوجب على الخلق الإقرار به، وكان ذلك غاية سعادتهم في معاشهم ومعادهم، وكل من ناله الهدى بشهادتهم، وأقر بهذا الحق بسبب شهادتهم، فلهم من الأجر مثل أجره، وهذا فضل عظيم لا يدرى قدره إلا الله، وكذلك كل من شهد بها عن شهادتهم، فلهم من الأجر مثل أجره أيضًا، فهذه عشرة أوجه في هذه الآية. انتهى كلامه رحمه الله.

والآيات في فضله كثيرة.

قال اللهُ تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

وقال اللهُ تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

وقال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

وقال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧، ٨].

وقال اللهُ تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

وقال اللهُ تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٤٣].

وقال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وقال اللهُ تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا

ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقال اللهُ تعالى في قِصَّـةِ قارونَ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [القصص: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وأما الأحاديث فمنها:

* عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»**[1].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**[2].

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها، ويعلمها»**[3].

والمراد بالحسد: الغِبطة، وهو أن يتمنى مثله.

والحسد يطلق ويراد به الحسد المحرم الذي هو من كبائر الذنوب، وهو أن يكره الإنسان ما أنعم الله به على غيره.

فقد تجد إنسانًا عنده مال فتكره ذلك، تقول: ليت الله ما رزقه، أو عنده علم فتكره ذلك وتتمنى أن الله لم يرزقه العلم، أو عنده أولاد صالحون فتكره

---

(١) رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧).

(٢) رواه مسلم (١٣/ ٢٦٨٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٧) ومسلم (٨١٦).

ذلك وتتمنى أن الله لم يرزقه، وهلم جرًّا، هذا النوع من الحسد كبائر الذنوب.

أما النوع الثاني من الحسد فهو حسد الغبطة: يعني الذي تغبط به غيرك أن أنعم الله عليه بمال أو علم أو ولد أو جاه أو غير ذلك، فالناس يغبط بعضهم بعضًا على ما آتاهم الله من النعم، يقول: ما شاء الله فلان أعطاه الله كذا، فلان أعطاه الله كذا، حتى لو كان من أمور الدنيا.

لكن لا غبطة إلا في شيئين:

الأول: العلم، العلم النافع، وهو المراد بقوله: «رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها» هذا العلم، إذا مَنّ الله على إنسان بعلم فصار يقضي به بين الناس سواء كان قاضيًا أو غير قاض، وكذلك يقضي به في نفسه وعلى نفسه ويعلم الناس، لأن العلم هو أنفع شيء، بل أنفع من المال، وأنفع شيء للإنسان من الأعمال الصالحة: العلم؛ لأنه إذا مات وانتفع الناس بعلمه جرى ذلك عليه إلى يوم القيامة، كل ما انتفع به الناس فله أجر، والعلم كل ما أنفقت منه وعلمته ازداد، ولهذا من أقوى ما يُثبت العلم، ويُبقي حفظه: أن يعلمه الإنسان غيره؛ لأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، فإذا علمت غيرك علمك الله، وإذا علمت غيرك ثبت العلم في نفسك، لكن لا تتقدم للتعليم إلا وأنت أهل له حتى ينفع الله بك، وحتى لا تفشل أمام الناس؛ لأن الذي يتقدم للتعليم وليس أهلًا بين أمرين: إما أن يقول بالباطل وهو لا يشعر، وإما أن يفشل، وإذا سُئل عجز عن الإجابة مثلًا.

أيضا العلم لا يحتاج إلى تعب؛ إلا في تعلمه، لا يحتاج مثلًا إلى خزائن كالمال، لكن العلم لا يحتاج إلى هذا، خزينته قلبك، وهذه الخزينة معك أينما كنت فلا تخشى عليه، لا تخشى أن يسرق ولا أن يحرق لأنه في قلبك.

فالمهم أن العلم هو أفضل نعمة أنعم الله بها على الإنسان بعد الإسلام

والإيمان ولهذا قال: «رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها».

أما الثاني: «فهو رجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الحق»: يعني صار يبذل ماله فيما يُرضي الله عز وجل، لا يبذله في حرام ولا يبذله في لغو، وإنما يبذله فيما يرضي الله، سلطه الله على هلكته، يعني على إنفاقه في الحق، هذا أيضًا ممن يُغبط، فنحن لا نغبط من عنده مال عظيم لكنه بخيل.

لكن إذا رأينا رجلًا آتاه الله مالًا وصار ينفقه فيما يرضي الله، نقول: ما شاء الله، فهذا يُغبط.

ولا نغبط إنسانًا آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في القصور والديكورات والسيارات الفخمة.

بل نقول هذا مسرف، إذا كان تجاوز الحد فيما ينفق، والله لا يحب المسرفين.

كذلك لا نغبط شخصًا عنده مال فصار ينفقه في صورة جوائز في أشياء لا ينتفع الناس بها لا في دينهم ولا في دنياهم، فإن بعض الناس يعطي جوائز على ألعاب وأشياء من الأمور التي ليس فيها خير لا في الدنيا ولا في الآخرة، فهذا لا نغبطه؛ لأنه لم يُسلط على هلكة ماله في الحق، إنما الذي يغبط من سلطه الله على هلكة ماله في الحق.

والأحاديث أيضًا في فضله كثيرة، ومنها:

* وقال ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه: «**فوالله لأنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيرٌ لَكَ مِن أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَم**»[1].

* وقال ﷺ: «**إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ به مِنَ الهُدَى والعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْها طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ، وكَانَ**

(١) رواه البخاري (٧٩) ومسلم (٢٢٨٢) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

مِنْها أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَاسَ، فَشَرِبُوا مِنها وسَقُوا وَزَرَعوا، وأَصَابَ طائفةً منها أُخْرى إِنَّما هِي قِيعَانٌ لا تُمسك مَاءً ولا تُنبتُ كلأً، فَذَلِك مَثَلُ مَن فَقُهَ فِي دِينِ الله، ونَفَعَهُ مَا بَعَثَني الله به، فعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لَم يَرْفع بِذَلِكَ رأسًا، ولم يَقْبَلْ هُدَى الله الذي أُرْسِلْتُ بِهِ»[(١)].

* وقال ﷺ: «مَن دَعَا إِلى هُدَىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ، لا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيئًا، ومَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَان عَلَيه مِن الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لا يُنْقِص ذَلِكَ مِن آثَامِهِمْ شَيئًا»[(٢)].

والأحاديثُ في ذلك لا تَنحصرُ، وكذلك الآثارُ عن السلفِ.

ومنها: ما رُوي عن عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: العالمُ أَفْضلُ من الصائِمِ القائمِ المجاهدِ، وإذا ماتَ العالمُ ثُلِمَ في الإسلامِ ثَلْمٌ لا يسدُّه إلا خَلَفٌ منه.

وعنه رضي الله عنه: كَفَى بالعلم شَرفًا أن يدّعيه من لا يُحسنه ويفرح إذا نُسِبَ إليه، وكَفى بالجهلِ ذَمًّا أن يتبرّأَ منه مَن هُو فيه.

وعنه رضي الله عنه: العالمُ أعظمُ أجْرًا من الصائِمِ القائِمِ الغازي في سبيلِ الله.

وعنه رضي الله عنه: أنه قال لكُمَيْلِ بن زيادٍ: يا كُمَيلُ، العِلم خيرٌ مِن المال، العلمُ يَحرسُك وأنت تحرسُ المالَ، والعِلمُ حاكمٌ والمالُ محكومٌ عليه، والمالُ تنقصهُ النفقةُ والعِلمُ يَزْكُو على الإنفاقِ.

وعنه رضي الله عنه: قِيمةُ كلِّ امرئ عِلْمُهُ.

وعن عمرَ بن الخطابِ رضي اللهُ عنه: إن الرجُل لَيخرجُ من منزلِهِ وعليْهِ

---

(١) رواه البخاري (٧٩) ومسلم (٢٢٨٢).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٦٧٤).

مِن الذنوبِ مثلُ جبلِ تِهامَةَ، فإذا سمع العلمَ فخافَ واسترجَعَ عن ذنوبِهِ انصرفَ إلى منزلِهِ وليس عليْه ذنبٌ، فلا تفارِقُوا مجالسَ العلماءِ؛ فإن اللهَ تعالى لم يُخرجْ تربةً على وجهِ الأرضِ أكرمَ مِن مَجالسِ العُلماءِ.

وعنه رضي اللهُ عنه: أَيها الناسُ، عليكُم بالعِلمِ؛ فإنّ لله رِدَاءَ محبّةٍ، فمن طلب بابًا من العلم رَدَاه اللهُ بِردَائِهِ، فإذا أذنبَ ذنبًا استَعْتَبه، فإذا أذنبَ ذَنبًا استَعْتَبَهُ، فإذا أذنَبَ ذنبًا اسْتَعْتَبه، لئلّا يسلُبَه رِدَاءَه ذلك، وإن تطاولَ به ذلك الذنبُ حتَّى يموتَ.

ومعنى «استعتبه»: طَلَب عودَه إلى الطاعَةِ. يقال: «اسْتَعْتَبْتُهُ فأَعتَبني» أي: استرضيتُه فأرضاني، و«أعتبني فلانٌ»: إذا عاد إلى مَسرَّتي راجعًا عن الإساءَة.

وعن معاذٍ رضي الله عنه: تَعلّموا العلمَ، فإن تَعلُّمَه لك حَسنة، وطلبَهُ عبادةٌ، ومذاكرتَهُ تَسبيحٌ، والبحثَ عنه جهادٌ، وتَعليمَهُ مَن لا يعلمُهُ صَدقةٌ، وبَذْلَه لأهلِهِ قُرْبةٌ.

وعن أبي الدرداءَ رضي الله عنه: ما نَحن لَولَا كلماتُ الفُقهاءِ.

وعنه: مُذاكرةُ العِلمِ ساعةً خيرٌ من قِيام ليلةٍ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: لَأَنْ أَعلمَ بابًا من العِلم في أمرٍ ونهيٍ أحبُّ إليّ مِن سَبعين غَزوةٍ في سَبيل الله.

وعنه وعن أبي ذرّ رضي الله عنهما: بابٌ من العِلمِ نتعلَّمه أحبُّ إلينا من ألفِ ركعةٍ تطوعًا.

وعن الحسنِ البصريِّ: لَأَنْ أتعلّم بابًا من العِلم فأُعَلِّمَهُ أحبّ إليّ مِنْ أنْ يكونَ لي الدُّنيا كُلّها في سَبيلِ الله.

وعن أبي مسلمِ الخولانيِّ: مَثَلُ العلماءِ في الأرض مَثَلُ النُّجومِ في السماء، إذَا بَدَتْ للنّاسِ اهْتَدوا بها، وإذا خَفيتْ عَليهم تَحيَّروا.

وعن وهبِ بن منبِّهٍ: يَتشعبُ من العِلمِ الشرفُ وإنْ كان صَاحبه دَنيًّا، والعِزُّ وإن كان مَهينًا؛ والقُرْبُ وإن كان قَصِيًّا، والغِنَى وإن كان فَقيرًا، والنُّبْلُ وإن كان حَقِيرًا، والمَهَابَةُ وإن كان وَضِيعًا، والسَّلَامةُ وإن كَان سَقِيمًا.

وعن مكحولٍ رضي الله عنه: ما عُبِدَ اللهُ بأَفْضلَ مِنَ الفِقْهِ.

وعن الزهريِّ رضي الله عنه: ما عُبِدَ اللهُ بِمِثْلِ الفِقْهِ.

وعن سعيدِ بن المسيِّبِ رضي الله عنه: ليسَ عِبادةُ الله بالصَّوْمِ ولا بالصَّلَاةِ ولكن بالفِقْهِ في دِينِه.

يعني: أعظمَها وأفضَلَها، ولأَنهما بِدُونِ فقهٍ مُعرَّضانِ للفسَادِ.

وعن يحيى بن أبي كثير: دِراسةُ العِلمِ صَلاةٌ. أي: بمنزلتِهَا، أو ثوابُهُ كثوابِها، إن لم يُحمَلْ على معناها اللغويِّ وهو الدُّعاء.

وكان ابنُ مسعود رضي الله عنه يُقِلُّ من الصيامِ ويقولُ: إنه يمنعني من القِراءَةِ، وهي أحبُّ إليَّ. وقراءتُه رضي الله عنه كانت تَفقُّهًا.

وعن أبي ذر رضي الله عنه: بابٌ من العلم نتعلمه أحبُ إلينا من ألف ركعة تطوعًا إليَّ.

وعن الفضيلِ بن عياضٍ: عَالمٌ عَاملٌ يُدْعى كبيرًا في ملكوتِ السَّمواتِ.

وعن نوفٍ الشامي قال: مِن كلام المسيح عليه الصلاةُ والسلامُ: مَن عَلِمَ وعَمِلَ وعلَّم فذاك يُدْعَى عَظيمًا في ملكوتِ السماءِ.

وعن الأوزاعيِّ: مَن عَمل بما عَلِم وُفِّقَ لِمَا لا يَعلم.

وعن سُفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ: أَرفعُ الناسِ عندَ الله مَنزلةً مَنْ كان بين الله وبين عبادِهِ، وهُمُ الرُّسُل والعُلماءُ.

وقال سهلُ بنُ عبدِ الله التَّسْتُرِيُّ رضي الله عنه: مَن أرادَ النَّظَر إلى مجالسِ الأَنبياءِ فلينظرْ إلى مَجالسِ العُلماءِ، فاعْرِفوا لَهُمْ ذلك.

وقال سُفيانُ الثوريُّ رضي الله عنه: لَيسَ شيءٌ بعد الفَرَائض أَفْضَلَ مِن طلب العِلْمِ.

ونُقِلَ نحوه عن الشافعيِّ.

وعن الشافعيِّ وأبي حنيفةَ رضي الله عنهما: إن لَم يَكُنِ الفقهاءُ العاملون أولياءَ الله فليس لله وليٌّ.

وقال الشافعيُّ رضي الله عنه: طلبُ العلمِ أَفضلُ مِن صَلاةِ النَّافلةِ.

وقال: مَن طلبَ الدُّنيا فَعَليهِ بالعِلمِ، ومَن طلبَ الآخِرَةَ فعليْهِ بالعِلمِ.

وقال: ما تُقُرِّب إلى الله تعالى بشيءٍ بعدَ الفَرائضِ أَفضلُ من طلبِ العلم.

وقال: من لا يحبّ العِلمَ لا خيرَ فيه، فلا يكن بينَكَ وبينَهُ مَعرفةٌ ولا صَداقةٌ.

وقال: ما أحدٌ أَوْرَع لخالقِهِ مِن الفقهاءِ.

وقال: من تعلَّم القرآنَ عَظُمتْ قِيمتُه، ومَن نظر في الفِقهِ نَبُلَ قَدْرُه، ومَن نَظَر في اللُّغةِ رقَّ طَبعُه، ومَن نَظَر في الحِسَابِ جَزُلَ رأْيُه، ومن كَتَب الحديثَ قَويتْ حُجَّتُه، ومَن لَم يَصُنْ نَفْسَه لم يَنفعْه عِلمُهُ.

وعن أحمدَ بنِ حنبلٍ رضي الله عنه وقيل له: أيُّ شيء أحبُّ إليك: أَجلسُ بالليلِ أَنسخُ أو أُصلي تَطوّعًا؟ قال: نَسْخُكَ تَعلمُ به أمْرَ دِينك فهو أحبُّ إليّ.

وعن الشيخِ أبي إسحاقَ الشيرازيِّ رضي الله عنه: العَوَامُّ يَنْتَسِبُونَ بالأَوْلادِ، والأَغنياءُ بالأَموال، والعُلماء بالعِلْم.

ويقال: إنه قيلَ للإسكندر: ما بالُ تَعظيمك لمؤدّبك أشدُّ من تعظيمك لأبيك؟ فقال: لأنَّ أبي سَببُ حياتي الفَانية، ومُؤدّبي سببُ حياتي الباقية.

ولهم في فَضلِ العِلم أشعارٌ كثيرةٌ حسَنةٌ، من عُيُونِها:

مَا الفَخْرُ إِلَّا لأَهْلِ العِلْمِ إِنَّهُم   عَلَى الهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ

وقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَان يُحْسِنُهُ   والجَاهِلُون لأَهْلِ العِلْمِ أَعْدَاءُ
فَفُزْ بِعِلْمٍ ولا تَجْهَلْ بِهِ أَبَدًا   فَالنَّاسُ مَوْتَى وأَهْلُ العِلْمِ أَحْيَاءُ

وما جاء عن أبي الأَسْود الدُّؤلي رحمه الله تعالى:

العِلْمُ زينٌ وتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ   فاطْلُبْ هُديتَ فُنُونَ العِلْمِ والأَدَبَا
لَا خَيرَ فِيمن له أَصْلٌ بِلَا أَدبٍ   حَتَّى يَكُونَ على مَا زَانَهُ حَدِبَا
كَمْ مِن كَرِيمٍ أَخِي عِيٍّ وطَمْطَمةٍ   فَدْمٍ لَدَى القَوْمِ مَعْرُوفٍ إِذَا انتَسَبَا
فِي بَيتِ مَكْرُمةٍ آبَاؤُه نُجبٌ   كَانُوا الرُّءُوسَ فَأَمْسَى بَعْدَهُم ذَنَبا
وَخَامِلٍ مُقْرِفِ الآباءِ ذِي أَدبٍ   نَالَ المَعَالِيَ بالآدَابِ والرُّتَبَا
أَمْسَى عَزِيزًا عَظِيمَ الشَّانِ مُشتهرا   فِي خَدِّه صَعَرٌ قد ظَلَّ مُحْتَجبَا
العِلْمُ كنزٌ وذُخرٌ لا نَفَاد لَهُ   نِعْمَ القَرِينُ إِذَا مَا صَاحَبَ صُحِبَا
قَدْ يَجْمَعُ المَرْءُ مَالًا ثُمَّ يُحرَمُهُ   عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذُّلَّ والحَرَبَا
وَجَامِعُ العِلْمِ مَغبوطٌ بِهِ أَبدًا   وَلا يُحَاذِرُ مِنه الفَوْتَ والسَّلَبَا
يَا جَامِعَ العِلْمِ نِعْمَ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ   لا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلا ذَهبَا

وما جاء عن الإمام الشافعيِّ رحمه اللهُ:

حَسْبِي بِعلْمِي إِنْ نَفَع   مَا الذُّلُّ إِلَّا فِي الطَّمَعْ
مَن رَاقَبَ اللهَ رَجَعْ   عَنْ سُوءِ مَا كَانَ صَنَعْ
مَا طَارَ طَيرٌ وارْتَفَعْ   إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعْ

ولبعضهم:

تَعلَّمْ فإنَّ العِلمَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ ... وفَضْلٌ وعُنْوانٌ لِأَهْلِ المَحَامِدِ
وكُنْ مُسْتَفِيدًا كُلَّ يوم زِيَادَةً ... مِنَ العِلْمِ واسْبَحْ فِي بِحَارِ الفَوائِدِ
تَفَقَّهْ فإنَّ الفِقْهَ أَفْضَلُ قَائِدٍ ... إِلَى البِرِّ والتَّقْوَى وأَعْدلُ قَاصِد
هُوَ العَلَمُ الهَادِي إلى سُنَنِ الهُدَى ... هُوَ الحِصْنُ يُنجِي مِنْ جَمِيع الشَّدَائِدِ
فَإِنَّ فَقِيهًا وَاحِدًا مُتورِّعًا ... أَشَدُّ عَلى الشَّيْطَانِ مِن أَلْفِ عَابدِ

ولبعضهم:

اخْدُمِ العِلْمَ خِدْمَةَ المُسْتَفِيدِ ... وَأَدِمْ دَرْسَهُ بِفِعْلٍ حَمِيدِ
وإِذَا مَا حَفِظْتَ شَيئًا أَعِدْهُ ... ثُمَّ أكِّدْهُ غَايَةَ التَّأْكِيدِ
ثُمَّ عَلِّقْهُ كَي تَعُودَ إِلَيهِ ... وإِلَى دَرْسِهِ عَلَى التَّأْبِيدِ
وإذَا مَا أَمِنْتَ مِنْهُ فَوَاتًا ... فَانْتَدِبْ بَعْدَهُ لِشَيءٍ جَدِيدِ
مَعَ تِكْرَارِ مَا تَقدَّمَ مِنْهُ ... واقْتِنَاءِ لِشَأنِ هَذَا المزيد
ذَاكِرِ النَّاسَ بالعُلُومِ لِتَحْيَا ... لَا تَكُنْ مِن أُولِي النُّهَى ببَعِيدِ
إِنْ كَتَمْتَ العُلُومَ أُنْسِيتَ حَتَّى ... لَا تُرى غَيْرَ جَاهِلٍ وَبَلِيدِ
ثم أُلْجِمْتَ فِي القِيَامَةِ نَارًا ... وتَلَهَّبْتَ فِي العَذَابِ الشَّدِيدِ

ولبعضهم:

وكُلُّ فَضِيلَةٍ فِيهَا سَنَاءٌ ... وَجَدْتُ العِلْمَ مِن هَاتيكأَسْنَى
فَلَا تَعْتَدَ غيْرَ العِلْمِ ذُخرًا ... فإنَّ العِلمَ كنزٌ لَيْسَ يَفْنَى

وللإمام أبي نصرٍ الحنَّاطِ:

هَذَا الَّذِي لَمْ أَزَلْ أَطْوِي وأَنْشُرُهُ حَتَّى بَلَغْتُ بِهِ مَا كُنْتُ آمُلُهُ

فَدُمْ عَلَيهِ وجَانِبْ مَنْ يُجَانِبُهُ فَالعِلْمُ أَنْفَسُ شَيءٍ أَنْتَ حَامِلُهُ

ولبعضهم:

عَابَ التَّفَقُّهَ قَومٌ لا عُقُولَ لَهُمْ ومَا عَلَيهِ إِذَا عَابُوه مِنْ ضَرَرِ

مَاضرَّ شَمْسَ الضُّحَى والشَّمْسُ طَالِعَةٌ أَنْ لا يَرَى ضَوْءَهَا مَنْ لَيسَ ذَا بَصَرِ

ولبعْضِهِم:

تَفَقَّهْ تَسْتَطِيلُ عَلَى الرِّجَالِ وَتَزْهُو فِي المَحَافِلِ بالكَمَالِ

إِذَا وَقَع القِيَاسُ بِكُلِّ عِلْمٍ فَحَالُ الفِقْهِ يَعْلُو كُلَّ حَالِ

وَمَنْ طَلَبَ التَفَقُّهَ وَانْتَحَاهُ أَنَافَ بِرَأْسِهِ تَاجَ الجَمَالِ

ولآخر:

تَعَلَّمْ فَلَيسَ المَرْءُ يُخْلَقُ عَالِمًا وَلَيْسَ أَخُو عِلمٍ كَمَنْ هُو جَاهِلُ

وإِنَّ كَبِيرَ القَوْمِ لا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا الْتَفَّتْ عَلَيهِ المَحَافلُ

ولآخر:

عَلِّمِ العِلْمَ مَنْ أَتَاكَ لِعِلْمٍ واغْتَنِمْ مَا حَيِيتَ مِنْهُ الدُّعَاء

وَلْيَكُنْ عِنْدَكَ الْغَنِيُّ إِذَا مَا طَلَبَ العِلْمَ والفَقِيرُ سَوَاء

ولآخر:

صَدْرُ المَجَالِسِ حَيثُ حَلَّ لبيبُهَا فكُنِ اللبيبَ وَأَنْتَ صَدْرُ المَجْلِسِ

ولآخر:

وَفِي الجَهْلِ قَبْلَ المَوتِ مَوتٌ لِأَهْلِهِ فَأَجْسَادُهُم قَبْلَ القُبُورِ قُبُورُ
وإِنّ امْرأً لَمْ يَحْيَ بِالعِلْمِ مَيِّتٌ فَلَيسَ لَهُ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورُ

ولبعضهم:

وَلَمْ أَرَ مِنْ عُيُوبِ النَّاسِ عَيبًا كَنَقْصِ القَادِرِين عَلَى الكَمَالِ

وهناك نوع من العلم يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمه وهو العلم الشرعي الذي لا يمكن أداء الواجبات واجتناب المحرمات إلا بعد تعلمه، وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(١)

قال البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى»:

إما أراد ـ والله أعلم ـ العلم العام الذي لا يسع البالغ العاقل جهله، أو علم ما يطرأ له خاصة، أو أراد أنه فريضة على كل مسلم حتى يقوم به من فيه كفاية.

وروى عن ابن المبارك أنه سئل عن تفسير هذا الحديث، فقال: ليس هو الذي يظنون، إنما طلب العلم فريضة أن يقع الرجل في شيء من أمور دينه، فيسأل عنه حتى يعلمه.

وقال البيضاوي:

المراد من العلم هنا ما لا مندوحة للعبد عن تعلمه كمعرفة الصانع والعلم

---

(١) صححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٧٢).

بوحدانيته ونبوة رسوله وكيفية الصلاة، فإن تعلمه فرض عين.

وقال السيوطي رحمه الله في «شرح سنن ابن ماجه»:

فكل مسلم بالغ عاقل من ذكر أو أنثى فرض عليه أن يتعلم ما يلزمه من أحكام الطهارة والصلاة والصيام والزكاة إن كان عنده مال استوفى شروط الزكاة، والحج إن استطاع إليه سبيلًا حتى تصح عبادته، وكذا يجب على كل مسلم أن يعرف ما يحل له ويحرم عليه من المآكل والمشارب والملابس والفروج والدماء والأفعال إذ كل هذا من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.اهـ

وقال المناوي في «فيض القدير شرح الجامع الصغير»:

طلب العلم فريضة على كل مسلم مكلف، وهو العلم الذي لا يقدر المكلف بالجهل به: كمعرفة الصانع، وما يجب له وما يستحيل عليه، ومعرفة رسله، وكيفية الفروض العينية، والمراد بالمعرفة: الاعتقاد الجازم لا على طريق المتكلمين من إحكام الحجج والاستعداد لدفع الشبه، فإنه فرض كفاية، وكذا القيام بعلوم الشرع من تفسير وحديث وفقه وأصول وعلوم العربية، فتعلم ذلك على كل مسلم مكلف حر ذكر غير بليد فرض كفاية، وتعلم الزائد مندوب كتعلم النوافل للعبادة.اهـ

والعلم الشرعي ينقسم إلى قسمين:

فرض عين: يجب على كل إنسان أن يتعلمه.

وفرض كفاية: إذا قام به من يكفي سقط عن بقية الناس، وهناك قسم ثالث يتفرع عن الثاني، وهو إذا ما قام بالعلم من يكفي فيكون للباقين سنة.

أما العلم الفرض العين الذي يجب على كل إنسان: فهو أن يتعلم الإنسان ما يحتاج إليه في أمور دينه الواجبة، كأن يتعلم ما يتعلق بتوحيد الله وبيان ما

ينافيه ويناقضه من الشرك كلَّه جَلِّيه وخفيه صغيره وكبيره، لأن هذا مفروض على كل أحد. كل إنسان يجب عليه أن يعرف توحيد الله ويوحد الله تعالى بما يختص به جل وعلا.

وكذلك أيضًا الصلاة، فالصلاة مفروضة على كل أحد، ولا تسقط عن المسلم أبدًا ما دام عقله ثابتًا، فلابد أن يتعلمها ويتعلم ما يلزم لها من طهارة وغيرها حتى يعبد الله على بصيرة.

وكذلك أيضًا الزكاة لا يجب تعلمها على كل أحد، فمن عنده مال وجب عليه أن يتعلم ما هو المال الزكوي، وما مقدار النصاب، وما مقدار الواجب، ومن الذي تؤتى إليه الزكاة، وما أشبه ذلك، لكن لا يجب على كل واحد أن يتعلم الزكاة، فإذا كان فقيرًا فلماذا نوجب عليه أن يتعلم أحكام الزكاة وهو ليس عنده مال.

وكذلك أيضًا الصوم يجب تعلمه على كل أحد، يجب أن يتعلم الإنسان ماذا يصوم عنه، وما هي المفطرات وما هي نواقض الصوم، وما هي منقصاته، وما أشبه ذلك، فكل إنسان يصوم يجب عليه أن يتعلم ذلك.

وكذلك أيضًا الحج لا يجب على كل أحد أن يتعلمه، وإنما يجب أن يتعلمه من استطاع إليه سبيلًا حتى يحج على بصيرة.

ومع الأسف تجد أن كثيرًا من الناس لا يتعلمون ما يجب عليهم من أحكام دينهم فيقعون في المتاعب، ولاسيما في الحج، وما أكثر الذين يسألون عن أحكام الحج وتجدهم قد وقعوا في خلل كبير؛ لأنهم لم يتعلموا قبل أن يعملوا.

وكذلك أيضًا فالبيع مثلًا له أحكام، ولا يجب على كل إنسان أن يتعلم أحكام البيع، لكن من أراد أن يتّجر ويبيع ويشتري لابد أن يتعلم ما هو البيع الممنوع، وما هو البيع المشروع؛ حتى يكون على بصيرة من أمره.

فتبين الآن أن العلم الشرعي ينقسم إلى قسمين: الأول فرض عين، والثاني فرض كفاية.

وفرض الكفاية يستحب لمن زاد على من تقوم به الكفاية أن يتعلمه ليحفظ شريعة الله ويهدي الله به عباده وينتفع الناس به.

فعلى الأب المسلم أن يتعلم ما عليه من حقوق وواجبات وكيفية تربية الأولاد، وإعداد البيت المسلم وغير ذلك.

وكذلك الزوجة تتعلم ما عليها من حقوق وواجبات، وكيفية إدارة البيت، وحسن تبعلها لزوجها.

وكذلك الأولاد يتعلمون ما عليهم من حقوق وواجبات.

❋ ❋ ❋

صور من حرص البيت المسلم على طلب العلم الشرعي

* عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتهينا أهلينا فسألنا عمن تركنا في أهلينا، فأخبرناه ـ وكان رفيقًا حليمًا ـ فقال: **«ارجعوا إلى أهليكم فعلِّموهم ومروهم وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم»**[(1)].

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال ﷺ: **«اجتمعن في يوم كذا وكذا، في مكان كذا»** فاجتمعن، فأتاهن، فعلمهن مما علمه الله[(2)].

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين[(3)].

* وعَنْ عُمَرَ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ

---

(١) خرجه البخاري (٦٣١).

(٢) رواه البخاري (٧٣١٠).

(٣) رواه مسلم (٣٣٢).

ذَٰلِكَ[١].

* وكان عبد الله بن وداعة ممن يتلقون العلم على الإمام سعيد بن المسيب، وحدث أن تأخر عن الدرس أيامًا ثم حضر كعادته، فسأله الإمام سعيد عن سبب تخلفه فقال: إن زوجته توفيت فشغل بأمرها، واستمر سعيد في درسه حتى إذا ما انتهى هم عبد الله بالانصراف، فناداه الإمام سعيد: هل تزوجت يا عبد الله بعد زوجتك؟ فقال له: يرحمك الله، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ فقال له سعيد: أنا أزوجك، زوجتك ابنتي التي رفضتُ تزويجها الأمير الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان بمشهد إخوانك هؤلاء، فهل قبلت؟ فقال له: نعم قبلت زواج ابنتك، ودخل عبد الله بزوجته التي كانت من أجمل النساء وأحفظهم لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وبحقوق الزوجية، وما إن أسفر الصبح حتى نهض عبد الله يريد أن يخرج، فقالت زوجته: إلى أين، فقال لها: إلى مجلس أبيك أتعلم العلم، فقالت له زوجته: اجلس أعلمك علم سعيد.

* * *

(١) رواه البخاري (٨٩).

بيوت
تعرف المعروف وتأمر به
وتنكر المنكر وتنهى عنه

فالبيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ يتحقق بين أفرادها واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بين الأب وأولاده، وبين الأم وأبنائها، وبين الزوجين بعضهما مع بعض، وبين الأولاد وبعضهم البعض، وبين الأولاد والآباء بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى يتحقق لهم الفلاح في الدنيا والفوز في الآخرة، وحتى تكون هذه البيوت من خير البيوت، وأفرادها من خير الأفراد في الأمة لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ آل عمران: ١١٠، فهذا البيت من خير البيوت، وهو من البيوت المفلحة في الدنيا والآخرة.

والمعروف: كل الطاعات، وأعظم ذلك عبادة الله وحده لا شريك له وإخلاص العبادة له، وترك عبادة ما سواه.

فكل ما أمر الله تعالى به أو أمر به رسوله ﷺ فإنه معروف.

والمنكر: كل ما نهى الله تعالى عنه ورسوله، وأعظمه الشرك بالله عز وجل.

فالبيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ بيوت تعرف المعروف وتأمر به، وتنكر المنكر وتنهى عنه، ولا تحبه، ولا ترضاه، وهي أيضًا خالية من المنكرات التي تبعدها عن محبة الله ورسوله وتحرمها من دخول الملائكة.

***

قيام الزوج بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في البيت

الزوج هو الراعي والمسئول الأول عن هذا البيت، فالواجب عليه أن يقوم بهذا الواجب مع زوجته، فيأمرها بحقوق الله بالقيام والإخلاص فيها لله عز وجل، ثم يأمرها بحقوق المسلمين وحقوق غير المسلمين، وأولى الحقوق، حقوق الزوج، والأقارب والأرحام والجيران، ويأمرها بالحجاب والقرار في البيت إلا لحاجة أو ضرورة، وإذا خرجت تخرج بضوابط شرعية وشروط.

وكذلك يقوم بهذا الواجب مع الأولاد من أمرهم بالصلاة وتعليمهم التوحيد والعقيدة الصحيحة وحقوق الوالدين بعد حق الله تعالى ثم الأقارب والأرحام والجيران مع التوجيه والتربية والإرشاد والنصح، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والقدوة الحسنة الصالحة أمامهم في البيت، فيضرب لهم المثل بشخصه في العبادات والأخلاق والمعاملات.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾ [طه:١٣٢].

والأهل كل من في البيت: من زوجة، وابن، وبنت، وعمة، وخالة، ولد، فكل من في البيت فهم من الأهل، فأمره الله عز وجل أن يأمرهم بالصلاة، وأمره أن يصطبر هو على أدائها، يعني يحض نفسه على الصبر على أداء الصلاة،

ولهذا جاءت التاء التي فيها زيادة البنية وفيها زيادة المعنى اصطبر؛ لأن أصلها «اصتبر عليها».

وذكر الله عن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام أنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، وكان عند ربه مرضيًّا، فقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ مريم: ٥٤ ـ ٥٥، فالإنسان مسئول عن أهله، مسئول عن تربيتهم، حتى ولو كانوا صغارًا إذا كانوا مميزين، أما غير المُميز فإنه يؤمر بما يتحمله عقله.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله ﷺ: «**كخ كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟**»[1].

وفي رواية: «**إنا لا تحل لنا الصدقة**».

وقوله: «كخ كخ» يقال بإسكان الخاء، ويقال بكسرها مع التنوين وهي كلمة زجر للصبي عن المستقذرات، وكان الحسن صبيًّا.

وقوله ﷺ: «**كخ كخ**» يعني أنها لا تصلح لك، ثم أمره ﷺ أن يُخرجها من فيه، وقال: «إنا لا تحل لنا الصدقة».

فالصدقة لا تحل لآل محمد؛ وذلك لأنهم أشرف الناس، والصدقات والزكوات أوساخ الناس، ولا يتناسب لأشراف الناس أن يأخذوا أوساخ الناس، كما قال النبي ﷺ لعمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: «**إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة؛ إنما هي أوساخ الناس**».

---

(١) متفق عليه.

ففي هذا دليل على أن الإنسان يجب عليه أن يؤدب أولاده عن فعل المحرم، كما يجب عليه أن يؤدبهم على فعل الواجب.

وعن أبي حفص عُمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد: ربيب رسول الله ﷺ قال: كُنْتُ غُلامًا في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تَطيشُ في الصَّحْفَة، فقال لي رسولُ الله ﷺ: **«يا غلام سم الله تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك»** فما زالت تلك طعمتي بعد[1].

و«تطيش»: تدور في نواحي الصَّحفة.

عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه، كان ربيب النبي ﷺ؛ لأنه ابن زوجته أم سلمة رضي الله عنها، وكان يأكل مع النبي ﷺ فجعلت يده تطيش في الصحفة، يعني تذهب يمينًا وشمالًا، فقال له النبي ﷺ: **«يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»**.

فهذه ثلاث آداب علمها النبي ﷺ هذا الغلام وهي:

أولًا: **«سم الله»** وهذا عند ابتداء الأكل.

الأدب الثاني: قوله: **«كل بيمينك»**: وهذا أمر على سبيل الوجوب، فيجب على الإنسان أن يأكل بيمينه وأن يشرب بيمينه؛ لأن النبي ﷺ نهى أن يأكل الإنسان بشماله أو أن يشرب بشماله، وأخبر أن الشيطان يفعل هذا، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله، وقد نهينا عن اتباع خطوات الشيطان، ولهذا كان القول الراجح وجوب الأكل باليمين، ووجوب الشرب باليمين، وأن الأكل بالشمال أو الشرب بالشمال حرام، ثم إن الأكل بالشمال والشرب بالشمال مع كونه من هدي الشيطان فهو أيضًا من هدي الكفار؛ لأن الكفار

---

(١) متفق عليه.

يأكلون بشمائلهم ويشربون بشمائلهم.

الأدب الثالث: قوله: «وكل مما يليك»: يعني لا تأكل من حافة غيرك، بل كل من الذي يليك؛ لأنك إذا اعتديت على حافة غيرك فهذا سوء أدب. فكل من الذي يليك، إلا إذا كان الطعام أنواعًا، مثل أن يكون هناك لحم من غير الذي يليك فلا بأس أن تأكل، أو يكون هناك قرع، أو ما أشبه ذلك مما يقصد، فلا بأس أن تأكل من الذي لا يليك؛ لأن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أكلتُ مع النبي ﷺ: «فكان يتتبع الدبّاء من حوالي القصعة»، والدبّاء هو القرع، ويتتبعه يعني يَلتقطه من على الصحفة ليأكله، فهذا لا بأس به.

وفي هذا الحديث من الفوائد: أنه يجب على الإنسان أن يؤدب أولاده على كيفية الأكل والشرب، وعلى ما ينبغي أن يقول في الأكل والشرب، كما فعل النبي ﷺ في ربيبه، وفي هذا حسن خلق النبي ﷺ وتعليمه؛ لأنه لم يزجر هذا الغلام حين جعلت يده تطيش في الصحفة، ولكن علمه برفق، وناداه برفق: «يا غلام سم الله، وكل بيمينك».

وليعلم أن تعليم الصغار مثل هذه الآداب لا ينسى، يعني أن الطفل لا ينسى إذا علمته وهو صغير، لكن إذا كبر ربما ينسى، وربما يتمرد عليك بعض الشيء إذا كبر، لكن ما دام صغيرًا وعلمته يكون أكثر إقبالا، ومن اتقى الله في أولاده اتقوا الله فيه، ومن ضيَّع حق أولاده ضيعوا حقه إذا احتاج إليهم.

* * *

قيام المرأة والزوجة والأم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الزوجة المسلمة في بيتها مع زوجها وأولادها لها دور عظيم ومسئولية كبيرة في فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك من خلال النصوص العامة الدالة على فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك النصوص الخاصة الدالة على مسئولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صراحة، كقوله تبارك وتعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ الأحزاب: ٣٢.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في الآية: أمرهن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولا يظن أحد أن هذا الأمر خاص بأمهات المؤمنين رضي الله عنهن حيث جاء الخطاب لهن، لأن الخطاب وإن كان لهن لكن جميع المسلمات مرادات به.

ويقول أبو بكر الجصاص: فهذه الأمور كلها مما أدب الله تعالى به نساء النبي ﷺ صيانة لهن وسائر نساء المؤمنين مرادات بها.

ومن الأدلة الصريحة في ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ التوبة: ٧١.

قال ابن النحاس الدمشقي رحمه الله:

وفي ذكر الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ هنا: دليلٌ على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: واجب على النساء، كوجوبه على الرجال، حيث وجدت الاستطاعة.اهـ.

ومن الأدلة على ذلك من السنة حديث: «**والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عنهم**»(١).

فكون المرأة راعية يوجب عليها القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند ترك المعروف أو فعل المنكر عند من هي راعية عليهم، وهي كغيرها من الرعاة ستسأل عن ذلك يوم القيامة.

وأهمية قيام المرأة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يظهر من خلال الأسباب التالية:

١ ـ بقاؤها مع الأولاد لفترة أطول من مكث الرجال معهم.

٢ ـ كون الأولاد أكثر التصاقًا بالأمهات من الآباء.

٣ ـ خوف ضياع جهود الرجل الاحتسابية عند عدم انسجام المرأة معه فكريًّا.

٤ ـ لبعض الزوجات أثر عظيم على أزواجهن.

٥ ـ للبنات رعاية كبيرة واهتمام بالغ من قبل بعض الآباء.

٦ ـ للأخوات منزلة خاصة عند بعض الإخوة.

* * *

(١) رواه البخاري (٨٩٣).

نماذج لقيام المسلمات بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

*** أمر أم سليم رضي الله عنها ابنها بأن يقول: لا إله إلا الله:**

أسلمت أم سليم الأنصارية رضي الله عنها، فلم يرض بذلك زوجها مالك بن النضر، وأبدى عدم ارتياحه لذلك، فلم تبال رضي الله عنها بانطباعاته، بل بدأت تلقن ابنها الشهادتين.

فقد روى ابن سعد عن إسحاق بن عبد الله عن جدته أم سليم رضي الله عنها أنها آمنت برسول الله ﷺ فقالت: فجاء أبو أنس وكان غائبًا، فقال: أصبوت؟ قالت: ما صبوت، ولكني آمنت بهذا الرجل، قالت: فجعلت تلقن أنسًا تشير إليه قل: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن محمدًا رسول الله، قال: ففعل، قال: فيقول لها أبوه: لا تفسدي علي ابني، فتقول: إني لا أفسده.

* * *

*** عرض أم سليم رضي الله عنها الإسلام على زوجها مالك بن النضر:**

لم تقف أم سليم رضي الله عنها عند إسلامها وتلقين ابنها الشهادتين رغم معارضة زوجها مالك بن النضر، بل عرضت عليه الإسلام، فغضب عليها، وخرج إلى الشام فهلك هناك.

* * *

❊ أمر أم حكيم بنت الحارث رضي الله عنها زوجها بالإتيان إلى رسول الله ﷺ وقبول الإسلام:

أسلمت رضي الله عنها زوجة عكرمة بن أبي جهل يوم الفتح، وفر زوجها إلى اليمن، وكان النبي ﷺ قد أمر بقتله لما كان قد فعله ضد الإسلام والمسلمين.

استأمنت أم حكيم رضي الله عنها النبي ﷺ لزوجها فلحقت به، وأمرته بالإتيان إلى رسول الله ﷺ وقبول الإسلام، فلم تزل به حتى تحقق بفضل الله تعالى ما أرادت.

فقد جاء في بعض الروايات أنها: أدركته وقد ركب سفينة فنادته: يا ابن عم، هذا أمان معي من رسول الله ﷺ، فإن تسلم وتقبل أمان رسول الله ﷺ فأنا زوجتك و إلا انقطعت العصمة بيني وبينك.

وهذه القصة تبين شدة حرصها رضي الله عنها على إسلام زوجها.

وتبين حقيقة الولاء و البراء عندما وضحت انقطاع الصلة بينهما إن ظل على الكفر.

وتبين استقامتها وصلابتها في دين الله تعالى رضي الله عنها.

❊ ❊ ❊

❊ أمر سلمى زوجها رضي الله عنها بالوضوء عندما أحدث في الصلاة:

أحدث أبو رافع رضي الله عنه وكان يصلي، واستمر في صلاته فأمرته زوجه سلمى رضي الله عنها بأن يتوضأ.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أتت سلمى مولاة رسول الله ﷺ أو امرأة أبي رافع إلى رسول الله ﷺ تستأذنه على أبي رافع قد ضربها.

قالت: قال رسول الله ﷺ لأبي رافع: «**مالك ولها يا أبا رافع؟**» قال: تؤذيني يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**بم أذيته يا سلمى؟**» قالت: ما آذيته بشيء، ولكنه أحدث وهو يصلي، فقلت له: يا أبا رافع، إن رسول الله ﷺ قد أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم الريح أن يتوضأ، فقام فضربني. فجعل رسول الله ﷺ يضحك ويقول: «**يا أبا رافع، إنها لم تأمرك إلا بخير**»(١).

* * *

*** نهي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ابنها عن قبول خطة غير مرضية كراهية الموت:**

حاصر الحجاج بن يوسف الثقفي مكة المكرمة وبها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، فدخل على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فنهته عن قبول أمر لا يراه صحيحًا بسبب الخوف من الموت، فقالت له: إياك أن تُعرض على خطة، فلا توافق، فتقبلها كراهية الموت.

ودخل رضي الله عنه على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم، فقال: يا أمه، خذلني الناس حتى ولدي وأهلي، فلم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك؟

فقالت: أنت والله، يا بني أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له، فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان أمية وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك، وأهلكت من قُتل معك.

(١) رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٢٧٢) وهو حديث حسن.

وإن قلت: كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين، وكم خلودك في الدنيا، القتل أحسن.

فدنا ابن الزبير فقبل رأسها وقال: هذا والله رأيي، والذي قمت به داعيًا إلى يومي هذا، ما ركنت إلى الدنيا، ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تُستحل حُرمته، ولكني أحببت أن أعلم رأيك، فزدتيني بصيرة مع بصيرتي.

* * *

*** أمر أم سعد بن معاذ رضي الله عنهما ابنها بسرعة اللحوق بالجيش الإسلامي:**

رأت أم سعد كبشة بنت رافع الأنصارية رضي الله عنها أثناء غزوة الخندق ابنها سعد بن معاذ رضي الله عنه مارًّا بالحصن الذي كانت فيه، فنبهته إلى تأخره عن الجيش الإسلامي وأمرته بسرعة اللحوق به.

* * *

*** أمر عمرة زوجها رحمها الله تعالى بالقيام للعبادة:**

ذكر ابن الجوزي في «صفة الصفوة» أن عمرة امرأة حبيب العجمي انتبهت ليلة وهو نائم فأنبهته في السحر، وقالت له: قم يا رجل، فقد ذهب الليل وجاء النهار، وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قبلنا ونحن قد بقينا.

الله أكبر، ما أطيب هذا الكلام وأنفعه، وما أسعد البيت الذي يقال ويردد فيه مثل هذا الكلام، اللهم اجعل بيوتنا كذلك، آمين يا ذا الجلال والإكرام.

* * *

نماذج أخرى
لزوجات صالحات زاهدات صابرات مجاهدات

*** خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:**

* عن عائشة رضي الله عنها أنه عندما رجع رسول الله ﷺ أول ما أوحي إليه من غار حراء، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: «**زملوني زملوني**»، فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «**لقد خشيت على نفسي**»، فقالت خديجة: فلا والله ما يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد ابن عم خديجة رضي الله عنها، وكان امرءًا تنصر في الجاهلية. فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: يا ابن أبي ماذا ترى؟ فأخبر الرسول ﷺ ما رأى ـ في الغار ـ وقال ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال الرسول ﷺ: «**أو مخرجي هم؟**» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤذرًا.

ولقد بين النبي ﷺ كيف كانت زوجته خديجة في نصرته ونصر دين الله تعالى فقال ﷺ: «**آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني**

بمالها إذ حرمني الناس».

✽ عائشة رضي الله عنها:

✽ كانت رضي الله عنها زاهدة في الدنيا، فقد أخرج ابن سعد من طريق أم درة قالت: أتيت عائشة بمائة ألف ففرقتها وهي يومئذ صائمة، فقلت لها: أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحمًا تفطرين عليه، فقالت: لو كنت ذكرتيني لفعلت.

✽ أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما:

✽ كانت رضي الله عنها صابرة على الفقر والكفاف مع زوجها، صابرة محتسبة عند الله أجرها، وكانت تقوم بخدمة زوجها وتقوم على قضاء حوائجه بعد أن كانت هي تُخدم في بيت أبيها رضي الله عنهما.

فلقد خرج مسلم عنها قالت: تزوجني الزبير وما له من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه، قالت: فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤنته، وأسوسه، وأدق النوى لناضحته، وأعلفه وأستقي الماء، و أخرز غربه وأعجن، لم أكن أحسن الخبز، وكان يخبز لي جارات من الأنصار وكن نسوة صدق، قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي على ثلث فرسخ.

ومع ما كانت عليه أسماء رضي الله عنها من حال بسيطة فقد كانت كريمة سخية بما عندها، ففي «صحيح مسلم» عنها أنها جاءت للنبي ﷺ فقالت: يا نبي الله، ليس لي من شيء إلا ما أدخل علي الزبير، فهل عليَّ جُناح أن أرضخ مما يدخل عليَّ؟ فقال: «**أرضخي ما استطعت، ولا توعي فيوعي الله عليك**».

*** نسيبة بنت كعب أم عمارة رضي الله عنها:**

* كانت رضي الله عنها من الأنصاريات الأوائل اللائي آمنّ وبايعن فقد كانت من بين الذين بايعوا الرسول ﷺ في بيعة العقبة الكبرى، وكانت رضي الله عنها مجاهدة مدافعة عن رسول الله ﷺ يوم أحد وذلك عندما ترك الرماة مراكزهم ودبت الفوضى في صفوف المسلمين وأخذوا يفرون من حوله ﷺ، ولم يبق حوله من يدافع عنه سوى عشرة من الرجال، فاندفعت أم عمارة نحو الرسول ﷺ تذب عنه وتقاتل من يحاول الاقتراب من رسول الله ﷺ حتى قال: «**ما التفت يمينًا وشمالًا إلا وأنا أراها تقاتل دوني**»[1].

***

(١) ذكر ذلك ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٤١٥) وابن حجر في «الإصابة» (٨/ ٢٦٦).

بيوت
تربي أبناءها على القرآن والسنة
والقصص الإسلامي الصحيح

إن تربية النشء والجيل الصغير: هدف ووسيلة:

فهي وسيلة لتحمل المسئولية والطاعة والعبادة، وجهاد الأعداء والدفاع عن الدين.

وهي هدف لأن معظم العبادات والطاعات، تهدف إلى تربية النفس والبدن، وتزكية الروح، وتطهير القلب.

فهناك كثير من البيوت الإسلامية تربي أبناءها على الأفلام والمسلسلات والمسرحيات والقصص الفاحشة البذيئة، قصص الكافرين والكافرات، قصص الإرهاب والرعب والإجرام والانتقام والعنف، واللامبالاة وعدم الاحترام، قصص تزرع فيهم الرذيلة والعصيان والأخلاق الذميمة، فينشأ الجيل بعيدًا عن ربه وعن دينه وعن أهله ووطنه، بعيدًا عن العبادة والطاعة والأخلاق بعيدًا عن الشجاعة وحب الجهاد والدفاع عن الأمة بعيدًا عن الحقوق والواجبات والمسئولية.

ولكن البيوت المسلمة تربي أبناءها على أخلاق القرآن الكريم وآدابه وحقوقه وواجباته، وعلى قصص القرآن الكريم وأخذ العبرة والعظة منها، ولقد ألف كثير من العلماء في قصص القرآن، وأخرجوا منها العبرة والعظة والدروس المستفادة التي يتربى عليها المسلم في كل زمان ومكان.

وأيضًا يربونهم على السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام قولًا وعملًا واعتقادًا، وأيضًا القصص التي صحت في السنة النبوية، ويربونهم على معرفة غزوات النبي ﷺ مع أخذ المنهج السوي المستقبم منها، والعبرة، والعظة، والدروس المستفادة، وتوضيح حكمة الله عز وجل فيها.

ومنها على سبيل المثال: غزوة بدر، فالدروس المستفادة منها:

١ـ التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب المتاحة.

٢ـ حسن الظن والثقة في وعد الله بنصر الأمة.

٣ـ التسلح بسلاح الإيمان والتقوى والدعاء مع القوة المادية المستطاعة.

٤ـ قوة الإيمان وأهله وإن كانوا قلة، وضعف الكفر وأهله وإن كانوا كثرة.

***

بيوت
قائمة على البصيرة والعزيمة

ما أحوج البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ إلى البصيرة النافذة التي تبين مشتبهات الأمور، وتنير الطريق حيث اختلطت السبل، والتبست معالم الحق ومناراته بدروب الباطل ومسالكه.

ما أحوج هذه البيوت إلى البصيرة بدين الله تعالى وتبين سبيله، والعزيمة الصادقة على سلوك هذه السبيل.

فكما أن الدعوة إلى الله تعالى تقوم على بصيرة لسلامتها من الشرك والبدع والمخالفات، فكذلك هذه البيوت لابد أن تقوم على بصيرة حتى تسلم من الشركيات والبدع والمخالفات، حتى إذا ما تصدى فرد من أفرادها للدعوة إلى الله وتعليم الناس دين الله تعالى وسنة رسوله ﷺ لا يكون متلبسًا بالشركيات والبدع فيوقع غيره فيها إما بجهله وإما بتعصبه والعياذ بالله.

والبصيرة هي قوة نورانية ربانية يخلقها الله تعالى في قلب المؤمن الذي استنار قلبه بالتفكر في طاعة الله تعالى، ولم ينشغل بشيء سوى وعده ووعيده، وجنته وناره، والشوق إلى لقائه، والحذر من سخطه وعقابه.

والقلب المتبصر هو القلب الذي استنار بنور الله عز وجل وعرف الحق من الباطل والسنة من البدعة والحلال من الحرام، ويؤثر الآخرة على العاجلة، ورضوان الله عز وجل على شهواته ورغباته، إنه القلب الذي يرى بنور الله عز وجل.

إنه القلب التقي المؤمن الذي ينكر الفتنة ويتغلب عليها ولا يقع فيها

لتبصره واستنارته فيزداد بصيرة ونورًا حتى يصبح مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، قال ﷺ: **«تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها نُكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين: قلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، وقلب أسود مربادًا كالكوز مجخيًّا: لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه»**(١).

فالبيوت التي رزقت هذه البصيرة في قلوب أفرادها في دين الله عز وجل هي التي تميز بنور الله تعالى بين ما اشتبه عليها من الحلال والحرام وتميز بين الخير والشر.

أصل البصيرة:

وأصل البصيرة وحقيقتها هنا: معرفة أفراد هذه البيوت الغاية التي خُلقوا من أجلها ولأجلها، ألا وهي التي أخبر الله عز وجل عنها في كتابه الحكيم فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

العزيمة: هي عقد القلب على إمضاء الأمر وتنفيذه بعد التبصر بالحق والخير والحلال فيه فيسارع في تنفيذه بلا تردد ولا حيرة.

والبيوت التي لا تقوم على البصيرة والعزيمة بيوت متحيرة مترددة بين الفعل والترك، تائهة عن الجادة والصواب فإذا ما رزقت بالبصيرة والعزيمة زال عنها هذا التردد وذهبت منها تلك الحيرة، لوضوح المراد لديها واكتمال همتها وقوة إرادتها ووضوح غايتها.

ولأهمية العزيمة فقد كان النبي ﷺ دائمًا يتوجه إلى الله عز وجل بطلبها

---

(١) رواه مسلم (١٤٤).

فكان ﷺ يقول: «**اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد**»(١).

الطاعة تحتاج إلى عزيمة:

الطاعة والعمل الصالح لا يتحققان إلا بالعزيمة الصادقة، القائمة على بصيرة وتبصر بالحق والصواب، فالعزيمة هي النية والإرادة الجازمة على الفعل، وقد جاء الحديث: «**إنما الأعمال بالنيات**»(٢) أي أن الأعمال لا تحصل ولا تكون إلا بالنية وهي العزيمة الصادقة والإرادة القوية الجازمة.

وقد أخبر الله عز وجل أن هذه الطاعات والأعمال الصالحة مثل: الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على البلاء كل ذلك يحتاج إلى عزم وإرادة قوية

قال تعالى: ﴿ **يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ** ﴾ [لقمان: ١٧].

العزيمة مفتاح كل خير:

إن العزيمة الصادقة مفتاح كل خير وطاعة وعمل صالح، فلقد كرر الله عز وجل ذكرها في القرآن الكريم، وعلق عليها كثيرًا من الأمور العظيمة التي لا تتحقق إلا بالعزيمة الصادقة من العبد .

فقد علق عليها الصبر والتقوى فقال: ﴿**لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وعلق عليها الصبر والعفو والمغفرة فقال: ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ**

(١) «السلسلة الصحيحة» (٣٢٢٨).

(٢) خرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى: ١٧].

وكذلك وصف الله عز وجل خير خلقه من خيرة رسله بأنهم أولو العزم فقال: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف:٣٥].

إن البيوت التي يحبها الله عز وجل ورسوله ﷺ إذا خلت من الهمة ـ الإرادة والقوة العملية والعزيمة ـ فلا قيمة ولا أثر لأفرادها في المجتمع والأمة، بل ولا في الأسرة، وعلو الهمة إنما يحصل بعلو الغاية والهدف.

فالبيوت المسلمة التي يحبها الله ورسوله لدى أفرادها همة عالية في الطاعة والعبادة والقيام بين يدي الله عز وجل والقراءة والذكر والدعاء، لديهم همة عالية في تحصيل العلم الشرعي، لديهم همة عالية في نشر الدين والدعوة إلى الله عز وجل، لديهم همة عالية في الدفاع والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال واللسان، ولكن لابد حتى تعلو الهمة من الاستعانة بالله عز وجل، والنظر إلى من فوق في الدين والنظر إلى من تحت في الدنيا، مع مصاحبة الأخيار الفضلاء، مع التزام الطاعة والعبادة، والحرص على الوقت، وتجنب الجدال والمراء، مطالعة أخبار السلف في علو الهمة والاقتداء بهم رضوان الله تعالى عليهم.

***

بيوت
عابدة لله رب العالمين

من أهم الصفات التي تتصف بها هذه البيوت القيام بالعبادة الصحيحة لله عز وجل، والقيام بحقوقها وشروطها وأركانها، فهي بيوت تقوم بكل ما يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ ـ قدر المستطاع ـ في جانب العبادة، كي تحظى بحب الله تعالى وحب رسوله ﷺ.

وينبغي التنبيه هاهنا على أن هذه العبادات يجب أن تكون على منهاج النبوة، لا على الآراء والمقاييس والأهواء، فهناك بعض المسلمين لا يعبأون بضوابط العبادة الشرعية الصحيحة التي وضعها الله عز وجل ورسوله ﷺ وإنما الذي يعنيهم هو أداء العبادة فقط، سواء كان ذلك على منهاج النبوة أوَّلًا.

وأظن أن كل من رزقه الله طرفًا من العلم النافع، القائم على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، كما قال ابن القيم رحمه الله:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه

فكل من رزقه الله عز وجل طرفًا من هذا العلم، يدرك كم كان في بيوت أجدادنا وآبائنا من البدع، والخرافات، والاعتقادات الشركية.

وكم كانوا بعيدين ـ إلا من رحمه الله ـ عن العلم الصحيح الذي هو أساس العبادة: فالعبادة على غير علم توقع صاحبها في البدع والخرافات.

ومن علم وفهم وعقل ولم يعمل، فإنه يقع في الاستكبار والعناد والشقاق والعجب والكبر.

ولهذا قال السلف: من ضلَّ من علمائنا ففيه شبه باليهود، ومن ضل من عُبّادنا ففيه شبه بالنصارى.

فبيوت المسلمين ينبغي أن تكون شبه بيوت رسول الله ﷺ وأصحابه، لا شبه بيوت اليهود ولا النصارى.

والله عز وجل أمرنا أن نقول في كل ركعة من ركعات الصلاة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

وفسَّر النبيُّ ﷺ هذه الآية، فذكر أن اليهود هم المغضوب عليهم، وأن النصارى هم الضالون.

وعلَّل أهل العلم ذلك بأن اليهود علموا من التوارة ولم يعلموا بعلمهم، وأن النصارى عملوا على غير علم ولا هدى.

فالطريقتان مذمومتان، فلا ينفع العلم بغير عمل، ولا ينفع العمل على غير علم.

قال البخاري رحمه الله في «صحيحه»: باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾.

فبدأ بالعلم، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقًا يطلب به علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة.

وقال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾.

وقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.

وقال: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

والكتاب والسنة بيَّنا لنا أن العبادات كلها: الظاهرة منها والباطنة، وكذلك الواجبة والمستحبة، يجب أن تكون خالصة لله، وأن تكون وِفْقَ سنة النبي ﷺ، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

فالعمل الصالح في الآية الأولى ما كان موافقًا للسنة، فهذا هو الشرط الأول.

وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ يعني يكون العمل خالصًا لله رب العالمين، ليس فيه رياء ولا سمعة.

والآية الثانية كذلك فقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ فسروه بأن يكون العمل خالصًا وصوابًا.

❊ ❊ ❊

بيوت
المصلين لله رب العالمين

الصلاة صلة بين العبد وبين الرب عز وجل.

فالبيت الذي تقام فيه الصلاة بيت موصول بالله.

والبيت الذي لا تقام فيه الصلاة قُطعت الصلة بينه وبين الله، ومن قُطعت صلته بالله اتصل بالشياطين.

فالبيت الذي لا تقام الصلاة فيه بيت لا يذكر فيه الله إلا قليلًا.

فالبيت الذي لا تقام الصلاة فيه بيت يملؤه النفاق ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ النساء: ١٤٢-١٤٣.

فالبيت الذي لا تقام فيه الصلاة لله رب العالمين بيت مبغوض منبوذ بعيد عن رحمة الله.

فالبيت الذي لا تقام فيه الصلاة لله رب العالمين بيت تحتوشه الشياطين، فتقيل فيه، وتبيت فيه، والنبي ﷺ يخبر عن رجل نام عن صلاة الليل أو الفجر بأنه قد بال الشيطان في أذنه:

فما بالك أخي المسلم ببيت لا يُقام فيه لله!

وما بالك أخي المسلم ببيت لا يُركع فيه لله!

وما بالك أخي المسلم ببيت لا يُسجد فيه لله.

فالبيت الذي لا تقام فيه الصلاة لله رب العالمين بيت كله شر.

فالبيت الذي لا تقام فيه الصلاة لله رب العالمين بيت يملؤه الهم والغم.

فالبيت الذي لا تقام فيه الصلاة لله رب العالمين بيت على شفا جرف هار يوشك أن ينهار بأصحابه في نار جهنم.

فالبيت الذي لا تقام فيه الصلاة لله رب العالمين بيت كفر أو بيت شرك.

فالبيت الذي لا تقام فيه الصلاة لله رب العالمين بيت لا يعرف لله حقًّا ولا يقدره حق قدره.

فالبيت الذي لا تقام فيه الصلاة لله رب العالمين بيت توعد الله أصحابه بسقر كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ المدثر: ٣٨-٤٨.

فالصلاة: من أوكد العبادات والفرائض التي يحبها الله تعالى ورسوله ﷺ.

وهذا كتاب الله عز وجل قد امتلأ بالآيات التي تأمر بإقامة الصلاة والمحافظة عليها، فما أسعد البيوت التي تستجيب لله وللرسول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ الأنفال: ٢٤.

وقال تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ البقرة: ٣.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ البقرة: ٤٣.

وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ البقرة: ٤٥ ـ ٤٦.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ البقرة: ٨٣.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة: ١١٠.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ البقرة: ١٥٣.

وقال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ الأنعام: ٧٢.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ الأعراف: ١٧٠.

والصلاة هي الفارق بين المؤمن وغير المؤمن، وبين البيت المؤمن والبيت غير المؤمن.

وكان النبي ﷺ يحب المداومة على الصلاة ويحب الصلاة لوقتها.

* وعن عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»(١).

---

(١) رواه البخاري (٥٢٧).

* وقال ﷺ: «**حُبب إليّ من دنياكم: النساء والطيب، وجُعلت قرة عيني في الصلاة**»(١).

* وقالت عائشة رضي الله عنها: أحب الصلاة إلى النبي ﷺ ما دووم عليه وإن قلَّت، وكان إذا صلى صلاة داوم عليها(٢).

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يحب أن يصلي حيث أدركته الصلاة(٣).

وكذلك الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يحبون الصلاة ويحبون الصلاة مع النبي ﷺ.

* فعَنْ أُبَىِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ لاَ أَعْلَمُ رَجُلًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ وَكَانَ لاَ تُخْطِئُهُ صَلاَةٌ - قَالَ - فَقِيلَ لَهُ أَوْ قُلْتُ لَهُ لَوِ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِى الظَّلْمَاءِ وَفِى الرَّمْضَاءِ . قَالَ: مَا يَسُرُّنِى أَنَّ مَنْزِلِى إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ، إِنِّى أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِى مَمْشَاىَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرُجُوعِى إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِى، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَدْ جَمَعَ الله لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ**»(٤).

وكانت ركعتا الفجر أحب إليه من الدنيا جميعًا:

* عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال في شأن الركعتين عند طلوع الفجر: «**لهما أحب إليّ من الدنيا جميعًا**»(٥).

* وقال: «**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها**»(٦).

---

(١) رواه النسائي (٧/ ٦١).

(٢) رواه البخاري (١٩٧٠).

(٣) رواه البخاري (٤٢٨).

(٤) رواه مسلم (٦٦٣).

(٥) رواه مسلم (٧٢٥).

(٦) رواه مسلم (٧٢٥).

وكذلك المواظبة على أربع ركعات قبل الظهر:

* عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ صَلاَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ تَطَوُّعِهِ، فَقَالَتْ كَانَ يُصَلِّى فِى بَيْتِى قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّى بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّى بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ، وَيُصَلِّى بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ، وَيَدْخُلُ بَيْتِى فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّى مِنَ اللَّيْلِ تِسْعَ رَكَعَاتٍ فِيهِنَّ الْوِتْرُ، وَكَانَ يُصَلِّى لَيْلاً طَوِيلاً قَائِمًا، وَلَيْلاً طَوِيلاً قَاعِدًا، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ وَهُوَ قَائِمٌ، رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَائِمٌ، وَإِذَا قَرَأَ قَاعِدًا رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَاعِدٌ، وَكَانَ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ[١].

* وقال ﷺ: **«خير صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة»**[٢].

* وقال ﷺ: **«فلأن أصلي في بيتي أحب إليَّ من أن أصلي في المسجد إلا أن تكون صلاة مكتوبة»**[٣].

وكان ﷺ يحب قيام الليل:

* قال ﷺ: **«أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه»**[٤].

* عن ابن عمر عن النبي ﷺ: **«اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورًا»**[٥].

* عن زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: **«فصلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة»**[١].

---

(١) رواه مسلم (٧٣٠).

(٢) رواه البخاري (٦١١٣).

(٣) رواه ابن ماجه (١٣٧٨) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى.

(٤) رواه البخاري (١١٣١).

(٥) رواه البخاري (٤٣٢).

* عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده، فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا**»(١).

* عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة**»(٢).

والمراد بهذه الأحاديث كلها: صلاة النافلة.

والمعنى: اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ليقتدي بكم من لا يخرج إلى المسجد من النساء والأطفال.

وفي الأحاديث الندب إلى صلاة النوافل في البيوت حتى لا تكون البيوت مثل المقابر؛ لأن المقابر لا صلاة فيها، وقيل: فيه الندب إلى صلاة النوافل في البيوت إذ الموتى لا يصلون في قبورهم، فكأنه يقول ولا تكونوا كالموتى الذين لا يصلون في بيوتهم، وهي المقابر.

وقيل: المراد لا تجعلوا بيوتكم وطنًا للنوم فقط لا تصلون فيها، فإن النوم أخو الموت، والميت لا يصلي.

وقيل: المعنى أنه من لم يصل في بيته جعل نفسه كالميت، وبيته كالقبر.

وهذا المعنى شبيه بما روته عائشة أم المؤمنين عن النبي ﷺ في العشر الأواخر من رمضان: «وأحيا ليله»(٣).

فقد قال الحافظ ابن حجر(٤):

---

(١) رواه البخاري (٧٣١).

(٢) رواه مسلم (٧٧٨, ٢١٠).

(٣) رواه مسلم (٧٨٠, ٢١٢).

(٤) «الفتح» (٤: ٢٦٩).

أي أحياه بالطاعة، وأحيا نفسه بالسهر فيه، لأن النوم أخو الموت، وأضافه إلى الليل اتساعًا: لأن القائم إذا حيا باليقظة أحيا ليله بحياته، ونحوه قوله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**» أي لا تناموا فتكونوا كالأموات، فتكون بيوتكم كالقبور.

ومن صفات البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة: أنها بيوت تُقام فيها الصلاة كما أمر الله ورسوله ﷺ من الكبير والصغير، فلا يكفي أن يصلي الكبير وأن يترك الصغير، فإن الله عز وجل يقول: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ طه: ١٣٢.

وقال النبي ﷺ: «**كلكم راع،وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راع في بيته ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيتها ومسئولة عن رعيتها...**» الحديث[(١)].

وهذا الحديث يبين لنا دور كل من الأب والأم في البيت المسلم الذي يحبه الله ورسوله وتدخله الملائكة:

البيت كله مسئول من الراعي وهو الرجل، وذلك بما فضله الله عز وجل، فإنه تعالى قال: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ النساء: ٣٤.

أي الرجل قيم على المرأة، فهو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت، وذلك لأن الله فضل الرجال على النساء بما أنفقوا من أموالهم من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهن في كتابه وسنة نبيه ﷺ فالرجل أفضل من المرأة في نفسه، وله الفضل عليها، فناسب أن يكون قيمًا عليها.

---

(١) رواه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).

فالرجل أمير على المرأة وعليها أن تطيعه فيما أمرها ما لم يأمرها بمعصية، ومن طاعته: أن تكون محسنة لأهله، حافظة لماله، ونفسها، وأولادها.

فالصالحات من النساء هن المطيعات لأزواجهن، الحافظات لأزواجهن في غيبتهم في أنفسهن ومالهم.

ويقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ التحريم: ٦.

أي علِّموهم وأدِّبوهم، واعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أهليكم بالذِّكر؛ ينجيكم الله من النار التي حطبها جثث بني آدم والحجارة، واتقوا الله، وأوصوا أهليكم بتقوى الله.

وقيل: يأمرهم بطاعة الله وينهاهم عن معصية الله، وأن يقوم عليهم بأمر الله ويأمرهم به، ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية فَدَعْتَهم ـ منعتهم ـ عنها، وزجرتهم عنها.

وتدل الآية أيضًا على أنه حق على المسلم أن يعلِّم أهله ما فرضه الله عليهم، وما نهى الله عنه.

فالرجل مسئول عن نفسه وزوجته وأولاده، فمسئوليته أعظم المسئوليات وأكبرها، فليتق الله عز وجل، ولينظر بماذا يجيب الله عز وجل إذا سأله عن رعيته: هل حفظها أم ضيعها؟!

فمن حفظ رعيته حفظه الله.

ومن ضيع رعيته ضيعه الله.

«وكفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت» وهذا الحديث مطلق، فكفى بالمرء أن يضيع من يقوت في الأدب والأخلاق والدين والصلاة والطعام والشراب

والكسوة، وكل شيء.

والمرأة أو الأم لها دور في البيت المسلم الذي يحبه الله ورسوله ﷺ وتدخله الملائكة، فهي تربي أولادها على حُبّ الصلاة وأدائها في أوقاتها مع تعليمهم الطهارة وأحكامها من سنن وواجبات بطريقة سهلة يسيرة يفهمها الأولاد، من دون خوض في الخلافات الفقهية، فقد لا تحسنها الأم نفسها.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية كلامًا عزيزًا جدًّا في بيان دور الأب والأم في تربية الأولاد وحفظهم وصيانتهم، وذلك في سياق كلامه عن البنت إذا كانت بين والدين مطلقين، فهل تُجعل مع الأب أم مع الأم؟ فقال رحمه الله[1]:

فأما البنت إذا خُيرت فكانت عند الأم تارة وعند الأب تارة: أفضى ذلك إلى كثرة بروزها وتبرجها وانتقالها من مكان إلى مكان، ولا يبقى الأب موكلًا بحفظها ولا الأم موكلة بحفظها، وقد عُرف بالعادة أن ما يتناوب الناس على حفظه ضاع، ومن الأمثال السائرة: «لا يصلح القدر بين طباخين» وأيضًا فاختيار أحدهما يضعف رغبة الآخر فى الإحسان والصيانة، فلا يبقى الأب تام الرغبة ولا الأم تامة الرغبة فى حفظها، وليس الذكر كالأنثى كما قالت امرأة عمران: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ فهذه مريم احتاجت إلى من

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٤/ ١٢٨ ـ ١٣٢).

يكفلها ويحضنها حتى أسرعوا إلى كفالتها، فكيف غيرها من النساء؟! وهذا أمر معروف بالتجربة أن المرأة تحتاج من الحفظ والصيانة مالا يحتاج إليه الصبي، وكل ما كان أستر لها وأصون كان أصلح لها، ولهذا كان لباسها المشروع لباسًا يسترها، ولعن من يلبس لباس الرجال، وقال لأم سلمة فى عصابتها: «ليَّةٌ لا ليَّتينِ» رواه أبو داود وغيره، وقال فى الحديث الصحيح: **«صنفان من أهل النار من أمتى لم أرهما بعد: نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، على رؤسهن مثل أسنمة البخت، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، ورجال معهم سياط مثل أذناب البقر، يضربون بها عباد الله»**.

وأيضًا يأمرون المرأة فى الصلاة أن تجمع ولا تجافى بين أعضائها، وتتربع ولا تفترش، وفى الإحرام لا ترفع صوتها إلا بقدر ما تسمع رفيقتها، وأن لا ترقى فوق الصفا والمروة، كل ذلك لتحقيق سترها وصيانتها، ونُهيت أن تسافر إلا مع زوج أو ذى محرم لحاجتها، فيحفظها إلى الرجال مع كبرها ومعرفتها، فكيف إذا كانت صغيرة مميزة وقد بلغت سن ثوران الشهوة فيها، وهى قابلة للانخداع، وفى الحديث: «النساء لحم على وظم إلا ما ذُبَّ عنه» فهذا قياس أن مثل هذه الصفة المميزة من أحوج النساء إلى حفظها وصونها، وترددها بين الأبوين مما يخل بذلك من جهة أنها هى لا يجتمع قلبها على مكان معين، ولا يجتمع قلب أحد الأبوين على حفظها، ومن جهة أن تمكينها من اختيار هذا تارة وهذا تارة يخل بكمال حفظها، وهو ذريعة إلى ظهورها وبروزها، فكان الأصلح لها أن تُجعل عند أحد الأبوين مطلقًا، لا تمكن من التخيير كما قال ذلك جمهور علماء المسلمين مالك وأبو حنيفة وأحمد وغيرهم، وليس فى تخييرها نص ولا قياس صحيح، والفرق ظاهر بين تخييرها وتخيير الابن، لا سيما والذكر محبوب مرغوب، والبنت مزهود فيها، فأحد الوالدين قد يزهد

فيها مع رغبتها فيه، فكيف مع زهدها فيه. فالأصلح لها لزوم أحدهما لا التردد بينهما، ثم هناك يحصل الاجتهاد في تعيين أحدهما، فمن عين الأم كمالك وأبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين: لابد أن يراعوا مع ذلك صيانة الأم لها، ولهذا قالوا ما ذكره مالك والليث وغيرهما: إذا لم تكن الأم في موضع حرز وتحصين أو كانت غير مرضية، فللأب أخذها منها، وهذا هو الذى راعاه أحمد في الرواية المشهورة عن أصحابه، فإنه إذا كان لابد من رعاية حفظها وصيانتها، وأن للأب أن ينتزعها من الأم إذا لم تكن حافظة لها بلا ريب، فالأب أقدر على حفظها وصيانتها وهي مميزة لا تحتاج في بدنها إلى أحد، والأب له من الهيبة والحرمة ما ليس للأم.

وأحمد وأصحابه إنما يقدمون الأب إذا لم يكن عليها في ذلك حرز، فلو قدر أن الأب عاجز عن حفظها وصيانتها أو مهمل لحفظها وصيانتها فانه يقدم الأم في هذه الحالة.

فكل من قدمناه من الأبوين إنما نقدمه إذا حصل به مصلحتها أو اندفعت به مفسدتها، فأما مع وجود فساد أمرها مع أحدهما، فالآخر أولى بها بلا ريب، حتى الصغير إذا اختار أحد أبويه وقدمناه إنما نقدمه بشرط حصول مصلحته وزوال مفسدته.

فلو قدرنا أن الأب ديوث لا يصونه والأم تصونه لم نلتفت إلى اختيار الصبي، فإنه ضعيف العقل قد يختار أحدهما لكونه يوافق هواه الفاسد، ويكون الصبي قصده الفجور ومعاشرة الفجار وترك ما ينفعه من العلم والدين والأدب والصناعة، فيختار من أبويه من يحصل له معه ما يهواه، والآخر قد يرده ويصلحه، ومتى كان الأمر كذلك فلا ريب أنه لا يمكن من يفسد معه حاله.

والنبى ﷺ قال: «**مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرِّقوا بينهم فى المضاجع**» فمتى كان أحد الأبوين يأمره بذلك والآخر لا يأمره كان عند الذى يأمره بذلك دون الآخر؛ لأن ذلك الآمر له هو المطيع لله ورسوله فى تربيته، والآخر عاص لله ورسوله، فلا نقدم من يعصى الله فيه على من يطيع الله فيه، بل يجب إذا كان أحد الأبوين يفعل معه ما أمر الله به ورسوله ويترك ما حرم الله ورسوله والآخر لا يفعل معه الواجب أو يفعل معه الحرام، قُدِّم من يفعل الواجب، ولو اختار الصبى غيره، بل ذلك العاصى لا ولاية له عليه بحال، بل كل من لم يقم بالواجب فى ولايته فلا ولاية له عليه، بل إما تُرفع يده عن الولاية ويُقام من يفعل الواجب، وإما أن نضم إليه من يقوم معه بالواجب، فإذا كان مع حصوله عند أحد الأبوين لا تحصل طاعة الله ورسوله فى حقه ومع حصوله عند الآخر تحصل قُدِّم الأول قطعًا.

انتهى كلامه رحمه الله.

قال مقيده رحمه الله:

وقد ذكر الإمام أبو داود في «سننه» بابًا بعنوان:

«باب متى يؤمر الصبي بالصلاة».

والنبي ﷺ يوجّه أمرًا للأب والأم معًا يقول ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر سنين، وفرِّقوا بينهم في المضاجع**»[(١)].

وفي لفظ: «**مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، وإذا بلغ عشر سنين،**

---

(١) حديث صحيح رواه أبو داود (٤٩٥) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» وفي «إرواء الغليل» (٢٩٨) وهو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

فاضربوه عليها»[(١)].

ويؤدب الغلام على الطهارة والصلاة إذا تمت له عشر سنين، ومعنى التأديب الضرب والوعيد والتعنيف، قال القاضي: يجب على ولي الصبي أن يعلمه الطهارة والصلاة إذا بلغ سبع سنين ويأمره بها ويلزمه أن يؤدبه عليها إذا بلغ عشر سنين، والأصل في ذلك قول النبي ﷺ: «علموا الصبي الصلاة ابن سبع واضربوه عليها ابن عشر» وفي لفظ: **«مروا الصبي بالصلاة لسبع سنين، واضربوه عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»**.

وهذا التأديب المشروع في حق الصبي لتمرينه على الصلاة كي يألفها ويعتادها ولا يتركها عند البلوغ.

قال ابن قدامة في «المغني»: وليست الصلاة واجبة عليه في ظاهر المذهب، ومن أصحابنا من قال: تجب عليه لهذا الحديث، فإن العقوبة لا تشرع إلا لترك واجب. ولأن أحمد قد نقل عنه في ابن أربع عشرة إذا ترك الصلاة يعيد، ولعل أحمد رحمه الله أمر بذلك على طريق الاحتياط فإن الحديث قد ثبت عن رسول الله ﷺ: **«رُفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ»** ولأنه صبيٌّ، فلم يجب عليه كالصغير، وهذا التأديب للتمرين والتعويد كالضرب على تعلم الخط والقرآن والصناعة وأشباهها، ولا خلاف في أنها تصح من الصبي العاقل، ولا فرق بين الذكر والأنثى فيما ذكرناه. اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥٠٤):

ويجب تعليم أولاد المسلمين ما أمر الله بتعليمهم إياه، وتربيتهم على طاعة الله ورسوله، كما قال النبي ﷺ: **«مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع»**. اهـ.

---

(١) حديث صحيح رواه أبو داود في «السنن» (٤٩٤) من حديث سبرة بن معبد رضي الله عنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1]:

يجب على الأولياء أن يأمروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبعًا، ويضربوه عليها لعشر، كما أمر النبي ﷺ حيث قال: «**مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**» وكذلك ما تحتاج إليه الصلاة من الطهارة الواجبة ونحوها. اهـ.

وأما ما روى عن معاذ بن عبد الله بن خبيب الجهني أنه قال لامرأته: متى يصلي الصبي؟ فقالت: كان رجل منا يذكر عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن ذلك. فقال: «**إذا عرف يمينه من شماله فمروه بالصلاة**» فهو حديث ضعيف لا يحتج به[2].

قال بعض أهل العلم:

يعلموهم ما تحتاج إليه الصلاة من شروط وأركان، وأن يأمروهم بفعلها بعد التعليم.

وقال بعضهم: وأجرة هذا التعليم في مال الصبيّ إن كان له مال، وإلا فعلى الولي.

وأما ضربهم عليها وهم أبناء عشر، فإنما أُمر بالضرب لعشر؛ لأنه قَد يتحمل فيه الضرب غالبًا، والمراد بالضرب الضرب اليسير غير المبرح، وأن يتقي الضرب الوجه للنهي عن ضرب الوجه.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام:

الصبي ليس مخاطبًا، وأما هذا الحديث فهو أمر للأولياء؛ لأن الأمر بالشيء ليس أمرًا بذلك الشيء.

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٦٠).
(٢) رواه أبو داود (٤٩٧).

قال: وقد وجد أمر الله للصبيان مباشرة على وجه لا يمكن الطعن فيه، وهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٨ ـ ٥٩].

قال النووي: لفظ «الصبي» يتناول الصبية أيضًا، لا فرق بينهما بلا خلاف.

قال: وأمر الولي للصبي واجب، وقيل بل مستحب.

وقوله ﷺ «بالصلاة»: أي بأن يعلموهم ما تحتاج إليه الصلاة من شروط وأركان، وأن يأمروهم بفعلها بعد التعليم.

* * *

بيوت
صائمة لله رب العالمين

ومن البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة: تلك البيوت التي تعرف فريضة الصيام في نهار رمضان، ونوافل الصيام قبل رمضان وبعده.

ففريضة الصيام فرضها الله على المسلمين البالغين العاقلين المقيمين القادرين، وهذا يشترك فيه الرجال والنساء، ويشترط في حق النساء طهارتهن من الحيض والنفاس.

وفريضة الصيام من أحب العبادات لله رب العالمين، فحيًّا الله بيوتًا صام أهلها لله رب العالمين كما صام النبي ﷺ وأزواجه الطاهرات.

وفريضة الصيام فريضة فرضها الله على أمتنا، وعلى الأمم السابقة، فما أشرف البيوت التي تعرف هذا الفرض وتوفيه حقه!

لقد سمعنا كثيرًا عن بيوت لا يعرف أهلها معنى الصيام، ولا يعرفون عن رمضان وهو شهر الله المعظم لا يعرفون عنه إلا أنه شهر الطعام والشراب!!

فما أخسر أصحاب هذه البيوت !

وما أبعدهم عن الخير والبر والإحسان!

والله لقد ظلموا أنفسهم ظلمًا عظيمًا بإهمال هذه الشعيرة العظيمة ألا وهي الصيام.

أين أصحاب هذه البيوت التي ضيعت الصيام من قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ

عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ سورة البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥.

لقد نسي هؤلاء المفرطون أن الصيام له خاصية ومزيّة ليست لغيره من العبادات، ألا وهي قول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: «**كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنَّة، وإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب، فإذا سابه أحدٌ أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده، لخُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه**»(١).

ما أسعد بيوت المسلمين الصادقين الطائعين التي تعرف هذا الحديث وتقوم به حق قيام لله رب العالمين!

والأحاديث الواردة في فضل الصيام كثيرة مشهورة، وليس هذا محل ذكرها.

ولكن نلفت النظر هنا إلى شيء، وهو المراد بالحديث ألا وهو كيفية تعامل البيت المسلم الذي يحبه الله ورسوله مع فريضة الصيام.

(١) خرجه البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١٦٣/ ١١٥١).

إن بعض بيوت المسلمين تشتكي في رمضان من كثرة النفقات على الطعام والشراب.

وبعض بيوت المسلمين يشتكي أصحابها داء البطن في رمضان.

وبعض بيوت المسلمين تُملأ بالولائم وإعداد السُّفرة كل يوم للأهل والأحباب والأصحاب.

وبعض بيوت المسلمين لا ينام أهلها في رمضان إلا نهارًا، ولا يقومون إلا ليلًا.

وبعض بيوت المسلمين في نهار وليل رمضان تقضي وقتها الغالي الثمين أمام التلفاز لمشاهدة ما يكره الله ورسوله ﷺ.

فهل هذه البيوت عرفت حقيقة الصيام، وما هو وما آدابه، وما هي أخلاق الصائم، وكيف يقضي الصائم نهاره، وكيف يقضي ليله؟!!

إن البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة تعرف حقيقة الصيام، وحقيقته أنه الصيام عما حرَّم الله، أما الصيام عن الطعام والشراب والجماع، فيحسنه كل المسلمين.

إن البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة لا يُسْرفون ولا يقترون ولكن كما قال الله عز وجل في وصف عباده الصالحين:

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾

[الفرقان: ٦٧].

أي: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عدلًا خيارًا وخير الأمور أوسطها، لا هذا ولا ذاك.

وهذا كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ يعني: لا تبالغوا في التضييق على أنفسكم بتحريم المباحات عليكم، وقيل: لا تعتدوا في تناول الحلال، بل خذوا منه بقدر كفايتكم وحاجتكم ولا تجاوزوا الحدَّ فيه كما قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف: ٣١.

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان: ٦٧.

فشرع الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه، لا إفراط ولا تفريط.

إن البيوت التي يحبها الله ورسوله وتدخلها الملائكة تلك البيوت التي تسير على منهاج النبوة في رمضان، فنهار رمضان يُقضى في الصيام، والذِّكر، وتلاوة القرآن، والعمل اليومي العادي الذي يقوم به كل مسلم.

لكن أن يُقضى نهار رمضان كله في النوم، وليل رمضان كله في السَّهَر!

فهل هذا يحبه الله ورسوله ﷺ!

إن البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة تلك البيوت التي تعرف سُنَّة الاعتكاف.

وسنة الاعتكاف سنة صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ وأصحابه الكرام.

روى البخاري[1] عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا دخل العشر [يعني الأواخر من رمضان] شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله.

فعلى الآباء أن يكونوا قدوة لأبنائهم في القيام بهذه السنة النبوية الشريفة، ومن لم يستطع من الآباء القيام بهذه السنة فلا يمنع ولده عن إقامتها.

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٠٢٤).

وبذلك يكون البيت المسلم بيتًا قائمًا على البر والتقوى والرضوان، حتى يكون بيتًا فاضلًا يحبه الله ورسوله ﷺ.

فما أسعد هذه البيوت! وما أشرقها صدرًا، وما أفسحَها على أهلها!

تلك البيوت التي عرفت شهر رمضان معرفة حقيقية وصامت رمضان وقامت على وجه العبادة لا على وجه الإلف والعادة.

فشهر رمضان صورة من صور فضل الله ورحمته:

قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يونس: ٥٨.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ البقرة: ٢٤٣.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ غافر: ٦١.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ النمل: ٧٣.

فكثير من بيوت المسلمين لا يشكر الله عز وجل على إنعامه علينا بشهر رمضان!

وكثير من بيوت المسلمين لا يعلم كم هو فضل الله على الأمة الإسلامية بشهر رمضان!

وهذه سطور قليلة تبين لنا فضل الله عز وجل ورحمته بالمسلمين في شهر رمضان، لعل الله عز وجل أن يردنا إلى الحق بإذنه:

* فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه**»[١].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه**»[٢].

* رواه البخاري (١٩٠١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

فهنيئًا لبيت صام أهله إيمانًا واحتسابًا.

وهنيئًا لبيت قام أهله إيمانًا واحتسابًا.

وهنيئًا لبيت قام أهله ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا.

وهذه صورة لبيت رسول الله ﷺ في رمضان:

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر [يعني الأواخر من رمضان] شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله[٣].

وقد اختُلِف في تفسير قول عائشة «شد مئزره»:

فقيل: هو الاجتهاد في العبادات زيادة على عادته ﷺ في غير العشر الأواخر من رمضان، ومن المشهور أن عادته ﷺ في غير العشر الأواخر أنه كان يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة، وكان يقوم فيها قيامًا طويلًا، ويركع نحوه، ويسجد نحوه، ولما قالت له عائشة رضي الله عنها: قد غفر الله ما تقدم من ذنبك، فهوِّن عليك! قال: «**أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا**».

وقيل «شد المئزر» كناية عن اعتزال النساء للاشتغال بالعبادة!

(١) «صحيح البخاري» (٣٨) «وصحيح مسلم» (١٧٥/ ٧٦٠).

(٢) رواه البخاري (٣٧) ومسلم (١٧٣/ ٧٥٩).

(٣) رواه البخاري (٢٠٢٤).

سبحان الله! هذه صورة بيت رسول الله ﷺ في العشر الأواخر من رمضان، تُرى: كيف هي صورة بيوت المسلمين في العشر الأخيرة من رمضان!

وقولها: «**أحيا ليله**» يعني بالصلاة والذكر.

وقولها: «**وأيقظ أهله**» ينبغي أن نقف عنده وقفة، فالمقصود بأهله نساؤه، أمهات المؤمنين.

فلم يكن النبي ﷺ ممن يهتم بنفسه ويترك أهله، بل أهله أولى الناس بنصحه وتوجيهه.

وهذا ما أريد التنبيه عليه هنا، وهو دور الرجل الذي هو رب الأسرة وراعيها والمسئول عنها، فدوره في استقامة البيت على شرع الله دور كبير، ودوره في قيام أهله وأولاده بالعبادات دور خطير، فلا يصح أن يهمل زوجه، ولا ولده لانشغاله بنفسه، لأنهم مسئولون منه، وهو مسئول عنهم.

* عن أم سلمة قالت: استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال: «**سبحان الله! ماذا أُنزل الليلة من الفتن، وماذا فُتح من الخزائن، أيقظوا صواحب الحُجر، فرُبّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة**»[١].

* وفي رواية للبخاري[٢]: «**من يوقظ صواحب الحُجر** - يريد به أزواجه - **حتى يصلين**».

فالنبي ﷺ يأمر بإيقاظ أزواجه كي يصلين، ويتعوذن من الفتن، ويشهدن نزول الخير، فأشار إلى موجب استيقاظ أهله، أي: ينبغي لهن أن لا يتغافلن عن العبادة، ويعتمدن على كونهن أزواج النبي ﷺ.

فهو ﷺ يُلزم نفسه بالخير، ويُرشِدُ أهل بيته، وينصحهم، ويوجههم، ويحوطهم بالرعاية.

---

(١) رواه البخاري (١١٥).

(٢) (٦٢١٨).

فما أعظم هذا البيت ! وما أحظاه برضا الله !

وقد قام النبي ﷺ بذلك من باب «**ابدأ بنفسك، ثم بمن تعول**».

* عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة ليلة، فقال: «**ألا تصليان**» فقال عليٌّ: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلنا ذلك، ولم يرجع إليَّ شيئًا، قال علي: ثم سمعته وهو مولٍّ يضرب فخذه، وهو يقول: ﴿**وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا**﴾[1] الكهف: ٥٤.

ففي الحديث أنه ينبغي على الرجل المسلم صاحب البيت وراعيه: أن يوقظ النائمين من أهله وقرابته للصلاة بالليل.

وما أريده هنا ليس مجرد الإيقاظ للصلاة بالليل، بل أريد التنبيه على مسئولية صاحب البيت المسلم، وكيف أنه يحوط أهله بالنصيحة، والرعاية، ويتخولهم بالموعظة، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر.

تلك صورة البيت الذي يحبه الله ورسوله ﷺ وتدخله الملائكة.

* * *

(١) رواه البخاري (١١٢٧).

بيوت
يتلى فيها كتاب الله

إن من أحب البيوت لله ورسوله ﷺ: البيوت التي يُتلى فيها كتاب الله عز وجل بالليل والنهار.

والقرآن: كلام الله عز وجل، وهو صفة من صفاته، فالقرآن كلام الله عز وجل حقيقة لا مجازا ولا عبارة عما في النفس، والله عز وجل يتكلم بكلام حقيقي بصوت وحرف، هذه عقيدة السلف، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ التوبة: ٦.

وهو غير مخلوق، قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ الزمر: ٢٨ قيل: غير مخلوق. وهذا بإجماع أهل السنة.

فالقرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق، من قال غير ذلك فهو كافر بالله العظيم، فمنه بدأ وإليه يعود، وأهل السنة مطبقون على هذا القول.

ولا خلاف بين أهل السنة أن القرآن اسم لكلام الله عز وجل الذي جاء به رسول الله محمد ﷺ، معجزة له، وأنه محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف، مُبرأ من الزيادة والنقصان.

ومن فضل القرآن أنه كلام الله رب العالمين، فهو كلام من ليس كمثله شيء، وصفة من لا شبيه له ولا ند.

وقد مدحه الله تبارك وتعالى في آيات كثيرة كقوله: ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ﴾ الأنعام: ٩٢.

وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ الإسراء: ٩.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤١-٤٢.

فما أعظم هذه البيوت التي يكون القرآن أساسًا لها وحكمًا فيها!

ما أعظم هذه البيوت التي يُتلى فيها كتاب الله رب العالمين!

ما أعظم البيت الذي فيه من يحفظ كتاب الله ويتعلمه ويعلمه! إنه خير بيت في الأرض.

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه مرفوعًا: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[1].

وأهل هذا البيت أهل الله وأحبابه، وخاصته من خلقه، وإن لم يكونوا من أصحاب الأموال، والجاه، والسلطان، فأهل الله وخاصته حملة كتابه، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عز وجل أهلين من الناس**» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**أهل القرآن هم أهل الله و خاصته**»[2].

فهؤلاء هم حفظة القرآن العاملون به، هم أولياء الله، والمختصون به اختصاص أهل الإنسان به، فهم خاصته، أي: أحباؤه من خلقه الداخلين في حزبه تعالى.

إن البيوت التي يقوم أهلها بالقرآن، ويحفظ أهلها القرآن، ويتلى فيها القرآن هي البيوت المسلمة المؤمنة حقًا.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) حديث صحيح: رواه النسائي (٨٠٣١) وأحمد (٣/ ١٢٧).

هي البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة.

وكثير من بيوت المسلمين تملؤها المصاحف المعلقة المزخرفة! لكن هل هذا هو المراد؟!

قال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه: اقرءوا القرآن، ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة، فإن الله لا يعذب قلبًا هو وعاء للقرآن.

وصدق رحمه الله، فإن الله عز وجل لا يعذب أهل بيت يحفظون كتابه، ويعملون به، ويقومون به، ويدعون إليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة»**(١).

ويقول أبو هريرة: إن البيت الذي يُتلى فيه القرآن اتسع بأهله، وكثر خيره، وحضرته الملائكة، وخرجت منه الشياطين، وإن البيت الذي لا يُتلى فيه كتاب الله عز وجل: ضاق بأهله، وقلَّ خيره، وخرجت منه الملائكة، وحضرته الشياطين.

إن البيوت التي يُتلى فيها القرآن تغشاها السكينة، وتنزل عليها الملائكة:

فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قرأ رجل سورة الكهف، وفي الدار دابة، فجعلت تنفر، فسلَّم، فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيته، فذكره للنبي ﷺ فقال: **«اقرأ فلان، فإنها السكينة نزلت للقرآن، أو تنزلت للقرآن»**(٢).

وفي رواية عن البراء قال: بينما رجل من أصحاب النبي ﷺ يقرأ، وفرس له مربوط في الدار، فجعل ينفر، فخرج الرجل فنظر، فلم ير شيئًا، وجعل

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (٧٨٠).

(٢) رواه البخاري (٣٦١٤).

ينفر، فلما أصبح، ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**تلك السكينة تنزلت للقرآن**»[١].

وفي رواية عن البراء قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين، فتغشته سحابة، فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «**تلك السكينة تنزلت للقرآن**»[٢].

وعن أسيد بن جعفر رضي الله عنه قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس، فسكت، فسكتت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف، وكان ابنه يحيي قريبًا منها، فأشفق أن تصيبه، فلما أخبره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدَّث النبي ﷺ فقال: «**اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير**» قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيي، وكان منها قريبًا، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظُّلة فيها أمثال المصابيح فخرجتْ حتى لا أراها. قال: «**وتدري ما ذاك؟**» قال: لا. قال: «**تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم**»[٣].

فالبيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة بيوت يتلى فيها كلام الله، ويعمل به، بيوت مجتمعة على قراءة القرآن حتى تتنزل عليها السكينة والرحمة وتغشاها الرحمة وتحفها الملائكة ويذكرها الله تعالى عنده في الملأ الأعلى.

***

(١) رواه البخاري (٤٨٣٩).

(٢) رواه البخاري (٥٠١١).

(٣) رواه البخاري (٥٠١٨).

بيوت
يذكر فيها اسم الله كثيرًا

ذكْرُ الله تعالى حياة البيوت، كما أنه حياة القلوب والأرواح، وهو حصن حصين من الشيطان الرجيم، وذكر الله اطمئنان للقلب وراحة للبدن وتزكية للروح والنفس، فالبيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتحب الله ورسوله ﷺ دائمة الذكر لله عز وجل.

وليُعلم أن ذكر الله تعالى يكون بالقلب ويكون باللسان ويكون بالجوارح، أما القلب فهو التفكر، ذكر الله تعالى بالقلب أن يتفكر الإنسان في أسماء الله وصفاته وأحكامه وأفعاله وآياته، وأما الذكر باللسان فظاهر، ويشمل كل قول يقرب إلى الله عز وجل من التهليل والتسبيح والتكبير وقراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقراءة السنة وقراءة العلم، كل قول يقرب إلى الله فهو ذكر لله عز وجل.

وأما ذكر الله بالأفعال: فهو ذكر الله بالجوارح فهو كل فعل يقرب إلى الله كالقيام في الصلاة والركوع والسجود والقعود، وغير ذلك، لكن يطلق عرفًا على ذكر الله تعالى التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ الأحزاب: ٤١.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ العنكبوت: ٤٥.

وقال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ البقرة: ١٥٢.

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ الأنفال: ٤٥.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ آل عمران: ٤١.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ الأعراف: ٢٠٥.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب: ٣٥.

فهذه جملة آيات في استحباب ذكر الله عز وجل ذكرًا مطلقًا في الليل والنهار في كل وقت وحين كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحواله.

قال النووي رحمه الله:

الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، والأفضلُ منه ما كان بالقلب واللسان جميعًا، فإن اقتصرَ على أحدهما فالقلبُ أفضل، ثم لا ينبغي أن يُتركَ الذكرُ باللسان مع القلب خوفا من أن يُظنَّ به الرياء، بل يذكرُ بهما جميعًا، ويقصدُ به وجه الله تعالى، وقد قدّمنا عن الفُضَيل رحمه الله: «أن ترك العمل لأجل الناس رياء» ولو فتح الإنسانُ عليه بابَ ملاحظة الناس والاحتراز من تطرّق ظنونهم الباطلة لانسدَّ عليه أكثرُ أبواب الخير وضيَّع على نفسه شيئًا عظيمًا من مهمّات الدين وليس هذا طريق العارفين.

وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] في الدعاء.

واعلم أن فضيلة الذكر غيرُ منحصرةٍ في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها بل كلُّ عاملٍ لله تعالى بطاعةٍ فهو ذاكرٌ لله تعالى، كذا قاله سعيدُ بن جُبير رضي الله عنه، وغيره من العلماء، وقال عطاء رحمه الله: مجالسُ الذِّكر هي مجالسُ الحلال والحرام: كيف تشتري وتبيعُ وتصلّي وتصومُ وتنكحُ وتطلّق وتحجّ، وأشباه هذا.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب: ٣٥.

وروينا في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :«سَبَقَ المُفرِّدونَ» قالُوا: ومَا المُفَرِّدونَ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «الذَّاكِرُونَ الله كَثِيرًا وَالذَّاكرَاتُ».

واعلم أن هذه الآية الكريمة مما ينبغي أن يهتمَّ بمعرفتها صاحبُ هذا الكتاب، وقد اختُلِفَ في ذلك:

فقال الإمامُ أبو الحسن الواحديّ: قال ابن عباس: المراد يذكرون الله في أدبار الصلوات وغدوًّا وعشيًّا وفي المضاجع، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من منزله ذكرَ الله تعالى.

وقال مجاهد: لا يكونُ من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا.

وقال عطاء: من صلَّى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخلٌ في قول الله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ وقد جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أَيقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا أَوْ صَلَّى رَكعَتينِ جَمِيعًا كُتِبَا في الذَّاكِرِينَ الله كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ**».

هذا حديث مشهور رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه في سننهم.

وسئل الشيخ الإمام أبو عمر بن الصَّلاح رحمه الله عن القدر الذي يصيرُ به من الذاكرينَ الله كثيرًا والذاكرات فقال: إذا واظبَ على الأذكار المأثورة المثبتة صباحًا ومساءً في الأوقات والأحوال المختلفة ليلًا ونهارًا، وهي مُبيّنة في كتاب عمل اليوم والليلة كان من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، والله أعلم. اهـ.

والمقصود هنا التنبيه على أهم الأذكار المتعلقة بالبيت خصوصًا، حتى يكون بيتًا محبوبًا عند الله عز وجل، فمن أحبه الله عز وجل وضع له القبول في الأرض، وحتى يكون البيت قريبًا من الخير بعيدًا من الشر، فمن ذلك:

ذكر الله عز وجل عند الخروج من البيت:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال يعني إذا خرج من بيته ـ بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له حينئذ: كُفيت ووُقيت وهُديتَ، وتنحى عنه الشيطان ويقول الشيطان لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقي؟**»[١].

عن أم سلمة قالت: ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي قط إلا رفع طرفه إلى السماء وقال: «**اللهم إني أعوذ بك أن أَضِل أو أُضل أو أَذل أو أُذل، أو أَظلم أو أُظلم، أو أَجهل أو يُجهل عليَّ**»[٢].

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٩٥) والترمذي (٣٤٢٢).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٩٤) والترمذي (٣٤٢٣).

ومن ذلك أيضًا ذكر الله عز وجل عند دخوله البيت:

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل ولم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»**[(١)].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: **«إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج، باسم الله ولجنا، وباسم الله خرجنا، وعلى ربنا توكلنا، ثم ليسلم على أهله»**[(٢)].

ومن ذلك ذكر الله عز وجل عند دخول الخلاء وعند الخروج منه:

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلاء قال: **«اللهم إني أعوذ بك من الخُبُث والخبائث»**[(٣)].

ويروي: **«الخُبْث»** فهو بضم الباء الموحدة وإسكانها، والمراد: ذكر الشياطين وإناثهم.

عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا خرج من الخلاء قال: **«غفرانك»**[(٤)].

وأما ما روي عن أنس أن النبي ﷺ كان إذا خرج من الخلاء قال: **«الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني»** فهو حديث ضعيف[(٥)].

---

(١) «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٠٧).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٩٦).

(٣) رواه البخاري (١/ ٢٤٢) ومسلم (٣٧٥).

(٤) رواه أبو داود (٣٠) والترمذي (٧).

(٥) رواه ابن ماجه (٣٠١).

وكذلك حديث: «**الحمد لله الذي أحسن إليَّ في أوله و آخره**» هو حديث موضوع.

ومن ذِكْر الله عز وجل في البيت:

ذِكْر اسمه عند الطعام والشراب، وبعده كذلك، ففي الأول يُسمَّى باسم الله، وفي الآخر: يُحمد الله:

قال عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا بُني، سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»[١].

فلذلك ينبغي على الأب والأم أن يُرَبِّيا الصغير على ذلك، والتعليم في الصِغر كالنقش على الحجر.

وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى في أوله، فإن نسي أن يذكر الله تعالى في أوله، فليقل: بسم الله أوله و آخره**»[٢].

وأما بعد الطعام، فقد شرع لنا رسول الله ﷺ هذا الدعاء الطيب:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا رُفعت مائدته يقول: «**الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير مكفي، ولا مودع، ولا مستغنٍ عنه ربنا**»[٣].

وهذا الحمد يحبه الله كما قال النبي ﷺ:

«**إن الله ليرضى عن العبد: أن يأكل الأكلة، فيحمده عليها، ويشرب الشربة، فيحمده عليها**».

---

(١) رواه البخاري (٩/ ٤٥٨) ومسلم (٢٠٢٢).

(٢) رواه أبو داود (٣٧٦٧).

(٣) رواه البخاري (٩/ ٥٠١).

ما أقرب هذه البيوت لرضا الله وحبه وحب رسوله ﷺ! ما من شيء إلا وتجد فيه ذكرًا لله عز وجل.

فهي بيوت عامرة بذكر الله عند الدخول وعند الخروج، عند الطعام وعند الشراب، وعند قضاء الحاجة، بل وكذلك عند جماع الرجل لزوجته كما علَّمنا النبي ﷺ قال عبد الله بن عباس: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقُضي بينهما ولد: لم يضره شيطان أبدًا**».

وهكذا يمتلئ البيت ذكرًا لله، والبيتُ إذا ذُكر فيها اسم الله خرج منه الشيطان حقيرًا ذليلًا.

ولذلك كان من أعظم ما تُحصَّن به البيوت من الشيطان وجنده: ذِكر الله عز وجل، وهذا على وجه العموم.

وأما على وجه الخصوص فهناك أدعية وأذكار في الكتاب والسنة يُطرد بها الشيطان.

*** أولًا الاستعاذة بالله:**

قال الله تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ الأعراف: ٢٠٠.

وقال تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ**﴾ فصلت: ٣٦.

وقال تبارك تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ**﴾ النحل: ٩٨ ـ ١٠٠.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ غافر: ٥٦.

قال الحافظ المفسر الكبير ابن كثير في «التفسير»:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الأعراف: ١٩٩.

وقال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾ المؤمنون: ٩٧ ـ ٩٨.

وقال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ فصلت: ٣٤ ـ ٣٦.

فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها، وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى الموالاة والمصافاة ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانًا ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ وقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾.

وقد أقسم للوالد آدم عليه السلام أنه له لمن الناصحين وكذب فكيف معاملته لنا وقد قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾.

وهذه الاستعاذة ليست مخصوصة بصلاة الليل، بل هذه إحدى صور الصيغ الواردة في الاستعاذة مطلقًا، والله أعلم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يتعوذ من الشيطان من همزه ونفثه ونفخه[1].

و«همزه»: الموته.

و«نفثه»: الشعر.

و«نفخه»: الكبرياء.

* ثانيًا الأذان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّأْذِينُ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ المَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ لَهُ اذْكُرْ كَذَا وَاذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ مِنْ قَبْلُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى»[2].

---

(١) رواه أبو داود (٧٦٤).

(٢) رواه البخاري (٥٨٣) ومسلم (٣٨٥).

وعَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِالله مِنْكَ» ثُمَّ قَالَ: «**أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ الله**» ثَلاثًا وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِى الصَّلاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ؟! قَالَ: «**إِنَّ عَدُوَّ الله إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ؛ لِيَجْعَلَهُ فِى وَجْهِى، فَقُلْتُ أَعُوذُ بِالله مِنْكَ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ الله التَّامَّةِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَالله لَوْلا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ المدِينَةِ**»[1].

وعن عُثْمَانَ بْنَ أَبِى الْعَاصِ أَتَى النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِى وَبَيْنَ صَلاتِى وَقِرَاءَتِى يَلْبِسُهَا عَلَىَّ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خِنْزِبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ، فَتَعَوَّذْ بِالله مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاثًا**» قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ الله عَنِّى[2].

وهناك أذكار غير مقيدة بوقت ولا عدد وهي كثيرة، فالذكر من أحب الأعمال لله عز وجل.

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أحبُّ الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب بذكر الله**»[3].

وروى مسلم[4] عن النبي ﷺ أنه قال: «**مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت**».

---

(١) رواه مسلم (٥٤٢).

(٢) رواه مسلم (٢٢٠٣).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٩٣) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (١٨٣٦).

(٤) «صحيح مسلم» (٧٧٩).

قال النووي رحمه الله:

فيه الندب إلى ذكر الله تعالى في البيت وأنه لا يُخلى من الذكر.

والمقصود بالذكر هنا شيئان:

إما الذكر المطلق.

وإما الصلاة، فإنها ذكر، بل هي أعظم الذكر، فقد أمر الله بإقامة الصلاة لذكره سبحانه وتعالى.

وقال رسول الله ﷺ: **«لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس، أحب إليّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربعة»**[1].

وأصل الذكر التنبه بالقلب للمذكور والتيقظ له.

ويكون باللسان حيث إنه يدل على الذكر القلبي، ويكون بالإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها.

وقيل المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد، والذكر بالقلب: التفكر في أدلة الذات والصفات، وفي أدلة التكاليف، وفي أسرار مخلوقات الله، والذكر بالجوارح هو أن تصير مستغرقة في الطاعات.

ومن الذكر:

التسبيح و التحميد والتهليل والتكبير:

* قال رسول الله ﷺ: **«أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: سبحان الله،**

(١) «السلسلة الصحيحة» (٢٩١٦).

والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت»(١).

* وقال ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(٢).

كلمتان خفيفتان على اللسان، وهما أيضًا ثقيلتان في الميزان إذا كان يوم القيامة ووزنت الأعمال، ووضعت هاتان الكلمتان في الميزان ثقلتا به، وحبيبتان إلى الرحمن، وهذا أعظم الثوابين: أن الله تعالى يحبهما، وإذا أحب الله العمل أحب العامل به، فهاتان الكلمتان من أسباب محبة الله للعبد.

وما معنى «سبحان الله وبحمده»؟

المعنى: أنك تنزه الله تعالى عن كل عيب ونقص، وأنه الكامل من كل وجه جل وعلا، وهذا التسبيح مقرون بالحمد الدال على كمال إفضاله وإحسانه إلى خلقه جل وعلا، وتمام حكمته وعلمه، وغير ذلك من كمالاته.

«**سبحان الله العظيم**» يعني: ذي العظمة والجلال، فلا شيء أعظم من الله سلطانًا، ولا أعظم قدرًا، ولا أعظم حكمة ولا أعظم علمًا، فهو عظيم بذاته، وعظيم بصفاته، جل وعلا، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

فيا عبد الله، أدم هاتين الكلمتين، وقلهما دائمًا؛ لأنهما ثقيلتان في الميزان، وحبيبتان إلى الرحمن، وهما لا يضرانك في شيء، فهما خفيفتان على اللسان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، فينبغي للإنسان أن يقولهما، ويكثر منهما.

---

(١) رواه مسلم (٢١٣٧).

(٢) رواه البخاري (٦٤٦٠).

* وقال ﷺ: «**لأن أقول: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**»[1].

يعني: أحب عليّ من كل الدنيا.

وهي أيضا كلمات خفيفة: «**سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله وأكبر**»

والناس الآن يسافرون ويقطعون الفيافي والصحاري والمهالك والمفاوز من أجل أن يربحوا شيئًا قليلًا أو كثيرًا من الدنيا، وقد يتمتعون به، وقد يحرمون إياه، وهذه الأعمال العظيمة قد يعجز الإنسان عنها؛ لأن الشيطان يكسله ويخذله ويثبطه عنها، و إلا فهي كما قال الرسول ﷺ: أحب إلي الإنسان مما طلعت عليه الشمس، وإذا فرضنا أن عندك ملك الدنيا كلها والشمس طلعت عليه وغربت، ثم مت، ماذا تستفيد؟! لا تستفيد شيئًا، لكن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله وأكبر هي الباقيات الصالحات، وهي خير عند الله وأبقى.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**».

* وقال: «**من قال سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر**».

متفق عليه.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٥).

من قال في يومه مائة مرة «لا إله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»: حصلت له هذه الفضائل الخمسة:

أوَّلا: كان كمن أعتق عشر رقاب.

ثانيًا: كتبت له مائة حسنة.

ثالثًا: حطت عنه مائة خطيئة.

رابعًا: كانت له حرزًا من الشيطان.

خامسًا: لم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا من عمل أكثر مما عمل.

خمس فضائل: إذا قلت: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير».

فما أسعد هذا البيت الذي تقال فيه هذه الكلمات الطيبة!

فهل مثل هذا البيت يكون للشيطان فيه نصيب؟

أما «سبحان الله وبحمده»: فمن قالها مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر.

وهذا من أعظم الأذكار: «سبحان الله وبحمده» تقولها في آخر النهار مائة مرة لأجل أن تحط عنك خطايا النهار، ولو قلتها مع أهلك وأولادك في البيت مثلًا لكان ذلك حسنًا.

ومن أحسن الذكر وأحبه إلى الله عز وجل: الدعاء، بل هو عبادة مستقلة، فالدعاء هو العبادة ومخها، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر: ٦٠.

وأول ما يجب لقبوله: الإخلاص:

قال تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ الأعراف: ٢٩.

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ غافر: ٦٥.

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ الزمر: ١١.

وقال: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ غافر: ١٤.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ البينة: ٥.

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ الزمر: ٢-٣.

وقال عز وجل: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ الإسراء: ١١٠.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ الأعراف: ٥٥.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الأعراف: ٥٦.

وقال حاكيًا عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ مريم: ٤٨.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ غافر: ٦٠.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ الجن: ٢٠.

فهذه الآيات الكثيرة في كتاب الله عز وجل تدل على عظيم شأن الدعاء وقيمته عند الله تبارك وتعالى.

فالبيت المسلم لو خلا من هذه العبادة الخطيرة الشأن والعظيمة القدر فهو أفقر ما يكون.

ومعلوم أن الدعاء له آدابه وأحكامه، وليس هذا مجال ذكرها، وسيأتي تفصيل ذلك في فصل مخصوص إن شاء الله، وإنما المقصود هنا التنبيه على

حاجة البيت المسلم لدعاء مخلص من أفراده تحقيقًا للعبودية، ورهبًا مما أعده الله من شديد عقابه، ورغبًا فيما عنده من حسن ثوابه، لاسيما في الأوقات الفاضلة التي جعلها الله عز وجل أوقات استجابة، مثل:

* الثلث الأخير من الليل، وهو وقت السحر.
* الساعة الأخيرة يوم الجمعة.
* عند نزول الغيث من السماء.
* ليلة القدر.
* يوم عرفة.
* شهر رمضان.
* جوف الليل.
* عند الأذان.
* بين الأذان والإقامة.
* عند الإقامة.
* دبر الصلوات المكتوبات.
* في سجود الصلاة.
* عند اجتماع المسلمين لذكر الله.
* عند شرب ماء زمزم.
* عند صياح الديكة.

وهذا كله له أدلته من السنة الصحيحة ولكن أعرْضت عن ذكره خشية الإطالة به، ويمكن مراجعته في كتاب الأذكار للإمام النووي رحمه الله.

ومن أهم ما ينبغي في الدعاء أن يكون كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك.

وهو الجامع خير الدنيا والآخرة وهو ما كان لفظه قليلًا ومعناه كثيرًا.

وقيل: الذي يجمع الأغراض الصالحة أو الثناء على الله تعالى وآداب المسألة.

ويترك ما سوى ذلك مما لا يكون جامعًا، بأن يكون خاصًا بطلب أمور جزئية.

❊ ❊ ❊

بيوت
تدعو ربها فهو يحب الملحين في الدعاء

الدعاء هو العبادة، كما قال النبي ﷺ ولا ينبغي لبيت مسلم أن يخلو من هذه العبادة خطيرة الشأن، بل ينبغي على أهل البيت أن يعنوا بهذه العبادة عناية بالغة، فينبغي على الرجل أن يعلم زوجه وأولاده طرفا من آداب الدعاء وأوقاته وشروطه، وأن يجتمع بهم في وقت من هذه الأوقات فيدعو ويؤمنون خلفه، لا سيما بعد ختم القرآن كما كان يفعل بعض أصحاب النبي ﷺ، وكذلك مثلا في ساعة الإجابة يوم الجمعة يجمع أولاده ويعلمهم هذه الساعة ويحثهم على الدعاء والاستغفار والتوبة في مثل هذه الساعة، وفي غير ذلك كيوم عرفة، وفي شهر رمضان، وفي الثلث الأخير من الليل.

فإن بيتا تقام فيه مثل هذه العبادة بهذا الشكل لمن أحب البيوت إلى الله ورسوله ﷺ، وهو بيت قريب من الله ورحمته، وهو بيت قريب من الخيرات بعيد عن الشرور والمهلكات.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر ٦٠.

وقال عز وجل: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾ الإسراء ١١٠.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ الأعراف ٥٥.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الأعراف ٥٦.

وقال حاكيًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ مريم: ٤٨.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ غافر: ٦٠.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ الجن: ٢٠.

﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] هذا قول من الله عز وجل ووعد، والله تعالى لا يخلف الميعاد: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ والمراد بالدعاء هنا العبادة ودعاء المسألة:

أما دعاء العبادة فهو أن يقوم الإنسان بعبادة الله، لأن القائم بعبادة الله لو سألته: لماذا أقمت الصلاة؟ لِمَ آتيت الزكاة؟ لماذا صمت؟ لماذا حججت؟ لماذا جاهدت؟ لماذا بررت الوالدين؟ لماذا وصلت الرحم؟ لقال: أريد بذلك رضا الله عز وجل، وهذه عبادة متضمنة للدعاء.

أما دعاء المسألة: فهو أن تسأل الله الشيء فتقول: يا رب اغفر لي، يا رب ارحمني، يا رب ارزقني، وما أشبه ذلك، وهذا أيضًا عبادة كما جاء في الحديث «الدعاء هو العبادة» وهو عبادة لما فيه من صفة التوجه إلى الله عز وجل والاعتراف بفضله.

فيكون قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ يشمل: دعاء العبادة، ودعاء المسألة.

﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ والاستجابة في دعاء العبادة هي: قبولها، والاستجابة في دعاء المسألة: إعطاء الإنسان مسألته، وهذا وعد من الله تعالى، لكن لابد من أمور. فلابد لإجابة الدعاء من شروط:

أولًا: الإخلاص:

أن تخلص لله، فتكون داعيًا له حقًّا إن كنت في عبادة، لا تشرك به شيئًا، لا

تعبده رياءً ولا سمعة، وأيضًا ادع الله وأنت تشعر بأنك في حاجة إليه، وأنه غني عنك، وقادر على إعطائك ما تسأل.

ثانيًا: ترك الاعتداء:

ولابد أيضًا من أن يكون الدعاء لا عدوان فيه، فإن كان فيه عدوان فإن الله لا يقبله ولو من الأب على ابنه أو من الأم على ابنها، فإذا كان فيه عدوان فإن الله لا يقبله، لقول الله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ فلو دعا الإنسان بإثم بأن سأل ربه شيئًا محرّمًا فهذا لا يقبل، لأنه معتد، ولو سأل ما لا يمكن شرعًا، مثل أن يقول: اللهم اجعلني نبيًّا، فهذا لا يجوز وهو عدوان، ولو دعا على مظلوم، فإنه لا يقبل، ولو دعت المرأة على ابنها لأنه يحب زوجته فإنه لا يقبل، وكذلك الأب لو دعا على ابنه لأنه صاحب أناسًا طيبين فإنه لا يقبل، فيشترط أن لا يكون في الدعاء عدوان.

ثالثًا: اليقين:

يشترط أن يدعو الله تعالى وهو موقن بالإجابة لا دعاء تجربة؛ لأن بعض الناس قد يدعو ليجرب، ليرى هل يُقبل الدعاء أم لا؟ فهذا لا يقبل منه، بل ادع الله وأنت موقن بأن الله تعالى سوف يجيبك، فإن كنت دعوته وأنت في شك فإن الله لا يقبله منك.

رابعًا: اجتناب الحرام:

بأن لا يكون الإنسان آكلًا للحرام، فمن أكل الحرام: من ربا، أو غش، أو كذب، أو ما أشبه ذلك، فإنه لا يستجاب له، والدليل على هذا قول النبي ﷺ: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**» وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون:٥١] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا

رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثم ذكر «الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يده إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه من حرام وملبسه من حرام وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك» فاستبعد النبي ﷺ أن يستجيب الله لهذا مع أنه فعل من أسباب الإجابة ما يكون جديرًا بالإجابة، ولكن لما كان يأكل الحرام صار بعيدًا أن يقبل الله منه. فهذه أربعة شروط للدعاء لابد منها. والله الموفق.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ يعني: هل أني قريب أو لست بقريب؟ فالجواب ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ وقربه جل وعلا قرب يليق بجلاله وعظمته، ليس قرب مكان؛ لأنه سبحانه وتعالى فوق كل شيء، فوق السماوات السبع، فوق العرش، ولكنه قرب يليق بجلاله وعظمته، فهو مع علوه العظيم الذي لا منتهى له إلا بذاته المقدسة، فهو مع ذلك قريب في علوه بعيد في دنوه جل وعلا، وقد قال النبي ﷺ ذات يوم لأصحابه: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» ولكنه فوق سماواته.

﴿ فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ قربًا يليق بجلاله وعظمته، وليس قرب مكان، بمعنى أنه ليس عندنا في الأرض بل هو في السماوات جل وعلا.

﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ هذا هو الشاهد: أنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه حقيقة، والتجأ إليه، وافتقر إليه، وعلم أنه لا يكشف السوء إلا الله، وأنه محتاج إلى ربه، فإنه إذا دعاه في هذا الحال أجابه سبحانه وتعالى، ولكن لابد من ملاحظة الشروط السابقة.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى﴾ أي: لما دعوتهم إليه من عبادتي، ومنها أن يدعوني.

﴿وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي﴾ إيمانًا حقيقيًا لا شك معه ولا كفر معه، وحينئذ يكون الله تعالى أسرع إليهم بالإجابة.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ لعل هنا للتعليل، أي: لأجل أن يرشدوا، فيكونوا في جميع تصرفاتهم على وجه الرشد، والرشد عكس السَّفه، وهذه أيضًا من الآيات التي تحث الإنسان إلى الدعاء بإيمان وإخلاص.

* وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**».

رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسنٌ صحيحٌ.

يعني: الدعاء من العبادة، ويشهد لهذا قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ لم يقل: يستكبرون عن دعائي. قال: ﴿عَنۡ عِبَادَتِي﴾ فدل هذا بالكمال وإجابة الدعاء، وأنه على كل شيء قدير، وأن العطاء أحب إليه من المنع. ثم إنه لم يلجأ إلى غيره، لم يدعُ غير الله، لا ملكًا ولا نبيًّا ولا وليًّا ولا قريبًا ولا بعيدًا، وهذا هو حقيقة العبادة، وبذلك تعرف أنك إذا دعوت الله أُثبت على هذا الدعاء سواء استجيب لك أم لا، لأنك تعبّدت لله عز وجل وعبدت الله فإذا قلت: يا رب يا رب اغفر لي، يا رب ارحمني، يا رب ارزقني، يا رب اهدني؛ فهذه عبادة تقربك إلى الله عز وجل ويكتب الله لك بها ثوابًا عنده.

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك.

رواه أبو داود بإسناد جيد.

* وعن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «**اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**» متفق عليه.

زاد مسلم في روايته قال: وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه.

حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك، يعني أنه إذا دعا يختار من الدعاء أجمعه، كلمات جامعة عامة، ويدع التفاصيل، وذلك لأن الدعاء العام أبلغ في العموم والشمول من التفاصيل، فمثلًا إذا أراد أن يدعو إنسان ربه أن يُدخله الجنة قال: اللهم أدخلني الجنة. ولا يحتاج إلى أن يفصل ويقول فيها كذا وكذا؛ لأنه قد يكون هناك أشياء لا يعلمها.

ومن أجمع ما يكون من الدعاء ما ذكره في حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول في دعائه: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**» فإن هذا الدعاء أجمع الدعاء.

«ربنا آتنا في الدنيا حسنة» يشمل كل حسنات الدنيا، من زوجة صالحة ومركب مريح وسكن مطمئن وغير ذلك.

«وفي الآخرة حسنة» كذلك يشمل حسنة الآخرة كلها، من الحساب اليسير وإعطاء الكتاب باليمين والمرور على الصراط بسهولة والشرب من حوض الرسول ﷺ ودخول الجنة، إلى غير ذلك من حسنات الآخرة.

فهذا الدعاء من أجمع الأدعية، بل هو أجمعها؛ لأنه شامل، وكان أنس رضي الله عنه يدعو بذلك، وإذا دعا بشيء آخر دعا بذلك أيضًا، يعني كأنه رضي الله عنه لا يدعه أبدًا إذا دعا، وهذا يدل على فضيلة هذا الدعاء وأنه ينبغي للإنسان أن يدعو به، ولهذا كان الرسول ﷺ يختم به أشواط الطواف، يقول بين الركن اليماني والحجر الأسود: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**» في آخر كل شوط. والله أعلم.

***

بيوت
شاكرة لله رب العالمين

الشكر خلق وصفة من صفات البيوت المسلمة، فهي بيوت شاكرة لربها، وشاكرة لمن أسدى إليها معروفًا.

بيوت شاكرة لربها قولًا وعملًا.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ سبأ: ١٣.

وقال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ البقرة: ١٥٢.

وقال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ البقرة: ١٧٢.

وقال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ النحل: ١١٤.

وقال تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ النمل: ١٩.

وقال تعالى: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ العنكبوت: ١٧.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ لقمان: ١٢.

وقال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ لقمان: ١٤.

فأهل هذه البيوت يحبون أن يكونوا عبادًا شاكرين لله، مقتدين في ذلك بخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ الذي قام من الليل حتى تفطرت قدماه، فقيل له: لِمَ تصنع هذا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[(١)].

ومن هنا فالشكر ليس قولًا فقط، وليس بتقبيل يديه كما يصنع بعض المسلمين فهذا ليس من الشكر وليس من السنة، بل الشكر قول وعمل واقتداء واتباع، وعبادة وطاعة.

ومن الشكر الإكثار من العبادة والتنفل وصلاة التطوع، لكن على ألا يفضي ذلك إلى الملل أو إلى ترك الأفضل، وإلا فإن أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قَلَّ، فإذا خشي العبد من الملل، فلا ينبغي أن يكره نفسه، ولذلك قال ﷺ: «**خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يملُّ حتى تملوا**»[(٢)].

* * *

(١) رواه البخاري (١١٣٠).

(٢) رواه البخاري (٤٣).

بيوت
حامدة لله رب العالمين

فتلك البيوت تعرف نعمة الله عز وجل عليها، فهي بيوت حامدة لله رب العالمين مع كل نعمة ينعم الله بها عليهم.

فالنظر إلى نعمة الله ينبغي أن يكون باعتبارها نعمة يجب شكرها، ولا ينبغي النظر إلى حجم النعمة، فبعض الناس لا يحمدون الله عز وجل إلا على النعم العظيمة الكبيرة! وأما تلك التي يرونها صغيرة فلا يحمدون عليها!!

وهذا خطأ كبير، فالبيوت التي يحبها الله عز وجل ويحبها رسوله ﷺ وتدخلها الملائكة: بيوت حامدة على النعم كلها صغيرها وكبيرها، فأهلها لا ينظرون إلى قدْر النعمة، وإنما ينظرون إلى قدْر المنعم سبحانه وتعالى.

ولو نظر الناس نظرًا صحيحًا لنعم الله عز وجل لحمدوا الله عز وجل حمدًا كثيرًا دائمًا لا ينقطع، ولكن هيهات فلا يطيق الناس ذلك، فالحمد لله الذي حمد نفسه قبل أن يحمده الحامدون، فلا يبلغ الحامدون حق حمده، والحمد لله الذي لا تشكر نعمته إلا بنعمته، ولا تنال كرامته إلا برحمته، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم.

ومن نظر في سورة النحل، والتي تسمى بسورة النعم عرف كم هي عظيمة نعم الله علينا.

عرف كيف يتقلب الناس في نعم الله عز وجل.

عرف رحمة الله عز وجل بنا مع تقصيرنا في شكر نعمته وحمده سبحانه وتعالى.

يقول تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾.

فهذه أول نعم الله على عباده، وهي نعمة الوحي، ولا أجل من ذلك أبدًا، وهي أول نعمة ذكرها الله تبارك وتعالى في هذه السورة.

ثم قال تبارك وتعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾.

فبين أن خلق السماوات والأرض نعمة، كفرها المشركون، فجعلوا لله عز وجل شريكًا، ثم ذكّر الإنسان بخلقه أو بأصل خلقه وأنه من نطفة، ثم هو بعد ذلك لا يحمد ولا يشكر بل يخاصم ويجادل، فما أكفره!!

ثم قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

وهنا يبين أوجه انتفاع الناس بالأنعام، لعلهم يدركون قدْر نعمة الله عليهم فيكونوا من الحامدين.

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى

سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وهذه جملة نعم يعجز الكثير من الناس عن حمد الله عليها، وما ذكره الله هنا هو بعض نعمه تعالى، ومن أراد أن يحصي نعمة الله عز وجل فإنه لن يستطيع.

والواجب علينا حينئذ أن نسدد ونقارب، وأن نحافظ على حمد الله قدر ما نستطيع، ولنعلم أن الله عز وجل غفور رحيم، فهو يغفر لنا قصورنا عن إدراك نعمته وحمده علينا، وذلك من رحمته بنا.

فالبيوت التي يحبها الله عز وجل بيوت حامدة على كل حال وعلى كل نعمة صغيرة أو كبيرة، وهي حامدة شاكرة في السراء والضراء.

وحمد الله يعني: وصفه بالمحامد والكمالات، وتنزيهه عن كل ما ينافي ذلك ويضاده، فهو سبحانه وتعالى أهل الحمد: يحمد على جميل إحسانه، وعلى كمال صفاته جل وعلا مع المحبة والتعظيم، وقد حمد الله نفسه في ابتداء خلقه، وحمد نفسه حين أنزل على عبده الكتاب، وحمد الله نفسه على تنزيهه عن الشريك والند، وحمد نفسه جل وعلا عند انتهاء الخلق، فهو جل وعلا محمود في ابتداء الخلق، وانتهاء الخلق، واستمرار الخلق، ومحمود على ما أنزل على عبده من الشرائع، محمود على كل حال.

وقد حمد الله نفسه وأمر بحمده، وأمرنا أن نحمده جل وعلا، بل جعل حمدنا إياه من أركان الصلاة التي لا تتم الصلاة إلا به، فالفاتحة أولها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ولو أسقطت هذه الآية من الفاتحة ما صحت صلاتك، فحمد الله تعالى واجب على كل إنسان، وكذلك الشكر، الشكر على إنعامه، وكم أنعم عليك من نعمة؟! من عقل، وسلامة بدن، ومال، وأهل، وأمن، نعم كثيرة لا تحصى ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤] لو لم يكن من نعمته عليك إلا هذا النفس الذي لو منعته لفقدت الحياة، مع أنه يخرج بدون أن تتكلفه وبدون أن تتعب له لكفى به.

وانظر إلى الذين ابتلوا بضيق النفس، كيف يتكلفون عند إدخال النفس وإخراجه، وهذا النفس مستمر دائم، نعمة لا تحصى أبدًا، فالعقل، والأولاد، والمال، والدين، كل هذه نعم عظيمة، يستحق جل وعلا أن يشكر عليها.

وقال أهل العلم: الشكر هو القيام بطاعة المنعم، هذا الشكر أن تقوم بطاعة المنعم ولاسيما جنس هذه النعمة، فإذا أنعم الله عليك بمال فليظهر عليك أثر هذا المال في لباسك، في بيتك، في صدقاتك، في نفقاتك.

وكذلك في العلم، إذا أنعم الله عليك بعلم فلْيُر عليك أثر هذا العلم، من نشره بين الناس، وتعليمه الناس، والدعوة إلى الله عز وجل، وغير ذلك، فالشكر يكون من جنس النعمة التي أنعم الله بها عليك، أو بأعم.

ومن المعلوم لنا جميعًا أن كل ما بنا من نعمة فمن الله عز وجل، وأنه إذا مسنا الضر فليس لنا ملجأ إلا الله، وأن الإنسان إذا أصيب بما يكره أو بما يؤذيه فإن الله تعالى يكفر بذلك عنه، فما من أذى أو هم أو غم يصيب المؤمن إلا كفر الله بذلك عنه حتى الشوكة يشاكها.

إذًا فنعم الله عظيمة كثيرة لا تعد ولا تحصى، لذلك يجب علينا أن نحمد الله تعالى وأن نشكره على نعمه التي أسبغها علينا.

ومن فوائد الحمد:

أن الإنسان إذا ابتدأ الشيء بحمد الله فإن الله تعالى يجعل فيه البركة، فكل أمر لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع، يعني منزوع البركة، لكن قد ينوب عن الحمد غيره كالبسملة مثلًا، فالبسملة أيضًا يبارك الله في الأشياء التي تبدأ بها، وهي كثيرة منها: أن الإنسان إذا ذبح الذبيحة إن قال: «بسم الله» حلت الذبيحة، وكانت طيبة، وإن قال: «الحمد لله» لم تحل الذبيحة؛ لأن الذبيحة لا تحل إلا بالبسملة، وإذا قال عند الذبح: «الله أكبر» ولم يقل «بسم الله» لم تحل الذبيحة؛ فكل أمر يُبدأ فيه بالحمد لله فهو خير وبركة، لكن قد ينوب عن الحمد ما سواه كالبسملة عند الأكل والشرب والذبح والوضوء وإتيان الرجل أهله، يقول: «بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا»، وغير ذلك.

ومن فوائد الحمد:

أن الله سبحانه وتعالى يرضى عن العبد إذا أكل الأكلة أن يحمده عليها، وإذا شرب الشربة أن يحمده عليها.

وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كلما أكل لقمة قال: الحمد لله، فقيل له: يا أبا عبد الله، ما هذا؟ قال: أكل وحمد خير من أكل وسكوت.

وعلى هذا يكون حمد الإنسان على طعامه كثيرًا.

وكان الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى يسمي الله عز وجل مع كل لقمة

يرفعها إلى فمه.

وعلى هذا ستذكر اسم الله كثيرًا.

لكن أكثر العلماء يقولون: إذا جلست على الطعام تسمي الله، وإذا انتهيت تقول: الحمد لله، فالتسمية مرة في أوله، والحمد مرة في نهايته.

والحمد كله خير، ومن فوائد الحمد؛ أنه إذا حمد الإنسان ربه عز وجل على أكله وشربه كان ذلك سببًا لرضا الله عز وجل عنه، نسأل الله أن يحل علينا وعليكم الرضا، إنه على كل شيء قدير.

* * *

بيوت
تائبة وطاهرة من الذنوب والمعاصي

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة: ٢٢٢.

وقد اختلف فيه، فقيل: التوابين من الذنوب والشرك، والمتطهرين أي بالماء من الجنابة والأحداث قاله عطاء وغيره.

وقال مجاهد: من الذنوب.

وعنه أيضا: من إتيان النساء في أدبارهن، وكأنه نظر إلى قوله تعالى حكاية عن قوم لوط: ﴿قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢].

وقيل: المتطهرون الذين لم يذنبوا.

فإن قيل: كيف قدم بالذكر الذي أذنب على من لم يذنب؟

قيل: قدمه لئلا يقنط التائب من الرحمة، ولا يعجب المتطهر بنفسه، كما ذكر في آية أخرى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [فاطر: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨] فالطهور بالماء حسن، ولكنهم المطهرون من الذنوب.

وقال الأعمش: التوبة من الذنوب والتطهر من الشرك.

وقد ورد في الحديث المروي من طرق في «السنن» وغيرها أن رسول الله ﷺ قال لأهل قباء: «قد أثنى الله عليكم في الطهور فماذا تصنعون؟» فقالوا: نستنجي بالماء.

وعن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ فسألهم رسول الله ﷺ فقالوا: إنا نتبع الحجارة بالماء

فالبيوت المسلمة بيوت دائمة الرجوع، والإنابة، والعودة، والاستغفار، والتوبة: إلى الله تعالى من الذنوب والمعاصي، حتى تكون طاهرة، وهذه الطهارة الباطنية تتبعها طهارة بدنية حسية، فهي تتوب وتتطهر لأن الله تعالى أخبر أنه يحب التوابين ويحب المتطهرين.

وقد ورد في السنة الترغيب في التوبة والمبادرة بها وإتباع السيئة الحسنة:

* عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله عز وجل يبسط يده بالليل، ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار، ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»**(١).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»**(٢).

* وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن من قِبَلِ المغرب لبابًا مسيرة عرضه أربعون عامًا، أو سبعون سنة، فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السماوات والأرض، فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه»**(٣).

وفي رواية له وصححها أيضًا قال زِرٌّ ـ يعني ابن حُبيش ـ : فما برح يعني صفوان يحدثني، حتى حدثني أن الله جعل بالمغرب بابًا عرضه مسيرة سبعين

---

(١) رواه مسلم والنسائي، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٥).

(٢) رواه مسلم وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٦).

(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

عامًا للتوبة، لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قِبَلِه، وذلك قول الله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾(١).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أخطأتم حتى تبلغ السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم**»(٢).

* وعن أنس رضي الله عنه أن النبي قال: «**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»(٣).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن عبدًا أصاب ذنبًا، فقال: يا رب إني أذنبت ذنبًا، فاغفره، فقال له ربه: علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به، فغفر له، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبًا آخر، وربما قال: ثم أذنب ذنبًا آخر، فقال: يا رب إني أذنبت ذنبًا آخر، فاغفره لي، قال ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبًا آخر، وربما قال: ثم أذنب ذنبًا آخر، فقال: يا رب إني أذنبت ذنبًا، فاغفره لي، فقال ربه: علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به، فقال ربه: غفرت لعبدي فليعمل ما شاء**»(٤).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل منها، وإن زاد زادت حتى يغلف بها قلبه، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ**

---

(١) «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٧).

(٢) رواه ابن ماجه، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٨).

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٩).

(٤) رواه البخاري ومسلم، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٩).

رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾»[١].

ولفظ ابن حبان وغيره: «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة ينكت في قلبه نكتة، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقلت، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه..**» الحديث.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبًا، فإن أصبح ذهبًا اتبعناك، فدعا ربه، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقرئك السلام، ويقول لك: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبًا فمن كفر منهم عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة، قال: بل باب التوبة والرحمة»[٢].

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[٣].

* وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني قال: «**عليك بتقوى الله ما استطعت واذكر الله عند كل حجر وشجر وما عملت من سوء فأحدث له توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية**»[٤].

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[٥].

---

(١) رواه الترمذي وصححه، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤١).

(٢) رواه الطبراني ورواته رواة الصحيح، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤٢).

(٣) رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤٣).

(٤) رواه الطبراني، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤٤).

(٥) رواه ابن ماجه والطبراني كلاهما من رواية أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه ولم يسمع منه ورواة الطبراني رواة الصحيح، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤٥).

* وعن حميد الطويل قال: قلت لأنس بن مالك: أقال النبي ﷺ: «**الندم توبة ؟**» قال: نعم[١].

* وعن عبد الله بن مغفل قال: دخلت أنا وأبي على ابن مسعود رضي الله عنه فقال له أبي: سمعت النبي ﷺ يقول: «**الندم توبة؟**» قال: نعم[٢].

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش، وليس أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل**»[٣].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم**»[٤].

* وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه: أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهي حُبلى من الزنا، فقالت: يا رسول الله، أصبت حدًّا فأقمه عليَّ، فدعا نبي الله ﷺ وليها فقال: «**أحسن إليها فإذا وضعت فأتني بها**» ففعل، فأمر بها نبي الله ﷺ فشُدَّتْ عليها ثيابها، ثم أمر بها، فرُجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر: تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت؟! قال: «**لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل**»[٥].

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤٦).
(٢) رواه الحاكم، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤٧).
(٣) رواه مسلم، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤٨).
(٤) رواه مسلم وغيره، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤٩).
(٥) رواه مسلم، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٥٠).

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن نبي الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، من يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق، فأتاه ملك الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى، فهو له، فقاسوا، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة».

وفي رواية: فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر، فجعل من أهلها.

وفي رواية: فأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وإلى هذه أن تقربين، وقال: قيسوا بينهما، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له.

وفي رواية: قال قتادة: قال الحسن: ذكر لنا أنه لما أتاه ملك الموت نأى بصدره نحوها[1].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب

(١) رواه البخاري ومسلم، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٥١).

إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإذا أقبل إليَّ يمشي أقبلت إليه أهرول»[١].

* وعن شريح بن الحارث قال: سمعت رجلًا من أصحاب النبي ﷺ يقول: قال النبي ﷺ: «قال الله عز وجل: يا ابن آدم، قم إليَّ، أمش إليك، وامش إليَّ أهرول إليك»[٢].

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة»[٣].

وفي رواية لمسلم: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت عنه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك، إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامهان ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[٤].

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لله أفرح بتوبة عبده المؤمن، من رجل نزل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه، فنام، فاستيقظ، وقد ذهبت راحلته، فطلبها، حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش، أو ما شاء الله تعالى، قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده، ليموت، فاستيقظ، فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه، فالله أشد فرحًا بتوبة

---

(١) رواه مسلم واللفظ له، والبخاري بنحوه، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٥٢).
(٢) رواه أحمد، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٥٣).
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٥٤).

العبد المؤمن من هذا براحلته»[١].

* وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحسن فيما بقي، غفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقي، أُخذ بما مضى وما بقي»[٢].

* وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مثل الذي يعمل السيئات، ثم يعمل الحسنات، كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة، قد خنقته، ثم عمل حسنة، فانفكت حلقة، ثم عمل حسنة أخرى، فانفكت أخرى، حتى تخرج إلى الأرض»[٣].

* وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن معاذ بن جبل أراد سفرًا، فقال: يا رسول الله أوصني، قال: «اعبد الله ولا تشرك به شيئًا» قال: يا رسول الله زدني قال: «إذا أسأت فأحسن، وليحسن خلقك»[٤].

* عن معاذ قال: قلت: يا رسول الله أوصني قال: «اعبد الله كأنك تراه، واعدد نفسك في الموتى، واذكر الله عند كل حجر، وعند كل شجر، وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة، السر بالسر، والعلانية بالعلانية»[٥].

* وعن أبي ذر و معاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[٦].

---

(١) رواه البخاري ومسلم، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٥٥).

(٢) رواه الطبراني بإسناد حسن، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٥٦).

(٣) رواه أحمد والطبراني، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٥٧).

(٤) رواه ابن حبان والحاكم، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٥٨).

(٥) ورواه الطبراني، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٥٩).

(٦) رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٦٠).

* عن أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته، وإذا أسأت فأحسن، ولا تسألن أحدًا شيئًا، وإن سقط سوطك، ولا تقبض أمانة**»[1].

* وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أوصني قال: «**إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها**» قال: قلت: يا رسول الله، أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: «**هي أفضل الحسنات**»[2].

* وعن عبد الله رضي الله عنه قال: إن رجلًا أصاب من امرأة قبلة، وفي رواية: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني عالجت امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها ما دون أن أمسها، فأنا هذا فاقض فيَّ ما شئت، فقال له عمر: لقد سترك الله لو سترت نفسك، قال: ولم يردَّ عليه النبي ﷺ شيئًا، فقام الرجل، فانطلق، فأتبعه النبيُّ ﷺ رجلًا، فدعاه فتلا عليه هذه الآية ﴿**وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ**﴾ فقال رجل من القوم: يا نبي الله، هذا له خاصة؟ قال: «**بل للناس كافة**»[3].

* وعن أبي طويل شطب الممدود: أنه أتى النبي ﷺ فقال: أرأيت من عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئًا، وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها، فهل لذلك من توبة؟ قال: «**فهل أسلمت؟**» قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: «**تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهن الله**

---

(١) رواه أحمد، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٦١).

(٢) رواه أحمد في «المسند»، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٦٢).

(٣) رواه مسلم وغيره، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٦٣).

لك خيرات كلهن» قال: وغدراتي وفجراتي؟! قال: «**نعم**» قال: الله أكبر، فما زال يكبر حتى توارى(١).

* * *

(١) رواه البزار والطبراني، واللفظ له، وإسناده جيد قوي، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٦٤).

بيوت
دائمة الاستغفار لربها

إن البيوت التي يلزم أهلها الاستغفار بيوت يحبها الله ورسوله ﷺ، وكثرة الاستغفار عبادة وذكر جليل، فلقد كان رسول الله ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﷺ يستغفر الله في المجلس الواحد أكثر من سبعين مرة، فما بالكم بنا نحن أصحاب الذنوب والمعاصي!! فالبيوت المستغفرة بيوت راجعة إلى الله وتائبة وطاهرة نقية من الذنوب والمعاصي، ولقد أمر الله عز وجل بالاستغفار في كتابه.

قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٠٦].

وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر:٣].

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٥ـ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ

مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥].

الاستغفار: هو طلب المغفرة، وما من إنسان إلا هو خطاء كما قال النبي ﷺ: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطاءين التوابون».

والخطأ الذي يصدر من بني آدم: إما تقصير في واجب، أو فعل لمحرم ولا يخلو الإنسان من ذلك، ولكن دواء الذنوب الاستغفارُ ـ والحمد لله ـ وفي الأثر: إن الشيطان يقول: أهلكتُ بني آدم ـ يعني بالخطايا والذنوب ـ وأهلكوني بـ «لا إله إلا الله»، والاستغفار.

فالاستغفار سبب المغفرة؛ ولذا أمر الله تعالى به في آيات كثيرة من القرآن، ومنها:

قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ [محمد:١٩] فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعلم أنه لا معبود بحق إلا الله، وأمره أن يستغفر قال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ هذا هو النبي ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أمر أن يستغفر لذنبه، وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ وكذلك أثنى الله تعالى على المستغفرين في آيات كثيرة، منها: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧] وهم الذين يستغفرون الله في آخر الليل.

قال العلماء: وذلك أنهم يتهجدون ويعبدون الله ويرون أنهم مقصرون فيسألون الله المغفرة هذا مع أنهم مجتهدون قائمون الليل ومع ذلك يستغفرون

خوفًا من التقصير، فينبغي للإنسان أن يُكثر من استغفار الله عز وجل.

ومن جملة الأحاديث التي وردت في الاستغفار ما يلي:

* عن الأغر المُزَنيِّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**»[١].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والله إني لأستغفر الله و أتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[٢].

* وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا، لذهب الله تعالى بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم**»[٣].

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «**رب اغفر لي، وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم**»[٤].

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لزم الاستغفار، جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هَمٍّ فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**»[٥].

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفرت ذنوبه وإن كان**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) رواه أبو داود.

قد فر من الزحف»(١).

قال ﷺ فيما رواه عنه الأغر المزني - رضي الله عنه: **«إنه ليغان على قلبي»** - يعني: يحدث له شيء: من الغم **«وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»** يقول: أستغفر الله في اليوم مائة مرة! هذا وهو النبي ﷺ الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر! فكيف بنا !! والذي ينبغي للإنسان أن يكون له أسوة حسنة في رسول الله ﷺ فيكثر من الاستغفار كما قال ابن عمر: إننا نعد للنبي ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة أو أكثر: رب اغفر لي وارحمني.

وكذلك أخبر ﷺ أن من نعمة الله على العباد أنه إذا ابتلاهم بالذنوب فاستغفروا الله غفر لهم وأنه: **«لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم، ثم جاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»** وهذا حثٌّ على أن يستغفر الإنسان ربه ويكثر من الاستغفار؛ لأنه ينال بذلك درجة المستغفرين الله - عز وجل - وكذلك أخبر فيما رواه أبو داود: أن من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هَمٍّ فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب.

والأحاديث في فضل الاستغفار، والثناء على أهله، والحث عليه: كثيرة؛ فعليك يا أخي بكثرة الاستغفار.

* وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها من النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل**

---

(١) رواه أبو داود والترمذي والحاكم، وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم.

وهو موقنٌ بها فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة»[١].

* وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته، استغفر الله ثلاثًا، وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»[٢].

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول قبل موته: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه»[٣].

«سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك» فتقر لله - عز وجل - بلسانك وبقلبك أنه هو ربك المالك لك، والمدبر لأمرك، المعتني بحالك، وأنت عبده كونًا وشرعًا: عبده كونًا يفعل بك ما يشاء، إن شاء أمرضك، وإن شاء أصحك، وإن شاء أغناك، وإن شاء أفقرك، وإن شاء أضلَّك، وإن شاء هداك، حسبما تقتضيه حكمته - عز وجل - وكذلك أنت عبده شرعًا تتعبد له بما أمر؛ تقوم بأوامره وتنتهي عن نواهيه، تقر بذلك: «اللهم أنت ربي وأنا عبدك خلقتني وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت» تقر بأن الله خلقك، هو الذي أوجدك من العدم، وأنك على عهده ووعده ما استطعت، على عهده؛ لأن كل إنسان قد عاهد الله أن يعمل بما علم ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧] فمتى أعطاك الله علمًا فإنه قد عهد إليك أن تعمل به.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

«وعلى وعدك»: أي تطبيق وعدك، ما وعدت أهل الخير من الخير وما وعدت أهل الشر من الشر، ولكن أنا على وعدك أي في الخير؛ لأنك في هذه الكلمات تتوسل إلى الله عز وجل.

«أعوذ بك من شر ما صنعتُ»: يعني أنت تعوذ بالله من شر ما صنعتَ؛ لأن الإنسان يصنع خيرًا فيثاب، ويصنع الشر فيكون سببًا لضلاله كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة:٤٩]، فأنت تعوذ بالله من شر ما صنعت، ثم: «أبوء لك بنعمتك»: يعني أعترف بنعمتك العظيمة الكبيرة التي لا أحصيها «وأبوء بذنبي»: اعترف به «فاغفر لي» هذا الذنب «إنك أنت الغفور الرحيم» فاحرص على حفظ هذا الدعاء وحافظ عليه صباحًا ومساءً، فإن مت من يومك فأنت من أهل الجنة، وإن مت من ليلتك فأنت من أهل الجنة.

وفي حديث ثوبان ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا وقال: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**».

إذا انصرف يعني إذا سلّم.

أول ما تبدأ به بعد أن تسلم من الفريضة أن تقول: «أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله» ثلاث مرات.

ولماذا تقول: أستغفر الله، وأنت صليت وأديت طاعة؟!

لأن طاعتك هذه لا تخلو من نقص وخلل، فتستغفر الله ـ تعالى ـ مما حصل فيها من خلل.

ونظير ذلك أن المجتهدين المتهجدين في الليل إذا فرغوا من تهجدهم استغفروا كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧].

وتقول: «اللهم أنت السلام»: يعني السالم من كل نقص وعيب، و«منك السلام» يعني منك السلامة، فلولا الله ـ عز وجل ـ ما سلمنا ولا علمنا ولا قمنا بعمل من الأعمال.

«تباركت يا ذا الجلال والإكرام»: أي عظمت خيراتك وبركاتك ونعمك على عبادك: فينبغي للإنسان أن يستغفر بعد الصلاة ـ الفريضة ـ ثلاث مرات، ويقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام».

* وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تُشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة**»(١).

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**يا معشر النساء تصدقن، وأكثرن من الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار**».

قالت امرأة منهن: ما لنا أكثر أهل النار؟

قال: «**تكثرن اللعن، وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن**».

قالت: ما نقصان العقل والدين؟

قال: «**شهادة امرأتين بشهادة رجل، وتمكث الأيام لا تصلي**»(٢).

* * *

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

بيوت
يزكي أهلها نفوسهم

إن البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ بيوت يزكي أهلها نفوسهم، أي يطهرونها ويطيبونها، حتى تستجيب لربها وتفلح في دنياها وآخرتها، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩- ١٠] وهي دعوة النبي ﷺ: «**اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها**»(١).

وتزكية النفس وتطهيرها لا يكون إلا بالعلم والعمل والأخلاق الكريمة، وتخليصها من أمراضها، والتوبة النصوح، لا تزكى النفوس إلا بالتوحيد والإيمان والطاعة لله ورسوله ﷺ.

والنفوس والقلوب المريضة لها علامات:

لا يمكن تخليص هذه النفوس من أمراضها حتى تتحقق تزكيتها إلا بعد معرفة النفس المريضة ومعرفة المرض ثم معرفة كيفية العلاج، وهذه هي علامات النفوس المريضة:

فالقلب المريض لا تؤلمه جراحات المعاصي، ولا يوجعه جهله بالحق، وآن عقائده الباطلة.

ومن علامات مرضها أيضًا: عدولها عن الأغذية النافعة إلى الضارة، وعدولها عن الدواء النافع إلى دائها الضار.

---

(١) خرجه مسلم (٢٧٢٢).

وكذلك القلوب الصحيحة لها علامات:

فمن علامة صحتها: أنه لا يزال يضرب على صاحبه حتى ينيب إلى الله.

ومن علامة صحته: أنه إذا فاته طاعة من الطاعات وجد ألمًا في قلبه.

ومن علامة صحته: أنه يكون همه واحدًا ويكون في طاعة الله ومنها: أن يكون أشح بوقته كأشد الناس شحًا بماله.

ومنها: إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا، ووجد فيها راحته وقرة عينه وسرور قلبه.

ومنها: أن لا يفتر عن ذكر ربه ولا يأنس بغيره.

ومنها: أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل وأعظم منه بالعمل.

أسباب مرض القلب:

الفتن التي تعرض عليه هي أسباب مرضه، وهي فتن الشهوات والشبهات، فالأولى توجب فساد القصد والإرادة والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد.

سموم القلب:

المعاصي كلها سموم للقلب وأسباب لمرضه وهلاكه، فمن أراد سلامة قلبه وحياته فعليه بتخليصه من آثار تلك السموم ثم المحافظة عليه بعدم تعاطي سموم جديدة، وسموم القلب أربعة: فضول الكلام، وفضول النظر، وفضول الطعام، وفضول المخالطة.

وأسباب حياة القلب:

الطاعات لازمة لحياة قلب العبد لزوم الطعام والشراب لحياة الجسد، ومن هذه الطاعات:

١ـ ذكر الله:

فالذكر للقلب كالماء للسمك، فهو قوت القلب والروح.

٢ـ الاستغفار:

فهو دواء الذنوب والمعاصي، والتي هي كالسموم للقلب والبدن.

٣ـ الدعاء:

فالدعاء عبادة، والعبادة طاعة لله عز وجل.

٤ـ الصلاة على النبي ﷺ:

فهي قربة إلى الله عز وجل، وهي سبب لصلاة الله على من صلى على نبيه ﷺ.

٥ـ قيام الليل:

فهو دأب الصالحين وقربة لرب العالمين ومكفر للذنوب.

٦ـ الزهد في الدنيا وبيان حقارتها.

٧ـ أحوال النفس ومحاسبتها.

٨ـ الصبر والشكر.

٩ـ التوكل على الله.

١٠ـ محبة الله عز وجل.

١١ـ الرضا بقضاء الله عز وجل.

١٢ـ الخوف والرجاء.

١٣ـ التوبة النصوح.

* * *

بيوت
قائمة على الصبر

والصبر هو حبس النفس على طاعة الله، وعن محارمه، وعلى أقداره المؤلمة، وهذه هي أنواع الصبر.

فالبيت المسلم بأفراده بيت صابر على طاعة الله، وصابر عن محارم الله، وصابر على أقدار الله المؤلمة، فهم لا يتسخطون لا بالقلب ولا باللسان ولا بالجوارح، بل هم صابرون، راضون رضاء تامًّا، ومنشرحو الصدور، وشاكرون لله عز وجل على كل حال، لأن الله عز وجل يرتب لهم من الأجر والثواب على المصيبة أكثر مما أصابهم.

فالبيت المسلم بيت قائم على الصبر بأنواعه: صبر على الطاعة، صبر عن المعصية، صبر على البلاء، لينال حبه تعالى وحب رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ آل عمران: ١٤٦.

ولقد وعد الله تعالى الصابرين بأن يوفيهم أجرهم بغير حساب فقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزمر: ١٠.

فالصبر أمر مطلوب ومهم في البيوت المسلمة التي يحبها الله ورسوله ﷺ، إذ لا يمكن أن يقوم بيت بدون صبر، لأنه يحتاج إليه في الطاعة، وفي البعد عن المعصية، وعند وقوع البلاء كنقص مال أو نفس أو خوف أو جوع أو غير ذلك من أنواع البلاء.

فهذه البيوت المسلمة صابرة راضية بقضاء الله وقدره واثقة بما عند الله

تعالى، طامعة في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الصابرين.

وقال ﷺ: «**والصبرُ ضياء**»[١].

وقال ﷺ: «**ومن يتصبَّرْ يصبِّرْه الله**»[٢].

وقال ﷺ: «**إنما الصبرُ عند الصدمة الأولى**»[٣].

فالله عز وجل يوفِّي الصابرين أجرهم بغير حساب، فهو يعطيهم أجرهم وثوابهم بغير عدد، ولا حساب فيه، فهو أجر عظيم، لا يمكن للإنسان أن يتصوره.

والله مع الصابرين، وهي المعية الخاصة بالنصر والتأييد والعون والتوفيق، ولا تكون إلا للرسل وأتباعهم.

وهذا لا يعني أن الله مع الناس في أمكنتهم بل هو مع الناس وهو فوق سمواته على عرشه، ولا مانع من ذلك، كقولهم: ما زلنا نسير والقمر معنا، ومعلوم أن القمر في السماء.

وبين الله أن الصابرين عليهم صلوات من الله وهي الثناء من الله عليهم في الملأ الأعلى عند الملائكة، وأنه هداهم عند المصيبة فلم يتسخطوا، ولكن صبروا ورضوا.

* * *

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣).

(٢) رواه البخاري (١٤٦٩).

(٣) رواه البخاري (١٢٨٣) ومسلم (٦٢٦).

بيوت
صابرة على فقد الأزواج

فهي بيوت راضية بقضاء الله وقدره، وفي هذه البيوت لا تعترض المرأة المسلمة على فقد زوجها بقول أو فعل: مثل لطم الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية، وذلك لما جاء النهي عن ذلك في أحاديث رسول الله ﷺ ومنها:

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الميت يعذب في قبره بما نيح عليه**»[1].

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**».

متفق عليه[2].

البكاء على الميت برنة، ينوح فيها كما تنوح الحمام.

والبكاء على الميت نوعان:

نوع اقتضته الطبيعة، فهذا لا بأس به، ولا يلام عليه العبد، ومنه ما حصل للنبي ﷺ حين رفع إليه صبي ونفسه تقعقع كأنه في شن، فبكى عليه الصلاة والسلام رحمة بهذا الصبي الذي ينازعه الموت، وقال: «**ما هذا إلا رحمة، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**» فبكاء النبي ﷺ على هذا الصبي ليس من أجل الحزن، ولكن رق له ورحمه، حيث إنه ينازع الموت، وقال: «**إنما يرحم الله عباده**

---

(١) رواه البخاري (١٢٩٢).

(٢) رواه البخاري (١٢٩٤) ومسلم (١٠٣).

الرحماء»[1].

ومن ذلك أيضًا: البكاء الذي تقتضيه الطبيعة؛ حزنًا على فراق المحبوب، كما حصل للنبي ﷺ حين مات ابنه إبراهيم رضي الله عنه ـ وهو من مارية القبطية التي أهداها إليه ملك القبط ـ فقد جاءت منه بولد، وترعرع الصبي، وبلغ نحو ستة عشر شهرًا، يعني سنة وأربعة أشهر، وسماه بإبراهيم الذي هو خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج:٧٨] ولما بلغ ستة عشر شهرًا تقريبًا توفاه الله عز وجل، فرفع إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «**العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[2] هكذا قال النبي، فتوفي الطفل، وأخبر النبي ﷺ أن له مرضعًا في الجنة ترضعه، فهذا النوع من البكاء لا يضر؛ لأنه شيء تقتضيه الطبيعة والجبلة، ولا يدل على سخط الإنسان على ما قضاه الله وقدره.

أما النوع الثاني: فهو البكاء الذي ينوح فيه الإنسان نواحًا، هذا البكاء يعذب به الميت في قبره، فتكون أنت المتسبب لعذابه في قبره، ولهذا يخطئ بعض الناس إذا مات له قريب ينوح ويصرخ، والميت يعذب ما دام الحي فعله هكذا، فيعذب الميت في قبره، بسبب النواح عليه كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فالواجب على الإنسان أن يتصبر ويحتسب الأجر عند الله، ويعلم أن عظم الثواب من عظم المصاب، وأنه كلما عظمت المصيبة كثر الثواب.

❊ أما حديث ابن مسعود رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ: «**ليس منا من**

---

(١) رواه البخاري (١٢٨٤).

(٢) رواه البخاري (١٣٠٣) ومسلم (٢٣١٥).

شق الجيوب وضرب الخدود، ودعا بدعوى الجاهلية»[(١)] وهذا كان يفعله الناس في الجاهلية، إذا أصابتهم مصيبة شق أحدهم جيبه، أو جعل يلطم خده، أو ينتف شعره، أو يدعو بدعاء الجاهلية فيقول: يا ويلاه، يا ثبوراه، يا انقطاع ظهراه، وما أشبه ذلك، فتبرأ النبي ﷺ من هؤلاء؛ لأن المؤمن مؤمن القلب بالله، مؤمن بقضاء الله، يعلم أنه لا يمكن أن تتغير الحال عما كان، وأن هذا أمر قضي وانتهى، كتب قبل أن تخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، جفت الأقلام وطويت الصحف، لا يمكن أن تتغير الحال عما كان مهما كان، إذًا ما الفائدة من الجزع؟! ما الفائدة من السخط؟! ما هو إلا أمر من الشيطان ليحرمك الأجر من جهة، وليعذب به الميت من جهة أخرى.

* وهذه قصة أم سلمة رضي الله عنها[(٢)] وقد مات عنها زوجها أبو سلمة، وهو من أحب الناس إليها فحزنت لفراقه، وكانت قد سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الإنسان إذا أصيب بمصيبة، فقال: اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منها**» وتقول في نفسها: من خير من أبي سلمة؟ أبو سلمة زوجها يحبها وتحبه من يكون خيرًا من أبي سلمة؟ هي ما شكت في الخبر، هي توقن أنه صدق، لكن تقول من يكون هذا؟ فما إن انتهت عدتها حتى خطبها النبي ﷺ فكان خيرًا من أبي سلمة، فأخلف الله لها خيرًا من مصيبتها، وصار النبي ﷺ هو الذي يربي أولادها، وأولادها صاروا تحت الرسول ﷺ.

* وهذا أيضًا نتيجة لقصة أخرى، دخل النبي ﷺ على أبي سلمة رضي الله عنه وقد شخص بصره ـ خرجت روحه ـ فأغمض عينيه، ثم قال: «**إن الروح إذا قبضت تبعها البصر**»، فالروح إذا خرجت من الجسد يتبعها البصر

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٢) في «صحيح مسلم» (٩١٨).

يشاهدها بإذن الله، فلما سمع أهل البيت ذلك، عرفوا أن أبا سلمة قد مات، فضجوا، فقال النبي ﷺ: **«لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، وأفسح له في قبره، ونور له فيه، واخلفه في عقبه الغابرين»**(١).

وقد عرفنا أن النبي ﷺ خلف أبا سلمة في عقبه، فكان زوج امرأته، وكان مربيَ أولاده، يعني عاشوا في حجر الرسول ﷺ.

والمهم أن على المرء أن يصبر عند المصائب، ويسترجع ويقول: «اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منها»

ولا بأس أن يبكي البكاء الطبيعي الذي ليس فيه نوح، فإن هذا حصل من خير البشر محمد ﷺ.

* وعن أبي بُردة قال: وجع أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، فغشي عليه، ورأسه في حجر امرأة من أهله، فأقبلت تصيح برنة، فلم يستطع أن يرد عليها شيئًا، فلما أفاق، قال: أنا بريء ممن برئ منه رسول الله ﷺ، برئ من الصالقة، والحالقة، والشاقة.

متفق عليه(٢).

«الصالقة»: التي ترفع صوتها بالنياحة والندب، و«الحالقة»: التي تحلق رأسها عند المصيبة، و«الشاقة»: التي تشق ثوبها.

* وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من نيح عليه، فإنه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة»**.

متفق عليه(٣).

---

(١) في «صحيح مسلم» (٩٢٠).

(٢) رواه البخاري (١٢٩٦) ومسلم (١٠٤).

(٣) رواه البخاري (١٢٩١) ومسلم (٩٣٣).

* وعن أم عطية نسيبة ـ بضم النون وفتحها ـ رضي الله عنها قالت: أخذ علينا رسول الله ﷺ بعد البيعة أن لا ننوح.

متفق عليه(١).

* وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: أغمي على عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فجعلت أخته تبكي، وتقول: واجبلاه، واكذا، واكذا: تُعدِّد عليه. فقال حين أفاق: ما قلت شيئًا إلا قيل لي: أنت كذلك؟

رواه البخاري(٢).

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: اشتكى سعد بن عبادة رضي الله عنه شكوى، فأتاه رسول الله ﷺ يعُودُهُ مع عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فلما دخل عليه، وجده في غشية، فقال: «أقضى؟» قالوا: لا يا رسول الله، فبكى رسول الله ﷺ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا، قال: **«ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا ـ وأشار إلى لسانه ـ أو يرحم»**.

متفق عليه(٣).

* وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»**.

رواه مسلم(٤).

(١) رواه البخاري (١٣٠٦) ومسلم (٩٣٦).

(٢) رواه البخاري (٤٢٦٧).

(٣) رواه البخاري (١٣٠٤) ومسلم (٩٢٤).

(٤) رواه مسلم (٩٣٤).

* وعن أسيد بن أبي أسيد التابعي عن امرأة من المبايعات قالت: كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ في المعروف الذي أخذ علينا أن لا نعصيه فيه: أن لا نخمش وجهًا، ولا ندعو ويلًا، ولا نشق جيبًا، وأن لا ننشر شعرًا.

رواه أبو داود بإسناد حسن(١).

* وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من ميت يموت، فيقوم باكيهم، فيقول: واجبلاه، واسيداه، أو نحو ذلك إلا وُكل به ملكان يلهزانه: أهكذا أنت؟**».

رواه الترمذي وقال: حديث حسن(٢).

«اللهز» الدفع بجمع اليد في الصدر.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، و النياحة على الميت**».

رواه مسلم(٣).

أما النياحة: فهي البكاء برنة، حتى يكون كنوح الحمام.

وأما الندب فهو: أن يذكر محاسن الميت ويتأوه منها،ويتوجع.

وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه: أنه غشي عليه ورأسه في حجر بعض نسائه، فجعلت المرأة تبكي برنة يعني بنياحة، فلما أفاق رضي الله عنه قال: أنا بريء مما برئ منه النبي ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة.

الصالقة: من الصلق وهو رفع الصوت، يعني بأن تصرخ وترفع صوتها عند المصيبة.

---

(١) «صحيح سنن أبي داود» (٢٦٨٥).

(٢) «صحيح سنن الترمذي» (١٠٠٣).

(٣) «صحيح مسلم» (٦٧/١٢١).

أما الحالقة: فقد جرت عادة النساء في الجاهلية أن المرأة إذا أصيبت بميت تحلق شعر رأسها، كأنها غاضبة، والعياذ بالله.

أما الشاقة: فهي التي تشق جيبها عند المصيبة.

وفي هذه الأحاديث أن النائحة إذا لم تتب قبل موتها، فإنها تقام يوم القيامة من قبرها، وعليها سربال من قطران ودرع من جرب:

«السربال»: يعني الثوب، و«الدرع»: ما كان لاصقًا بالبدن، والمعنى أن جلدها أجرب والعياذ بالله، والجرب معروف، هو عبارة عن حكة يتبرز منها الجلد، وإذا كان جلدها من جرب وعليها سربال من قطران صار هذا أشد اشتعالًا في النار، والعياذ بالله، لكن إذا تابت قبل موتها، تاب الله عليها.

ومن جملة هذه الأحاديث: أن النبي ﷺ بكى لما رأى سعد بن عبادة رضي الله عنه قد غشي عليه، فبكى من معه من الصحابة، ثم قال ﷺ: **«ألا تسمعون، ألا تسمعون؟»** الاستفهام هنا بمعنى الأمر، أي اسمعوا ـ اسمعوا؛ **«إن الله لا يعذب بالبكاء أو بالحزن لكن يعذب بهذا، ـ وأشار إلى لسانه ـ أو يرحم»** يعني أن الله لا يعذب بالبكاء أو بالحزن لكن يعذب بالقول والصوت أو يرحم، فمثلًا إذا أصيب الإنسان بمصيبة، وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون» مؤمنًا بها قلبه، مؤمنًا بأن الله ملك قدير وله تدبير، وأننا راجعون إليه في أمورنا كلها وسنلاقيه يوم القيامة، فإذا آمن بهذا، وقال ما في حديث أم سلمة رضي الله عنها ـ : اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منها، فهذه يؤجر عليها، أما إذا جعل يقول: واجبلاه، واويلاه، واثبوراه، وما أشبه ذلك، فإن هذا يعذب به والعياذ بالله.

ومعنى «واجبلاه»: أن هذا الميت مثل الجبل، ملجأ لي وقد فقدته، فهو عبارة عن ندب مع مدح.

وخلاصة هذه الأحاديث: أن البكاء الذي يأتي بمجرد الطبيعة لا بأس به، وأما النوح والندب ولطم الخد، وشق الثوب، ونتف الشعر، أو حلقه أو نفشه فكل هذا حرام، وهو مما برئ منه النبي ﷺ.

❊ ❊ ❊

تحريم إحداد المرأة على ميت فوق ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام

ومما ينبغي على المرأة المسلمة أن تعلمه عند فقد زوجها ما يتعلق بالإحداد:

❊ عن زينب بنت أبي سلمة رضي الله عنها قالت: دخلت على أم حبيبة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها سفيان بن حرب رضي الله عنه، فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره، فدهنت منه جارية، ثم مست بعارضيها. ثم قالت: والله ما لي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: **«لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا»** قالت زينب: ثم دخلت على زينب بنت جحش رضي الله عنها حين توفي أخوها، فدعت بطيب فمست منه، ثم قالت: أما والله ما لي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: **«لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا»**.

متفق عليه[1].

الإحداد معناه: ترك الزينة، والطيب ونحوه، مما يعد بهجة وسرورًا وترفهًا، وهو موقت في الشرع بمدة معينة، فما زاد عن ذلك فهو حرام، وكانوا

(١) «صحيح البخاري» (٥٣٣٤) «صحيح مسلم» (١٤٩٠، ١٤٩١).

في الجاهلية إذا مات الإنسان وهو حبيب إليهم امتنعوا عن الطيب والتجمل وما أشبه ذلك مدة طويلة حسب ما يقدرون، فبين النبي ﷺ في هذا الحديث أنه لا يجوز الإحداد على ميت فوق ثلاثة أيام، إلا الزوج فالإحداد عليه أربعة أشهر وعشرة أيام.

مثاله: رجل مات ابنه فحزن عليه، فالواجب الصبر، والاحتساب، وأن تجري الأمور على ما هي عليه، يخرج إلى دكانه إذا كان صاحب دكان، وإلى فلاحته إذا كان صاحب فلاحة، وإلى مكتبه إذا كان موظفًا، وإلى مدرسته إذا كان معلمًا أو طالبًا، المهم ألا تتأثر أعماله بشيء، هذا هو المشروع، وهذه هي السنة، وهذا هو الأوفق، وهذا هو الأرفق بالشخص، فالأمر لله عز وجل: له الملك، وله الحمد، فهو المالك، وهو المحمود على كل حال.

ونقول له: «اصبر واحتسب»، ولا نقول له: «لا تحزن»، فكل إنسان له قلب حي فإنه لابد سيحزن، والحزن ليس مكروهًا ولا محرمًا، لكن نقول: اصبر واحتسب، ولا تخرب شيئًا من أمور دنياك، هذا هو الأفضل، والأوفق، والأرفق، والأحسن.

لكن لما كانت النفوس قد لا تطيق هذا لاسيما مع عظم المصاب، رخص النبي ﷺ في الإحداد لمدة ثلاثة أيام فقط، يعني لا بأس مثلًا أن الإنسان إذا مات له صديق أو قريب وحزن عليه حزنًا شديدًا لا يستطيع معه أن يقابل الناس، لا بأس أن يبقى في بيته لمدة ثلاثة أيام، فأقل، ولكن لابد من صلاة الجماعة، فمثل هذا لا بأس به.

وكذلك بالنسبة للنساء لو مات ابنها أو أبوها أو أخوها أو قريب لها، فلا حرج عليها أن تحد لمدة ثلاثة أيام فأقل، أما ما زاد فلا يجوز.

«لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر، أن تحد فوق ثلاث إلا على زوج»

فالزوج له حق عظيم، حتى قال النبي ﷺ: «**لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها**»[1] لكن السجود لا يكون إلا لرب العالمين عز وجل.

المهم أن الزوجة تحد أربعة أشهر وعشرًا، هذا إذا كانت غير حامل، أما الحامل فتحد إلى وضع الحمل فقط، زاد أو نقص.

فعلى هذا إذا مات عن زوجة زوجها، فالمرأة تحد أربعة أشهر وعشرة أيام، لقول الله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**﴾ [البقرة:٢٣٤] حتى لو كان لم يدخل عليها.

وإذا كانت حاملًا فإلى وضع الحمل حتى لو وضعت قبل أن يُغسَل الزوج، فقد انتهت العدة، وانتهى الإحداد، يعني مثلًا امرأة توفي زوجها وهي في الولادة، فلما خرجت روحه، خرج الحمل، يعني ما بين خروج روح زوجها، وخروج حملها إلا دقائق معلومة، فنقول: الآن انتهت العدة، وانتهى الإحداد، فلها شرعًا أن تتزوج، لأنها وضعت الحمل، والله عز وجل يقول: ﴿**وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾ [الطلاق:٤] فهذه انتهت عدتها، و الإحداد تبع العدة.

س: **ولكن ما هو الإحداد؟**

ج: الإحداد أن تجتنب المرأة الأشياء التالية:

أولًا: لباس الزينة، فلا تلبس ثوبًا يعد ثوب زينة، أما الثياب العادية فلها أن تلبسها، بأي لون كانت؛ أصفر، أحمر، أخضر، فلا حرج، أما الذي يعد زينة بحيث يقال إن هذه المرأة تزينت وتجملت، فإنه لا يحل لها أن تلبسه طالما أنها معتدة ومحادة على الزوج.

---

(١) «صحيح سنن الترمذي» (١١٩٥).

الثاني: الطيب بجميع أنواعه، إلا إذا طهرت من الحيض، فإنها تأخذ شيئًا سيرًا من الطيب تتطيب به أي تطيب محل الخبث حتى لا يكون لها رائحة.

الثالث: الحلي بجميع أنواعه، فلا تلبس الحلي لا في القدمين، ولا في لكفين، ولا في الرقبة، ولا في الأذنين ولا على الصدر.

الرابع: ألا تخرج من البيت أبدًا إلا لضرورة أو حاجة، لضرورة في الليل، و حاجة بالنهار، وأما بدون حاجة ولا ضرورة فلا يجوز أن تخرج من بيتها لذي مات زوجها وهي فيه، بل يجب عليها أن تبقى في البيت فلا تخرج.

وإذا قالت أريد أن أخرج إلى جيراني لأستأنس عندهم في النهار، وأعود ول الليل إلى بيتي.

نقول: لا، بل يمكن لجيرانك أن يأتوك، أما أنت فلا تذهبي، بل تبقين في لبيت الذي مات زوجك وأنت فيه.

وهنا مسألة:

لو مات الزوج خارج بلده أو خارج داره وكانت امرأته معه، فأين تقضي لعدة؟ فإذا قدرنا أنها سافرت مع زوجها إلى بلد للعلاج، ومات زوجها بالبلد لذي هو غير بلدها.

نقول: ارجعي إلى بلدك مع محرم؛ لأن هذا ليس مسكنك في الأصل.

الخامس: التجميل والتكحل بالكحل وما أشبه ذلك،ولهذا جاءت امرأة لى النبي وقالت: يا رسول الله إن ابنتي مات زوجها، وقد اشتكت عَينها ـ عني توجعها ـ أفنكحلها قال: «**لا**» مع أنها توجعها عينها فقال: «**لا**» حتى قال بن حزم رحمه الله: لو فقدت عينها فإنها لا تكحلها بأي حال من الأحوال؛ لأن النبي سئل عن هذه المريضة في عينها، فأبى أن يرخص لهم في الكحل. أما الصابون الذي ليس فيه طيب فلا بأس، وكذلك تنظيف الرأس، وكذلك

تنظيف الجلد.

وما اشتهر عند العوام أن المرأة تغتسل من الجمعة إلى الجمعة، فهذا لا أصل له.

وما اشتهر في بعض البلاد كمصر أن النساء يلبسن السواد إحدادًا على الزوج، فليس للإحداد ثوب مخصوص، وإذا كانت المرأة ممن تلبس السواد على كل حال فإن الأمر لن يتغير، أما التي تلبس السواد من أجل الإحداد فقط، فهذا يعد أمرًا محدثًا.

كذلك أيضًا ما اشتهر عند العوام أنها لا تكلم أحدًا إلا من محارمها، فهذا غلط أيضًا، فلها أن تكلم من شاءت: فتكلم من يستأذن عند الباب، وإلى من يتكلم في الهاتف، وتكلم من يدخل إلى البيت من أقارب الزوج وأقاربها الذين ليسوا من محارمها، ولا حرج، فهي في الكلام كغيرها من النساء، لا يحرم عليها الكلام مع الأجانب لكن بأدب وفي حدود الحاجة، وكما قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب:٣٢].

***

بيوت
تصبر على فقد الأولاد
وبيان فضل من مات له أولاد صغار

فهذه البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة: بيوت صابرة على البلاء والمصائب، كما أنها صابرة على الطاعة، وعن المعصية، وراضية بقضاء الله وقدره، ولا تقول إلا ما يرضي الله عز وجل، ولا تقول إلا ما علمها رسولها ﷺ، ولكن دمع العين وحزن القلب: لا ينافي هذا الرضا، وليس فيه اعتراض على قضاء الله وقدره، وهذا ما تعلمناه من رسول الله ﷺ.

* فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القَيْن، وكان ظئرًا لإبراهيم عليه السلام فأخذ رسول الله ﷺ فقبَّله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عين رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف، وأنت يا رسول الله؟ فقال: **«يا ابن عوف إنها رحمة»** ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: **«إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإن بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»**[1].

* وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه: إن ابنًا لي قُبض، فأتنا، فأرسل يُقرئ السلام ويقول: **«إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب»**، فأرسلت إليه تُقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال، فرُفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونَفْسُه تتقطع، قال: حسبته أنه قال:

---

(1) «صحيح البخاري» (١٣٠٣).

كأنها شنٌّ، ففاضت عيناه فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»(١).

وقد جاءت عدة أحاديث، في فضل من مات له ولد، فاحتسبه، ومنها:

* عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم**».

متفق عليه(٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد لا تمسه النار إلا تحلة القسم**».

متفق عليه(٣).

وقوله: «تحلة القسم» قول الله تعالى: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا**﴾ مريم: ٧١، والورود: هو العبور على الصراط، وهو جسر منصوب على ظهر جهنم. عافانا الله منها.

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا، نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله. قال: «**اجتمعن يوم كذا وكذا**» فاجتمعن، فأتاهن النبي صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله. ثم قال: «**ما منكن من امرأة تقدم ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجابًا من النار**» فقالت: امرأة: واثنين؟ فقال رسول الله ﷺ: «**واثنين**».

متفق عليه(٤).

---

(١) «صحيح البخاري» (١٢٨٤).
(٢) «صحيح البخاري» (١٢٤٨) و«صحيح مسلم» (٢٦٣٤).
(٣) «صحيح البخاري» (١٢٥١) و«صحيح مسلم» (٢٦٣٢).
(٤) «صحيح البخاري» (١٠١) و«صحيح مسلم» (٢٦٣٣).

فهذه الأحاديث كلها تدل على فضل من مات له أولاد صغار، أن الإنسان إذا مات له أولاد صغار لم يبلغوا الحنث ـ يعني: لم يبلغوا ـ فإنهم يكونون له سِترًا من النار بفضل رحمته إياهم؛ لأن هؤلاء الأولاد الصغار هم محل الرحمة، فالأولاد إذا كبروا استقلوا بأنفسهم، ولم يكن عند والدهم من الرحمة لهم كالرحمة التي عنده للأولاد الصغار، وإذا كان له أولاد صغار وماتوا واحتسب الأجر من الله ـ وهم ثلاثة ـ فإنهم يكونون له سترًا من النار فلا تمسه النار إلا تحلة القسم، يريد بـ «تحلة القسم» قوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا**﴾.

وفي حديث أبي سعيد الخدري في اجتماع النساء حتى أتى إليهن النبي ﷺ فعلمهن مما علمه الله وأخبرهن «**أنه ما من امرأة يموت لها ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا لم تمسه النار، إلا تحلة القسم**»، فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: «**واثنين**» وعلى هذا فيكون ذلك من فضل الله أيضًا، أنه إذا مات للإنسان اثنان من الولد ـ ذكورًا أو إناثًا ـ ثم صبر واحتسب كان ذلك له حجابًا من النار. والله الموفق.

❊ ❊ ❊

الابتلاء في الأولاد

والابتلاء في الأولاد، من أعظم الابتلاء، وأثقل الأنكاد، وهو نار تستعر في الفؤاد، وحرقة تضرم في الأكباد، ولهذا كان ثواب الصابر على ذلك جزيلًا، ويكون أجره في ميزانه يوم القيامة ثقيلًا.

❊ عن أبي سلمى رضي الله عنه راعي رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر. والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم**

فيحتسبه»(١).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد، فتمسه النار إلا تحلة القسم**»(٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتت امرأة النبي ﷺ بصبي لها فقالت: يا رسول الله ادع الله له، فلقد دفنت ثلاثة. فقال: «**دفنت ثلاثة؟**» قالت: نعم. قال: «**لقد احتظرت بحظار شديد من النار**»(٣).

* ومن حديث عتبة بن عبدٍ السلمي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ما من رجل يموت له ثلاثة من الولد، لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية، من أيتها شاء دخل**»(٤).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، إلا أدخلهم الله وأبويهما الجنة. قال: يكونون على باب من أبواب الجنة فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم بفضل رحمة الله**»(٥).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لنسوة من الأنصار: «**لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبهم إلا دخلت الجنة**. فقالت امرأة منهن: أو اثنين يا رسول الله؟ قال: «**أو اثنين**»(٦).

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: جاءت امرأة إلى رسول الله

---

(١) خرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٣٧) والحديث في «السلسلة الصحيحة» (١٢٠٤).
(٢) «صحيح البخاري» (١٢٥١) و«صحيح مسلم» (٢٦٣٢).
(٣) «صحيح مسلم» (٢٦٣٢).
(٤) خرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٣) وهو في «صحيح الجامع» (٥٧٧٢).
(٥) أخرجه النسائي (٤/ ٢٥) وهو في «السلسلة الصحيحة» (٣٤١٦).
(٦) «صحيح مسلم» (٢٦٣٢).

ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله. قال: «**اجتمعن يوم كذا وكذا**» فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: «**ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاث، إلا كانوا حجابًا من النار**»، فقالت امرأة: واثنين؟ فقال رسول الله ﷺ: «**واثنين واثنين واثنين**»(١).

* وروى البخاري حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه، إلا الجنة**»(٢).

* ورواه أحمد مطولًا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد إلا أدخل الله والديه الجنة بفضل رحمته إياهم**» قالوا: واثنين يا رسول الله؟ قال: «**واثنين**» قالوا: وواحدٌ يا رسول الله؟ قال: «**إن السِّقط يجر أمه بسرور إلى الجنة**»(٣).

* وعن أبي حسان، واسمه: مسلم بن عبد الله الأجرد!! قال: قلت لأبي هريرة رضي الله عنه: إنه قد مات لي ابنان، فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب له أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم، صغارهم دعاميص الجنة، فيلقى أحدهم أباه ، أو قال: أبويه ، فيأخذ بثوبه، أو قال: بيده، كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا، فلا يتناهى ، أو قال: ينتهي، حتى يدخله الله وأبويه الجنة»(٤).

---

(١) «صحيح البخاري» (١٢٤٩) و«صحيح مسلم» (٢٦٣٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٤٢٤).

(٣) «مسند أحمد» (٥/ ٢٤١) ورواه ابن ماجه في «السنن» (١٦٠٩) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى.

(٤) خرجه مسلم (٢٦٣٥).

قال: و«الدعموص»: دويبة تغوص في الماء، وجاء في رواية «ينغمسون في أنهار الجنة» يعني يغوصون في الأنهار.

و«الغمس»: الغوص، فهم يلعبون في أنهار الجنة.

و«صنفة الثوب» ـ بكسر النون ـ طرته، وهي جانبه الذي لا هدب له، ويقال: هي حاشية الثوب إلى أي جانب كان.

وعن معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عنه أن رجلًا كان يأتي النبي ﷺ ومعه ابن له صغير، فقال له النبي ﷺ: **«أتحبه؟»** فقال: يا رسول الله، أحبك الله كما أحبه، ففقده النبي ﷺ فقال: **«ما فعل ابن فلان؟»** قالوا: يا رسول الله، مات، فقال رسول الله ﷺ: **«ما تحب ألا تأتي بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك؟»** فقال رجل: يا رسول الله، له خاصة، أو لكلنا؟ قال: **«بل لكلكم»**(١).

وخرجه النسائي(٢) ولفظه: كان نبي الله ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره، فيقعده بين يديه إلى أن هلك الصبي، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة، يذكر ابنه ويحزن عليه، ففقده النبي ﷺ فقال: **«مالي لا أرى فلانًا؟»** فقالوا: يا رسول الله، بنيه الذي رأيت هلك، فمنعه ذلك من حضور الحلقة، فلقيه النبي ﷺ وسأله عنه فأخبره قد هلك فعزاه عليه، ثم قال: **«يا فلان، أيها كان أحب إليك، أن تمتع به عمرك، أو لا تأتي غدًا بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتح لك؟»** فقال: يا نبي الله، بل يسبقني إلى أبواب الجنة، فيفتحها لي أحب إليَّ وقال: **«فذلك لك»**

---

(١) خرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٤ ـ ٣٥) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح المشكاة» (١٧٥٦).

(٢) «سنن النسائي» (٤/ ٢٢ ـ ٢٣)

قال: فقام رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، جعلني الله فداك، هذا لفلان خاصة، أو لمن هلك له فرط من المسلمين كان ذلك له، قال: «**بل كل من هلك له فرط من المسلمين كان ذلك له**»(١).

وخرج ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**ذراري المؤمنين يكفلهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام في الجنة**»(٢).

وفي الحديث الطويل عن سمرة بن جندب في رؤيا النبي ﷺ «**أنه أتاني الليلة آتيان وأنهما ابتعثاني ـ وفيه فأتينا على روضة معتمة فيها من نور الربيع، وإذا بين ظهراني الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولًا في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط**» وذكر الحديث.

وفيه: «**وأما الرجل الطويل الذي في الروضة، فإنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة..**» الحديث(٣).

وما أحسن ما عزَّى بعضهم صاحبًا له بولده، فقال:

فإن كنت تبكيه طلابًا لنفعه ... فقد نال جنات الخلود مسارعًا
وإن كنت تبكي أنه فات عوده ... عليك بنفع فابنك قد صار شافعًا

وخرج الترمذي(٤) عن حماد بن سلمة عن أبي سنان ـ يعني: عيسى ابن سليمان القسملي ـ قال: دفنت ابني سنانًا، وأبو طلحة الخولاني جالس على شفير القبر، فلما أردت الخروج أخذ بيدي فقال: ألا أبشرك يا سنان. قلت: بلى. قال: حدثني الضحاك بن عبد الرحمن بن عزرب عن أبي موسى الأشعري

---

(١) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح النسائي» (٢٠٨٨).

(٢) «صحيح ابن حبان» (٧٢٥) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٦٠٣).

(٣) خرجه البخاري مطولًا (٧٠٤٧).

(٤) « سنن الترمذي»(١٠٢١).

رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد، قال الله عز وجل لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة، وسموه بيت الحمد».

وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله.

❊ ❊ ❊

نماذج
لبيوت مسلمة فقدت بعضًا من الأولاد

قال عبد الله بن مطرف بن عبد الله بن الشخير، وقد مات له ولد: «والله لو أن الدنيا وما فيها لي فأخذها الله عز وجل مني، ثم وعدني عليها شربة من ماء، لرأيتها لتلك الشربة أهلًا، فكيف بالصلاة والرحمة والهدى؟!».

وروي عن ثابت البناني قال: «مات عبد الله بن مطرف، فخرج مطرف على قومه في ثياب حسنة، وقد ادهن، فغضبوا، وقالوا: يموت عبد الله، ثم تخرج في ثيابك مثل هذه مداهنًا؟! قال: أستكين له، وقد وعدني ربي تبارك وتعالى عليها ثلاث خصال، كل خصلة منها أحب إليَّ من الدنيا وما فيها كلها، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ فأستكين لها بعد هذا؟!

وروي عن سعيد بن جبير قال: «ما أعطي أحدًا ما أعطيت هذه الأمة، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦

﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾، ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب صلوات الله وسلامه عليه ألم تسمع إلى قوله: ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾.

وروي عن الحسن البصري رحمه الله «أنه جاءه رجل فقال: يا أبا سعيد! إنه كان لي ابن صغير فمات، وإذا رأيت شيئًا مما كان يلعب به جذعت من ذلك جذعًا شديدًا. فقد خفت أن يحبط بذلك أجري. قال: لن يحبط الله تعالى أجرك، فإذا رأيت شيئًا من ذلك، فقل: اللهم اجعله لي أجرًا، اللهم اجعله لي فرطًا».

ومما يؤثر: فيمن صبر وقد أصيب بأحبابه، وتعزى بحسن العزاء عن مصابه، ما صح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مات ابن لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه قال: فجاء فقربت إليه عشاء، فأكل وشرب قال: ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها. فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها. قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك. قال: فغضب وقال: تركتني حتى تلطخت ثم أخبرتني بابني، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في غابر ليلتكما» قال: فحملت، وذكر الحديث[1].

وفيه: «فولدت غلامًا».

وفيه: «أن رسول الله ﷺ مسح وجهه، وسماه عبد الله».

خرجاه في «الصحيحين» وهذا لفظ مسلم مختصرًا.

---

(١) «صحيح مسلم» (٢١٤٤).

وفي رواية البخاري[1]، قال سفيان بن عيينة: فقال رجل من الأنصار، فرأيت لهم تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن، يعني من أولاد عبد الله، الذي ولد من جماع تلك الليلة، التي مات فيها الولد المذكور، وهو أبو عمير الذي كان النبي ﷺ يداعبه، ويقول: «**يا أبا عمير، ما فعل النغير؟**».

وكان أبو ذر - رضي الله عنه - لا يعيش له ولد. فقيل له: إنك امرؤ ما يبقى لك ولد؟ فقال: الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء، ويدخرهم في دار البقاء.

ويروى عن المعافى بن عمران عن شهاب بن خراش، عن عبد الرحمن بن غنم قال: «دخلنا على معاذ بن جبل - رضي الله عنه - وهو قاعد عند رأس ابن له وهو يجود بنفسه، فما ملكنا أنفسنا أن ذرفت أعيننا، وانتحب بعضنا، فزجره معاذ وقال: مه، فوالله لعلم الله برضائي بهذا أحب إليَّ من كل غزوة غزوتها مع رسول الله ﷺ، فإني سمعته يقول: «من كان له ابن، وكان عليه عزيزًا أو به ضنينًا فصبر على مصيبته واحتسبه، أبدل الله الميت دارًا خيرًا من داره، وقرارًا خيرًا من قراره، وأبدل المصاب الصلاة والرحمة والمغفرة والرضوان»، فما برحنا حتى قضى الغلام حين أخذ المنادي لصلاة الظهر، فرحنا نريد الصلاة فما جئنا إلا وقد غسله وحنطه وكفنه، وجاء رجل بسريره غير منتظر لشهادة الإخوان، ولا لجمع الجيران. فلما بلغنا ذلك تلاحقنا فقلنا: يغفر الله لك يا أبا عبد الرحمن! هلا انتظرتنا حتى نفرغ من صلاتنا؟ ونشهد ابن أخينا، فقال: أمرنا ألا ننتظر موتانا ساعة ما توافق ليل أو نهار والإذن فيهم من نعي الجاهلية. قال: فنزل في القبر ونزل معه آخر، فقلت: الثالث يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: إنما يقول الثالث الذين لا يعلمون. فلما سوى عليه التراب، أراد الخروج فناولته يدي

---

(١) «صحيح البخاري» (١٣٠١).

لأنتشطه من القبر، فأبى وقال: ما أدع لك لفضل قوتي، ولكني أكره أن يرى الجاهل أن ذلك مني جزع واسترخاء عند المصيبة»، ثم أتى مجلسه فدعى بدهن فادهن، وبكحل فاكتحل، وببردة فلبسها، وأكثر في يومه ذلك من التبسم ينوي به ما ينوي، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، في الله خلف من كل هالك، وعزاء من كل مصيبة، ودرك لكل ما فات». وذكر الحديث.

وقال نافع مولى ابن عمر: «اشتكى ابن لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فاشتد وجده عليه، حتى قال بعض القوم: لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا الغلام حدث، فمات الغلام، فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل أبدى سرورًا منه. فقيل له في ذلك، فقال ابن عمر: إنما كان رحمة له، فلما وقع أمر الله رضينا به».

وروي عن سفيان الثوري قال: «قال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك وهو مريض: كيف تجدك؟ قال: في الموت، قال له: لأن تكون في ميزاني أحب إلي في ميزانك. فقال له: والله يا أبت لأن يكون ما تحب أحب إلي أن يكون ما أحب. قيل: فلما مات ابنه عبد الملك. قال: عمر: يا بني، لقد كنت في الدنيا كما قال الله جل ثناؤه: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الكهف: ٤٦ ، ولقد كنت أفضل زينتها، وإني لأرجو أن تكون اليوم من الباقيات الصالحات، التي هي خير ثوابًا وخير أملا. والله ما سرني أني دعوتك من جانب البيت فأجبتني. ولما دفنه قام على قبره، فقال: ما زلت مسرورًا بك مذ بشرت بك. وما كنت قط أسر إلي منك اليوم، ثم قال: اللهم اغفر لعبد الملك بن عمر ولمن استغفر له».

وروى ابن المبارك في «الزهد» عن عياض بن عقبة الفهري «أنه مات ابن له فلما نزل في قبره قال رجل: والله إن كان لسيد الجيش، فاحتسبه، فقال: وما يمنعني، وقد كان بالأمس من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات

الصاخات».

وروي أن شريحًا القاضي مات له ابن، فجهزه وغسله ودفنه بالليل، ولم يشعر به أحد، وجلس للقضاء من الغد، فجاء الناس على حسب العادة يعودونه ويسألونه عنه. فقال: الآن فقد الأنين والوجع، فظن الناس أنه عوفي، فسروا بذلك فقال: أحتسبه في جنب الله عز وجل، وهو يضحك، فتعجب الناس من ذلك.

ومات ابن لوكيع بن الجراح، فخرج وروى للناس أربعين حديثًا، زيادة على ما كان يروي كل يوم.

وقال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكًا ولا متبسمًا إلا يوم مات علي ابنه رحمه الله فقلت له في ذلك: فقال: إن الله سبحانه أحب أمرًا، فأحببت ما أحب الله.

وروى جعفر السراج من حديث سعيد بن عثمان قال: دخل ذو النون على مريض يعوده فرأى المريض يئن. فقال ذو النون: ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضره فقال المريض: لا. ولا صدق في حبه من لم يتلذذ بضره.

وقيل لرجل: كم لك ولد؟ قال: تسعة. فقيل له: إنما نعرف لك واحدًا؟ فقال: كان لي عشرة فقدمت تسعة، وبقي لي واحد، فلا أدري أنا له أم هو لي.

وروي عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: كانت تجيء عجوز من بكر بن كلاب، يتحدث قومها عن عقلها وسدادها، فأخبرني من حضرها، وقد مات ابن لها وكان واحدها، وقد طالت علته وأحسنت تمريضه. فلما مات قعدت بفنائها وحضرها قومها، فأقبلت على شيخ منهم، فقالت: يا فلان ما حق من ألبس العافية، وأسبغت عليه النعمة، واعتدلت به الفطرة، أن لا يعجز عن التوثق لنفسه قبل حل عقدته، والحلول بعقوبته، ينزل الموت

بداره، تعني: فيحول بينه وبين نفسه

ثم أنشدت تقول:

هو ابني وأنسي أجره لي وعـــزني على نفسه رب إليه ولاؤهـــا
فإن أحتسب أؤجر وإن أبك أكن كباكية لم يغن شيئًا بكاؤهـــا

فقال الشيخ: إنا لم نزل نسمع أن الجزع إنما هو للنساء، فلا يجزعن رجل بعدك. ولقد كرم صبرك، وما أشبهت النساء، فأقبلت عليه بوجهها، وقالت: إنه ما ميز أمر بين جزع وصبر، إلا وجد بينهما منهجين بعيدي التفاوت في حالتيهما، أما الصبر فحسن العلانية، محمود العاقبة وأما الجزع: فغير معوض عوضًا مع مأثمه ولو كانا في صورة رجلين لكان الصبر أولاهما بالغلبة، وبحسن الصورة، وكرم الطبيعة في عاجل الدين وآجله في الثواب، وكفى بما وعد الله عز وجل فيه لمن ألهمه الله إياه».

وقيل لأعرابية مات ابنها فصبرت: ما أحسن عزاءك! فقالت: إن فقدي إياه أمنني المصيبة بعده.

وأنشد بعضهم في معناه:

وكنت عليه أحـــذر الموت وحده فلم يبـق لي شيء عليه أحـــاذر

وقال غيره:

وقد كنت أرجو الخوف قبل وفاتهم فلما توفوا مات خوفي من الدهـر

وقال آخر:

ألا فليمت من شـاء بعـــدك إنما عليك من الأقدار كان حذاريـا

وقال معن بن أوس:

واعلم أني لم تصبني مصيبـــــــة من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي

وقال عبد الملك بن قُريب الأصمعي: خرجت أنا وصديق لي إلى البادية،

فضللنا الطريق فإذا نحن بخيمة عن يمين الطريق فقصدنا نحوها، فسلمنا فإذا امرأة ترد علينا السلام. قالت: من أنتم؟ قلنا: قوم ضالون رأيناكم فأنسنا بكم. فقالت: يا هؤلاء ولوا وجوهكم عني حتى أقضي من حقكم ما أنتم له أهل، ففعلنا فألقت إلينا مسحا. فقالت: اجلسوا عليه إلى أن يأتي ابني. ثم جعلت ترفع طرف الخيمة وتردها إلى أن رفعته مرة. فقالت: اسأل الله بركة المقبل. أما البعير فبعير ولدي، وراكبه فليس بولدي. قال: فوقف الراكب عليها، وقال: يا أم عقيل. أعظم الله أجرك في عقيل ولدك. فقالت: ويحك مات ولدي؟! قال: نعم. قالت: وما سبب موته؟ قال: ازدحمت عليه الإبل فرمت به في البئر. فقالت: انزل واقض ذمام القوم، ودفعت إليه كبشًا فذبحه وأصلحه وقرب إلينا الطعام. فجعلنا نأكل ونعجب من صبرها. فلما فرغنا خرجت إلينا، وقالت: يا قوم هل فيكم أحدٌ يحسن من كتاب الله عز وجل شيئا؟ قلت: نعم. قالت: اقرأ علي آيات أتعزى بها عن ولدي.

قلت: يقول الله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ قالت: الله إنها لفي كتاب الله هكذا؟ قلت: والله إنها لفي كتاب الله هكذا فقالت: السلام عليكم. ثم صفت قدميها وصلت ركعات ثم قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، و عند الله أحتسب عقيلا.

ثم قالت: اللهم إني فعلت ما أمرتني به فأنجز لي ما وعدتني ولو بقي أحد لأحد. قال: فقلت في نفسي: تقول لبقي ابني لحاجتي إليه، فقالت: لبقي محمد ﷺ لأمته. فخرجت وأنا أقول: ما رأيت أكمل منها ولا أجزل. ذكرت رحمها الله ابنها بأحسن خصاله وأجمل خلاله، ثم لما علمت أن الموت لا مدفع له ولا محيص عنه، وأن الجزع لا يجدي نفعًا، وأن البكاء لا يرد هالكًا، رجعت إلى الصبر الجميل، واحتسبت ابنها عند الله عز وجل ذخيرة نافعة ليوم الفقر

والفاقة.

وقال الأصمعي أيضًا: رأيت بالبادية أعرابية جالسة على قبر ابن لها تندبه، وهي تقول:

قبر عزيز علينا لو أن من فيه يفدى
أسكنت قرة عيني ومؤنس النفس لحدا
ما جار خلق علينا ولا القضاء تعدى
والصبر أحسن شيء به الكريم تردى

وقال أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد: أخبرنا عبد الرحمن، عن عمه، عن يونس قال: «بينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بعض الطرق إذا بأعرابي قد أقبل فقال له: يا أعرابي من أين أقبلت؟ فقال: من عند وديعة لي في هذا الجبل. قال: و ما وديعتك؟ قال: بُني لي دفنته منذ سنتين، فأنا في كل يوم أزوره وأندبه. فقال عمر: سألتك بالله ألا أسمعتني بعض ذلك؟ فقال:

يا غائبا ما يؤوب من سفره ... عاجله موته على صغره
يا قرة العين كنت لي أنسا ... في طول ليلي نعم وفي سحره
ما تقع العين أينما وقعت ... في الحي مني إلا على أثره
شربت كأسا أبوك شاربها ... لابد يوما له على كبره
يشربها و الأنام كلهم ... من كان في بدوه وفي حضره
فالحمد لله لا شريك له ... في علمه كان ذا وفي قدره
قد قسم الموت في العباد فما ... يقدر خلق يزيد في عمره

قال: فبكى عمر رضي الله عنه حتى بل لحيته، ثم قال: «صدقت يا أعرابي».

وقال أبو العباس أحمد بن مسروق: حدثنا محمد بن الحسين: حدثني موسى بن عيسى عن الوليد بن مسلم عن أبي عمرو الأوزاعي: قال: حدثني

بعض الحكماء. قال: خرجت وأنا أريد الرباط حتى إذا كنت بعريش مصر، إذا أنا بمظلة وفيها رجل وقد ذهبت عيناه، واسترسلت يداه ورجلاه، وهو يقول: لك الحمد سيدي ومولاي. اللهم إني أحمدك حمدًا يوافي محامد خلقك، كفضلك على سائر خلقك، إذ فضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلا: فقلت: والله لأسئلنه أعلنه أو أخمه إلهاما، فدنوت منه وسلمت عليه، فرد علي السلام فقلت له: رحمك الله إني أسألك عن شيء تخبرني به أم لا؟ فقال: إن كان عندي منه علم أخبرتك به، فقلت: رحمك الله، على أي نعمة تحمده، أم على أي فضيلة من فضائله تشكره؟ فقال: أو ليس ترى ما قد صنع بي؟ فقلت: بلى. فقال: والله لو أن الله تبارك وتعالى صب علي نارًا تحرقني، وأمر الجبال فدمرتني، وأمر البحار فغرقتني، وأمر الأرض فخسفت بي، ما ازددتُ له سبحانه إلا حبا، ولا ازددت له إلا شكرًا، وإن لي إليك حاجة أفتقضيها لي؟ قلت: نعم، قل ما تشاء، فقال: بُني لي كان يتعاهدني أوقات صلاتي، ويطعمني عند إفطاري، وقد فقدته منذ أمس، فانظر هل تحسه لي؟ قال: فقلت في نفسي: إن في قضاء حاجته لقربة إلى الله عز وجل، وقمت وخرجت في طلبه حتى إذا صرت بين كثبان الرمال، إذا أنا بسبع قد افترس الغلام يأكله، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون. كيف آتي هذا العبد الصالح بخبر ابنه. قال: فأتيته وسلمت عليه فرد علي السلام. فقلت: رحمك الله إن سألتك عن شيء تخبرني به؟ فقال: إن كان عندي منه علم أخبرتك به. قال: قلت: أنت أكرم على الله عز وجل وأقرب منزلة، أم نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام؟ فقال: بل نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام أكرم على الله مني، وأعظم عند الله منزلة، فقلت: ابتلاه الله فصبر حتى استوحش منه من كان يأنس به، وكان غرضًا لمرار الطريق.

واعلم أن ابنك الذي أخبرتني به وسألتني أطلبه لك افترسه السبع، فأعظم الله أجرك فيه فقال: الحمد لله الذي لم يجعل في قلبي حسرة من الدنيا،

ثم شهق شهقة وسقط على وجهه، فجلست ساعة ثم حركته فإذا هو ميت، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون. كيف أعمل في أمره، ومن يعينني على غسله وكفنه، وحفر قبره ودفنه؟!

فبينا أنا كذلك إذا أنا بركب يريدون الرباط، فأشرت إليهم، فأقبلوا نحوي حتى وقفوا علي، فقالوا: ما أنت وما هذا؟ فأخبرتهم بقصتي، فعلقوا رواحلهم وأعانوني حتى غسلناه بماء البحر، وكفناه بأثواب كانت معهم، وتقدمت أنا فصليت عليه مع الجماعة فدفناه في مظلته، وجلست عند قبره أنسًا به اقرأ القرآن إلى أن مضى من الليل ساعات، فغفوت غفوة، فرأيت صاحبي في أحسن صورة وأجمل زي، في روضة خضراء عليه ثياب خضر، قائمًا يتلو القرآن. فقلت له: ألست صاحبي؟ قال: بلى، قلت: فما الذي صيرك إلى ما أرى؟ فقال: اعلم أني وردت مع الصابرين لله عز وجل في درجة لم ينالوها إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، وانتبهت.

وهاتان نعمتان عظيمتان: الصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، ومن وفق لهما فقد وفق لخير عظيم، ومن قام بهما فقد فاز بثواب جزيل جسيم وحصل له رضى الرب الرحيم.

وقد قيل:

ينال الرضى عبد يقابل نعمـــة بشكر ويلقى الصبر في العسر ناصره
ومن رضي الرحمن عنه فإنـــــه سعيد بفضل الله دنيا وأخـره

وتحقيق الصبر على المصيبة بأمور:

منها: رجاء ما وعد الله عليها من الثواب والأجور.

ومنها: أن فوق كل مصيبة ما هو أشد منها، فيتفكر المصاب في مصيبته وما فوقها فيسلو عنها.

ومنها: النظر في المصيبة في غير الدين أهون وأيسر عند المؤمنين.

وقال رجل لسهل بن عبد الله التستري رحمه الله: دخل اللص بيتي وأخذ متاعي، فقال: اشكر الله تعالى، لو دخل الشيطان قلبك فأفسد إيمانك، ماذا كنت تصنع؟

وروي أن امرأة من العرب مرت بابنين لها، وقد قتلا، فقالت: الحمد لله رب العالمين، ثم قالت:

وكل بلوى تصيب المرءَ عافيةٌ ... ما لم يصب يوما يلقى اللهَ بالنار

ومنها: العلم بأن المصائب كفارات مع أنها يسيرة فانية، وهي تدفع عقوبات الآخرة مع أنها خطيرة باقية.

****

بيوت
ذاكرة للموت وقاصر أملها

«فإن الموت أمر كبار لمن أنجد وأغار، وكأس تدار فيمن أقام أو سار، وباب تسوقك إليه يد الأقدار ويزعجك فيه حكم الاضطرار ويخرج بك إما إلى الجنة وإما إلى النار، خبر - علم الله - يصم الأسماع ويغير الطباع ويكثر من الآلام والأوجاع.

واعلموا أنه لو لم يكن في الموت إلا الإعدام وانحلال الأجسام ونسيانك أخرى الليالي والأيام، لكان والله لأهل اللذات مكدرًا، ولأصحاب النعيم مغيرًا، ولأرباب العقول عن الرغبة في هذه الدار زاجرًا ومنفرًا، كما قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: إن هذا الموت نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه، فكيف ووراءه يوم يعدم فيه الجواب، وتدهش فيه الألباب، وتفنى في شرحه الأقلام والكتاب، ويترك النظر فيه والاهتمام به الأولياء والأحباب.

واعلموا رحمكم الله أن الناس في ذكر الموت على ضروب، فمنهم المنهمك في لذاته المثابر على شهواته المضيع فيها مالا يرجع من أوقاته، لا يخطر الموت له على بال، ولا يحدث نفسه بزوال، قد أطرح أخراه وأكب على دنياه، واتخذ إلهه هواه، فأصمه ذلك وأعماه وأهلكه وأرداه.

فإن ذُكر له الموت نفر وشرد، وإن وعظ أنف وبعد، وقام في أمره الأول، وقعد وقد حاد عن سواء نهجه، ونكب عن طريق فلجه، وأقبل على بطنه وفرجه، تبت يداه وخاب مسعاه، وكأنه لم يسمع قول الله عز وجل: ﴿كُلُّ

نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.

ثم ربما أحضر الموت بخاطره وجعله من بعض خواطره، فلا يهيج منه إلا غمًّا ولا يثير من قلبه إلا حزنًا مخافة أن يقطعه عما يؤمل أو يفطمه عن لذة في المستقبل وربما فر بفكره منه ودفع ذلك الخاطر عنه ويا ويحه كأنه لم يسمع قول الله عز وجل ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وكذلك من كان قلبه متعلقًا بالدنيا، وهمه فيها، ونظره مصروفًا إليها، وسعيه كله لها، وهو مع ذلك من طلابها المحرومين وأبنائها المكدودين، لم ينل منها حظًّا، ولا رقى منها مرقى، ولا نجح له فيها مسعى، إن ذكر له الموت تصامم عن ذكره، ولم يمكنه من فكره، وتمادى على أول أمره رجاء أن يبلغ ما أمل، أو يدرك بعض ما تخيل، فعمره ينقص، وحرصه يزيد، وجسمه يخلق، وأمله جديد، وحتفه قريب، ومطلبه بعيد، يحرص حرص مقيم ويسير إلى الآخرة سير مجد، كأن الدنيا حق اليقين والآخرة ظن من الظنون، وفي مثل هذا قيل:

أتحرص يا ابن آدم حرص باق ... وأنت تمر ويحك كل حين

وتعمل طول دهرك في ظنون ... وأنت من المنون على يقين

وهذا إذا ذكر الموت أو ذُكِّر به لم يخف أن يقطع عليه مهمًّا من الأغراض قد كان حصله، ولا عظيمًا من الآمال في نفسه قد كان أدركه، لأنه لم يصل إليه، ولا قدر عليه، لكنه يخاف أن يقطعه في المستقبل عن بلوغ أمل يحدث به نفسه، ويخدع به حسه، وهو يرى فيه يومه، كما قد رأى فيه أمسه، قد ملأ قلبه بتلك الأحاديث المشغلة، والأماني المرذلة والوساوس المتلفة، قد جعلها ديدنه ودينه وربما له ويقينه، وربما ضاق ذرعه بالدنيا، وطال همه فيها من تعذر مراده عليه،

وقلة تأتيه له، فتمنى الموت إذ ذاك ليستريح بزعمه، وهذا من جهله بالموت وبما بعد الموت، والذي يستريح بالموت غيره، والذي يفرح به سواه، إنما الفرح من وراء الصراط، والراحة بعد المغفرة».

إن البيوت التي تذكر الموت، جديرة بأن تستقيم على الطاعة، وتبتعد عن المعصية، لأن الموت هو الحق الذي لاشك فيه، وهو أعظم واعظ ومذكر بالآخرة والحساب والجنة والنار.

والموت حقٌّ على كل مخلوق، وهو آتٍ ولابد ولا مهرب ولا مفر منه قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥] فهذه الآية تبين أنه يجب على العاقل أن يتذكر الموت وأن يقصر الأمل في الدنيا، وليس الأمل في ثواب الله عز وجل وما عنده من الثواب الجزيل لمن عمل صالحًا.

لكن المراد أنك لا تطيل الأمل في الدنيا، فكم من إنسان أمل أملًا بعيدًا فإذ الأجل يفجؤه؟! وكم من إنسان يُقدِّر ويفكر سيفعل ويفعل ويفعل. فإذا به قد انتهى أجله وترك ما أمَّله، وانقطع حبل الأمل، وحضر الأجل!

فالذي ينبغي للإنسان العاقل كلما رأى من نفسه طموحًا إلى الدُّنيا، وانشغالا بها واغترارًا بها: أن يتذكر الموت، ويتذكر حال الآخرة، لأن هذا هو المآل المتيقن، وما يؤمله الإنسان في الدنيا قد يحصل وقد لا يحصل، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء:١٨ ـ ٢٠].

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥] فكل نفس منفوسة من بني آدم وغير بني آدم ذائقة الموت، لابد أن تذوق الموت، وعبر بقوله: ﴿ذَآئِقَة﴾؛ لأن الموت يكون له مذاق مر يكرهه كل إنسان.

لكن المؤمن إذا حضره أجله وبشر بما عند الله عز وجل أحبَّ لقاء الله ولا يكره الموت حينئذ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي تعطونها وافية كاملة يوم القيامة.

وإن أوتي الإنسان أجره في الدنيا، فإنه ليس هذا هو الأجر فقط، بل الأجر الوافي الكامل الذي به يستوفي الإنسان كل أجره يكون يوم القيامة، و إلا فإن المؤمن قد يثاب على أعماله الصالحة في الدنيا، لكن ليس هو الأجر الكامل الذي فيه التوفية الكاملة، لأن هذه إنما تكون يوم القيامة ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ زحزح يعني: أبعد عن النار ﴿وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ لأنه نجى من المكروه وحصل له المطلوب، نجى من المكروه وهو دخول النار، وحصل له المطلوب وهو دخول الجنة، وهذا هو الفوز العظيم الذي لا فوز مثله.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ صدق الله عز وجل؛ الدنيا متاع الغرور يعني متاع ليس دائمًا، بل كما يكون للمسافر متاع يصل به إلى منتهى سفره، ومع ذلك فهي متاع غرور تغر الإنسان، تزدان له وتزدهر وتكتحل وتتحسن وتكون كأحسن شيء، ولكنها تغره.

كلما كثرت الدنيا وتشبث الإنسان بها بَعُد عن الآخرة، ولهذا قال النبي ﷺ: «**والله ما الفقر أخشى عليكم، وإنما أخشى عليكم أن تفتح عليكم الدنيا كما فتحت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم**» متفق عليه.

ولهذا نجد أن الإنسان أحيانًا يكون في حال الضيق أو الوسط خيرًا منه في

حال الغنى، لأن الغنى يغره ويطغيه، ولهذا قال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ يعني فلا تغتروا بها، وعليكم بالآخرة التي إذا زحزح فيها الإنسان عن النار وأدخل الجنة، فإنه بذلك يفوز فوزًا لا فوز مثله.

وقال: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤] لا يدري الإنسان بأي أرض يموت، هل يموت بأرضه، أم بأرض بعيدة عنها، أم قريبة منها، أم يموت في البحر، أم يموت في الجو؟ لا يدري، ولا يعلم ذلك إلا الله.

فإذا كنت لا تدري بأي أرض تموت، وأنت يمكنك أن تذهب يمينًا وشمالا، فكذلك لا تعلم متى تموت، لا تدري في أي وقت تموت، هل ستموت في الصباح، في المساء، في الليل، في وسط النهار، في الشهر القريب، في الشهر البعيد؟ لا تدري متى تموت ولا بأي أرض تموت.

فإذا كنت كذلك فأقصر الأمل، لا تمد الأمل طويلًا، لا تقل أنا شاب، وسوف أبقى زمانًا طويلًا، فكم من شابٍّ مات في شبابه، وكم من شيخ عمَّر، ولا تقل: إني صحيح البدن والموت بعيد، كم من إنسان مرض بمرض يهلكه بسرعة، وكم من إنسان حصل له حادث، وكم من إنسان مات بغتة، لذلك لا ينبغي للإنسان أن يطيل الأمل، بل عليه أن يعمل للدنيا عملها، وللآخرة عملها، فيسعى للآخرة سعيها بإيمان بالله عز وجل واتكال عليه.

فقد قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] إذا جاء أجل الإنسان لا يمكن أن يتأخر دقيقة واحدة ولا يمكن أن يتقدم، بل هو بأجل معدود محدود، لا يتقدم عليه ولا يتأخر فلماذا تجعل الأمل طويلًا؟

* * *

بيوت
ثابتة عند الفتن

إن البيوت المسلمة التي يحبها الله ورسوله ﷺ:

بيوت تتعوذ بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

بيوت ثابتة عند الفتن، لا تتزعزع، ولا تتهاوى، ولا تسقط.

بيوت معتصمة بالله وبكتابه وبسنة نبيه ﷺ.

فالفتن تحرق الدين، وتحرق العقل، وتحرق البدن، وتحرق المال، وتحرق كل خير، فإن الفتن شرها مستطير، ولا خير فيها إلا للمؤمن، إذا ثبت واعتصم، كما قال النبي ﷺ **«عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»**[1].

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وللثبات عند الفتن، والعصمة منها: وضع الشرع ضوابط لابد أن تراعى عند الفتن ليعصم المسلم بها نفسه، ومنها:

١ـ الرفق والتأني والحلم وعدم العجلة.

٢ـ عدم الحكم على الفتن إلا بعد التصور، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره.

٣ـ لزوم الإنصاف والعدل في الأمور كلها.

٤ـ الاعتصام بالكتاب والسنة والجماعة وعدم الفرقة.

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٩٩).

٥ـ وزن الأمور والرايات المرفوعة بميزان الشرع.

٦ـ ضبط القول والعمل.

٧ـ موالاة المؤمنين وخاصة العلماء.

٨ ـ التعوذ بالله منها.

٩ـ التقوى والتوكل.

١٠ـ الاستعانة بالصبر والصلاة.

١١ـ الاستغفار والتضرع واللجوء إلى الله.

* * *

بيوت
تتثبت من الأخبار والشائعات

هذه البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ لا تسير وراء الشائعات التي تهدم البيوت، وتفرق الزوجين، وتشرد الأولاد، وهذا مقصود الشيطان، لا سيما في الأمور التي تمس عفاف البيت، ولكن لابد من التثبت، والتبين، والتأكد بالأدلة والبراهين. والحجج أو الإقرار والرؤية والشهود وغير ذلك، فهذا أمر الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم حيث قال تبارك وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ الحجرات: ٦.

وقال تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ الحجرات: ١٢.

وقد بين لنا رسول الله ﷺ ذلك قولًا وفعلًا كما جاء ذلك في حادثة الإفك:

فعن عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِى غَزَاةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ سَهْمِى، فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِى هَوْدَجٍ وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ، وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِى أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِى، فَإِذَا عِقْدٌ لِى مِنْ جَزْعِ ظَفَارٍ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِى، فَحَبَسَنِى ابْتِغَاؤُهُ، فَأَقْبَلَ الَّذِينَ

يَرْحَلُونَ لِى، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِى فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِى الَّذِى كُنْتُ أَرْكَبُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّى فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ فَاحْتَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِى بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِى الَّذِى كُنْتُ بِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِى فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِى عَيْنَاىَ فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ المعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِى فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِى، وَكَانَ يَرَانِى قَبْلَ الْحِجَابِ فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ يَدَهَا فَرَكِبْتُهَا فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِى الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ فِى نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِى تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا المدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا، يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، وَيَرِيبُنِى فِى وَجَعِى أَنِّى لَا أَرَى مِنَ النَّبِيِّ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِى كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟» لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المنَاصِعِ مُتَبَرَّزُنَا، لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ فِى الْبَرِّيَّةِ أَوْ فِى التَّنَزُّهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِى رُهْمٍ نَمْشِى، فَعَثَرَتْ فِى مِرْطِهَا فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟ فَقَالَتْ: يَا هَنْتَاهْ أَلَمْ تَسْمَعِى مَا قَالُوا؟ فَأَخْبَرَتْنِى بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِى، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِى دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ فَسَلَّمَ فَقَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟» فَقُلْتُ ائْذَنْ لِى إِلَى أَبَوَيَّ. قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِى رَسُولُ الله

ﷺ فَأَتَيتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لأُمِّي: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَى نَفْسِكِ الشَّأْنَ، فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا. فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَلَا نَعْلَمُ وَاللهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ. فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: **«يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ؟»**. فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنِ الْعَجِينِ فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ. فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي»**. فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا وَاللهِ أَعْذِرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ. فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، وَاللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ. فَثَارَ الْحَيَّانِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَنَزَلَ فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ، وَبَكَيْتُ يَوْمِي لَا يَرْقَأُ لِي

دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ، قَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظُنَّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي،قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي إِذِ اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ فَجَلَسَ، وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ - قَالَتْ - فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ الله، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ فَاسْتَغْفِرِي الله وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ الله عَلَيْهِ**».

فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ الله ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً وَقُلْتُ لأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ الله ﷺ قَالَ وَالله مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله ﷺ. فَقُلْتُ لأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ الله ﷺ فِيمَا قَالَ. قَالَتْ: وَالله مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ الله ﷺ. قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ فَقُلْتُ إِنِّي وَالله لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ. وَالله يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَالله يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي وَالله مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي الله، وَلَكِنْ وَالله مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ الله ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي الله، فَوَالله مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا

أَنْ قَالَ لِي: «يَا عَائِشَةُ، احْمَدِي الله فَقَدْ بَرَّأَكِ الله». فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقُلْتُ: لَا وَالله، لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا الله، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الآيَاتِ، فَلَمَّا أَنْزَلَ الله هَذَا فِي بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ـ رضي الله عنه ـ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَالله لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى، وَالله إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ الله لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ. وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: «يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَالله مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا الله بِالْوَرَعِ(١).

❊ ❊ ❊

(١) روى البخاري في «صحيحه» (٢٦٦١).

بيوت
مهاجرة لله ورسوله ﷺ

إن البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ بيوت تهاجر إلى الله عز وجل لتتمكن من إقامة شرع الله وإقامة حدوده عز وجل، وهذا إذا لم تتمكن من ذلك على الأرض التي تقيم عليها، فهي تهاجر إلى أرض أخرى وأرض الله واسعة.

فأول بيت هاجر لله ورسوله ﷺ بيت أبي سلمة كما روت ذلك أم سلمة رضي الله عنها قالت: أي المسلمين خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ؟

وكذلك هذه البيوت هاجرة للمعاصي والذنوب والآثام والفواحش والمنكرات والمحرمات، لأنها تعلم أن الهجرة الحقيقية هي تلك الهجرة، كما قال ﷺ: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»**(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح»:

قيل خص المهاجر بالذكر تطييبًا لقلب من لم يهاجر من المسلمين لفوات ذلك بفتح مكة. فأعلمهم أن من هجر ما نهى الله عنه كان هو المهاجر الكامل، ويحتمل أن يكون ذلك تنبيهًا للمهاجرين أن لا يتكلوا على الهجرة فيقصروا في العمل. وهذا الحديث من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ.اهـ.

---

(١) رواه البخاري (١٠، ٦٤٨٤).

قال أبو الطيب آبادي رحمه الله في «عون المعبود شرح سنن أبي داود»:

قال العلقمي: والهجرة ضربان: ظاهرة وباطنة:

فالباطنة: ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان.

والظاهرة: الفرار بالدين من الفتن.

وكأن المهاجرين خوطبوا بذلك لئلا يتكلوا على مجرد التحول من دارهم حتى يمتثلوا أوامر الشرع ونواهيه، ويحتمل أن يكون ذلك قيل بعد انقطاع الهجرة لما فتحت مكة تطييبًا لقلوب من لم يدرك ذلك؛ لأن حقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهى الله عنه. انتهى.

فهي بيوت خالية من المنكرات والمعاصي قد هجر أصحابها ما نهى الله عنه في البيت، وخارج البيت.

وقد أفردت كتابًا مستقلًا في المنكرات والمعاصي التي تقع في بيوت كثير من المسلمين، مع ذكر بعض الكبائر، وذلك كله في جزء مستقل.

* * *

بيوت
قائمة على مكارم الأخلاق

أين بيوت المسلمين من أخلاق السلف الصالحين؟

أين بيوت المسلمين من الأخلاق الإسلامية الكريمة؟

أين هي من سنة رسول الله ﷺ؟

أين هي من أخلاق القرآن الكريم وآدابه والعمل بما فيه، وتفهمه وتعلمه وتعليمه؟

أين هم من أخلاق السلف الصالحين، الرعيل الأول، خير القرون، مَن حفظ الله بهم القرآن والسنة، مَن بذلوا النفس والمال والولد لله ولرسوله ﷺ، مَن جاهدوا خير جهاد وأكمله وأتمه، وهاجروا لله ورسوله ﷺ بنفوسهم وأبدانهم، وهجروا المعاصي والذنوب في السر والعلن.

أين هذه البيوت من أخلاق السلف الصالحين من الإخلاص والصدق، والخشية والخوف والمراقبة لله عز وجل، والزهد في الدنيا، والفقه في الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الجهاد في سبيل الله، والصبر، والبر والإحسان، والأدب والآداب، وحفظ الوقت، والتوسط والاعتدال.

فلقد ضرب السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم النموذج الأمثل والمثل الأعلى في التخلق بهذه الأخلاق، والتأدب بهذه الآداب، اقتداء منهم برسولهم ﷺ، وترجمة عملية لقرآن ربهم تبارك وتعالى، فلقد رباهم الرسول ﷺ على هذه الأخلاق والآداب فكانوا خير جيل، وأفضل قرن، وكان حقيقًا بهم أن يصحبوا رسول الله ﷺ.

إن الأخلاق الحميدة الفاضلة أصل أصيل في شخصية الفرد المسلم وعلامة أكيدة وأصيلة على البيوت المسلمة التي يحبها الله ورسوله فالإسلام عبادات وأخلاق ومعاملات، فلابد للبيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ أن تقوم على الأخلاق فيما بين أفرادها داخل البيت من الإخلاص والوفاء والصدق والبر والإحسان والعطف والرحمة والتقدير والاحترام، وأيضًا خارج البيت مع الآخرين، فإن البيوت القائمة على مثل هذه الأخلاق جديرة بحب الله ورسوله وجديرة بأن تدخلها الملائكة وتذهب منها الشياطين، وتسودها المودة وينبعث منها الضياء والهداية والإيمان.

ومن هذه الأخلاق التي تقوم عليها البيوت المسلمة:

الإحسان، وحسن الخلق

والإحسان صفة يحبها الله عز وجل ويحب أهلها، فقد قال: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ البقرة: ١٩٥، فالبيوت التي تتصف بهذه الصفة يحسنون أعمالهم، وينفقون من أموالهم، ويكظمون غيظهم، لجديرة بحب الله ورسوله ﷺ.

فهي بيوت يعرف أفرادها إحسان الأعمال والأقوال والإحسان في العبادات، والإحسان في المعاملات والأقوال والأخلاق، خاصة الوالدين، والإخوة والأخوات، فتكون هذه البيوت شامة مضيئة وسط المجتمع المسلم.

والإحسان في الأخلاق مما يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ:

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو - رضى الله عنهما - قَالَ: لَمْ يَكُنِ النَّبِىُّ ﷺ فَاحِشًا

وَلا مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقًا»(١).

ورواه البخاري مرة أخرى بلفظ: «إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا»(٢).

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ – قَالَ: أَحْسِبُهُ فَطِيمٌ – وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟» نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا(٣).

وعن أَنَس قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ: وَالله لا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ الله ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ». قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ الله(٤).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا»(٥).

ومن علامات حسن الخلق: بسط الوجه، وبذل الندى، وكف الأذى واحتمال المؤن.

فهذه البيوت القائمة على حسن الخلق تنال محبة الله ورسوله، وأفرادها أقرب الناس مجلسًا من النبي ﷺ يوم القيامة.

***

(١) رواه البخاري (٣٥٥٩) ومسلم (٢٣٢١).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٠٢٩).

(٣) رواه البخاري (٦٢٠٣) ومسلم (١٦٩٢).

(٤) رواه مسلم (٢٣١٠).

(٥) وروى الترمذي (٢٠١٨) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

العدل

من البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ تلك البيوت القائمة على العدل بين أفرادها، والعدل بين خلق الله تعالى، وأولى العدل هو ما كان بين الأولاد حتى تسود المودة والرحمة، ولا تدخل العداوة والبغضاء والحقد والكره بين الأولاد، فلقد حث الشرع على ذلك، وكذلك العدل بين الزوجات كما سيأتي.

فقد جاء في السنة الأمر بالعدل بين الأولاد في الهبة أو العطية.

و«الأولاد»: يشمل الذكور والإناث، والمراد بالعطية التبرع المحض، وليس النفقة، أما النفقة فيعطى كل إنسان ما يحتاج إليه قليلًا كان أو كثيرًا، فإذا قدر أن أحدهم يطلب العلم، ويحتاج إلى كتب، والآخر ليس كذلك، فأعطى الأول ما يحتاج إليه من الكتب فلا بأس، وكذلك لو كان أحدهم يحتاج إلى ثياب، والآخر لا يحتاج، فيعطي من يحتاج إلى الثياب، وكذلك لو مرض فاحتاج إلى دراهم وإلى علاج، فأعطاه فلا بأس، وكذلك لو بلغ أحدهم سن الزواج فزوجه فإنه يزوجه ولا بأس، المهم ما كان لدفع الحاجة فالتسوية فيه أن يعطي كل إنسان ما يحتاجه، أما إذا كان تبرعًا محضًا، فلابد من التعديل بينهم.

واختلف العلماء: هل التعديل أن يعطي الذكر والأنثى سواء، فإذا أعطى الذكر مائة أعطى الأنثى مائه، أم أن التعديل أن يعطيهم كما أعطاهم الله عز وجل في الميراث يعني للذكر مثل حظ الأنثيين، فإذا أعطى الذكر مائة أعطى الأنثى خمسين، وهذا القول هو الراجح؛ لأنه لا قسمة أعدل من قسمة الله عز وجل، فإذا أعطى كل واحد ما يحتاجه، ثم تبرع تبرعًا محضًا فنقول: إذا أعطيت الأنثى درهمًا، فأعط الذكر درهمين هذا هو التعديل، فإن فعل ـ يعني فضل بعض الأولاد على بعض ـ فإنه يجب عليه أن يرد ما فضله به، فإذا أعطى

أحدهم مائة، ولم يعط الآخرين، وجب عليه أن يرد المائة «أي يستردها» أو يعطي الآخرين مثلما أعطى الأول، أو يستحلهم بشرط أن يحللوه عن رضا وقناعة، لا عن حياء وخجل.

فصار طريق العدل فيمن فضل بعض أولاده على بعض له طرق ثلاثة:

فالعدل له طرق ثلاثة:

الأول: أن يَرد ما فضله به.

الثاني: أن يعطي الآخرين مثله. ﴿**لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ**﴾ [النساء:١١].

الثالث: أن يستحلهم بشرط أن يحللوه عن قناعة ورضا لا عن خجل وحياء.

والعدل خلق وصفة يحبها الله ورسوله ﷺ، فإذا قامت البيوت على العدل والقسط كانت من البيوت التي يحبها الله تعالى كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ**﴾ المائدة: ٤٢، فالمقسطون هم العادلون، وأما القاسطون فهم الظالمون الكافرون، كما قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا**﴾ الجن: ١٥.

والعدل: هو المساواة بين المتفقين والتفريق بين المختلفين، وقيل: هو إعطاء كل ذي حق حقه، وأما التسوية المطلقة فليست هي العدل الذي أمر الله به، فقد جعل الله عز وجل للذكر مثل حظ الأنثيين.

والعدل مما يحبه الله والعادل ممن يحبهم الله بل ويظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله قال ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» وذكر منهم: «**إمام عادل**»[(١)].

فهي بيوت تعدل بين الأولاد، وبين الزوجات، وبين الناس جميعًا.

---

(١) رواه البخاري (٦٨٠٦).

* عن النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ - رضى الله عنهما - قال: أَعْطَانِى أَبِى عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ الله ﷺ. فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: إِنِّى أَعْطَيْتُ ابْنِى مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِى أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «**أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟**». قَالَ: لا. قَالَ: «**فَاتَّقُوا الله، وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلادِكُمْ**» قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ[1].

* ورواه مسلم[2] عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِى بِبَعْضِ مَالِهِ فَقَالَتْ أُمِّى عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ الله ﷺ، فَانْطَلَقَ أَبِى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيُشْهِدَهُ عَلَى صَدَقَتِى، فقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟**» قَالَ: لا. قَالَ: «**اتَّقُوا الله وَاعْدِلُوا فِى أَوْلادِكُمْ**» فَرَجَعَ أَبِى فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ.

* ورواه البخاري[3] مرة أخرى عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: انْطَلَقَ بِى أَبِى يَحْمِلُنِى إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله اشْهَدْ أَنِّى قَدْ نَحَلْتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِى. فَقَالَ: «**أَكُلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ النُّعْمَانَ؟**» قَالَ: لا قَالَ: «**فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِى**» ثُمَّ قَالَ: «**أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِى الْبِرِّ سَوَاءً؟**» قَالَ: بَلَى. قَالَ: «**فَلا إِذًا**».

* وفي رواية عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت ابني هذا غلامًا كان لي، فقال رسول الله ﷺ: «**أكل ولدك نحلته مثل هذا؟**» فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «**فأرجعه**».

* وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: «**أفعلت هذا بولدك كلهم؟**» قال: لا،

(١) رواه البخاري (٢٥٨٧).
(٢) «صحيح مسلم» (١٦٢٢).
(٣) «صحيح البخاري» (٤٢٧٢).

قال: «**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**» فرجع أبي، فرد تلك الصدقة.

* وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: «**يا بشير ألك ولد سوى هذا؟**» قال: نعم، قال: «**أكلهم وهبت له مثل هذا؟**» قال: لا، قال: «**فلا تشهدني إذًا، فإني لا أشهد على جور**».

* وفي رواية: «**لا تشهدني على جور**».

* وفي رواية: «**أشهد على هذا غيري**» ثم قال: «**أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء؟**» قال: نعم، قال: «**فلا إذًا**» متفق عليه.

وقد توسع الشيخ العثيمين رحمه الله في هذا الموضع من «شرح رياض الصالحين» فقال رحمه الله:

حديث النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري رضي الله عنه: أن أباه أعطاه «نِحلة»، غلامًا، وفي رواية: حائطًا، أي بستان، ولعله أعطاه البستان والغلام من أجل أن يعمل في البستان، فقالت أمه عمرة بنت رواحة رضي الله عنها - وهي فقيهة -: لا أرضى أن تعطي ابني هذا دون إخوانه حتى تُشهد النبي ﷺ فذهب إلى النبي يشهده على ذلك، فقال النبي له: «**ألك بنون؟!**» قال: نعم، قال: «**أعطيتهم مثل ما أعطيت النعمان؟**» قال: لا، قال: «**رد**» - يعني رد ما أعطيت - ثم قال: «**أشهد على هذا غيري**»، وهذا تبرؤ منه، وليس إباحة له على أن يشهد على ذلك، بل هو تبرؤ منه، ولهذا قال: «**أشهد على هذا غيري، فإني لا أشهد على جور**» ثم قال: «**أتريد أن يكونوا إليك في البر سواء؟**» قال: نعم يا رسول الله، قال: «**فلا إذًا**» إذًا يجب أن تسوي بينهم ؛ لأنك إذا فضلت أحدهم على الآخر صار في نفس المفضل عليه شيء. وصار لا يبر والده، ثم قال: «اتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم»، فأمر عليه الصلاة والسلام أن نعدل بين الأولاد في العطية، لا تقل هذا شيء زهيد، ولا يساوي شيئًا، بل أعطهم كما أعطيت

الأول، حتى كان بعض السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ إذا قبَّل أحد الأولاد، قبَّل الثاني، من شدة العدل بينهم، وكذلك أيضًا في النظر إليهم، لا تنظر إلى هذا نظرة غضب، وإلى هذا نظرة رضا؛ إلا أن يفعل أحدهم ما تكره.

وهنا مسألة وهي أن بعض الناس يزوج أولاده الكبار، وله أولاد صغار، فيوصي لهم بعد موته بمقدار المهر، وهذا حرام ولا يحل؛ لأن هؤلاء إنما أعطيتهم لحاجتهم، وهي حاجة لا يماثلهم إخوانهم الصغار فيها، فلا يحل لك أن توصي لهم بشيء، ومن أوصى فالوصية باطلة يجب أن ترد.

كذلك أيضًا بعض الناس يكون ولده مشتغلًا معه في تجارته، أو في فلاحته، فيوصي له بشيء، وهذا أيضًا لا يجوز؛ لأن الولد إن كان قد تبرع بعمله مع أبيه، فهذا بر، وثوابه في الآخرة أعظم من ثوابه في الدنيا، وإن كان لا يريد ذلك، يريد أن يشتغل لأبيه بأجرة، فليفرض أبوه له أجرة، كما يعطي الأجنبي، أو يقول: لك سهم من الربح، وأما أن يخصه من بين أولاده بشيء في الدنيا أو يوصي له، فلا يجوز ذلك.

وإن أعطى أحدَهم لكونه طالب علم يحفظ القرآن، فإن قال للآخرين: من طلب منكم العلم أعطيته مثل أخيه، أو من يحفظ القرآن أعطيته مثل أخيه، فطلب بعضهم وترك بعض، فهؤلاء هم الذين تركوا الأمر بأنفسهم، فلا حق لهم، وأما إذا كان خص هذا دون أن يفتح الباب لإخوانه، فلا يجوز.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المائدة: ٨.

فهذه البيوت تطبق العدل ولو كان على نفسها، تطبق العدل وإن ظلمت، فلا يحملها ظلم الآخرين على أن تظلم.

والبيت القائم على العدل بيت قريب من ربه تعالى، بيت محبب إليه تعالى، ومتبع لرسول الله ﷺ، فرسول الله ﷺ أعظم من قام لله بالعدل، وحقق العدل في الأرض.

ومن العدل المأمور به العدل بين النساء:

فقد قال تعالى: ﴿**وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ النساء: ١٢٩.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله(١):

أي لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه، فإنه وإن وقع القسم الصوري ليلة وليلة؛ فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع، كما قاله ابن عباس، وعبيدة السلماني، ومجاهد، والحسن البصري، والضحاك بن مزاحم.

وعن ابن أبي مليكة قال: نزلت هذه الآية ﴿**وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ**﴾ في عائشة يعني أن النبي ﷺ كان يحبها أكثر من غيرها.

قال ابن كثير رحمه الله(٢):

كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث حماد ابن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: «**اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**» يعني القلب. هذا لفظ أبي داود وهذا إسناد صحيح، لكن قال الترمذي: رواه حماد بن زيد وغير واحد عن أيوب عن أبي

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٧٤٧).
(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٧٤٧).

قلابة مرسلًا قال: وهذا أصح.

***

الكرم والجود والإيثار

لابد أن تقوم البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ على الكرم والجود والإيثار، لأن الكرم والجود صفة من صفات الكريم الجواد سبحانه وتعالى، والإيثار صفة عباد الله الصالحين:

قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ الإنسان: ٨.

وهذه سيرة رسول الله ﷺ كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام[(١)].

والكرم والجود صفة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فقد قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ هود: ٦٩، وقال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ الذاريات: ٢٦.

وقال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر: ٩.

وروواه البخاري[(٢)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلا الماءُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ يَضُمُّ، أَوْ يُضِيفُ هَذَا؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الانْصَارِ: أَنَا. فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِى

---

(١) «صحيح البخاري» (١٩٠٢).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٧٩٨).

ضَيفَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ، غَدَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «ضَحِكَ الله اللَّيْلَةَ - أَوْ عَجِبَ - مِنْ فَعَالِكُمَا» فَأَنْزَلَ الله ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾ الحشر: ٩.

* * *

المحبة وحسن التصرف

هذه البيوت المسلمة التي يحبها الله ورسوله ﷺ بيوت راعيها ومسئولها الأول الزوج، وينبغي عليه أن يكون لديه حسن تصرف عند المشكلات، وعند الاختلاف، غير متهور ولا ظالم ولا مستهتر، ولكنه قائم بحق الرعاية، وهذا ما ضرب لنا فيه خير المثل رسول الله ﷺ.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ فاستأذنت عليه وهو مضجع معي في مرطي، فأذن لها، فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، وأنا ساكنة، قالت: فقال لها رسول الله ﷺ: «**أي بنية ألست تحبين ما أحب؟**» فقالت: بلى، قال: «**فأحبي هذه**» قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهن بالذي قالت، وبالذي قال لها رسول الله ﷺ، فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء،

فارجعي إلى رسول الله ﷺ، فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة، فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبدًا.

قالت عائشة: فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالًا لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى، ما عدا صورة من حدة كانت فيها، تُسرع منها الفيئة، قالت: فاستأذنت على رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ مع عائشة في مرطها على الحالة التي دخلت فاطمة عليها، وهو بها، فأذن لها رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت: ثم وقعت بي، فاستطالت عليَّ، وأنا أراقب رسول الله ﷺ، وأراقب طرفه هل يأذن فيها؟ قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفتُ أن رسول الله ﷺ لا يكره أن انتصر. قالت: فلما وقعتُ بها لم أنشبها حتى أنحيت عليها قالت: فقال رسول الله ﷺ: «إنها ابنة أبي بكر».

ورواه مسلم في «صحيحه» [1] عن عَائِشَةَ قَالَتْ: أَلا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّى وَعَنْ رَسُولِ الله ﷺ. قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: قَالَتْ: لما كَانَتْ لَيْلَتِيَ الَّتِى كَانَ النَّبِىُّ ﷺ فِيهَا عِنْدِى انْقَلَبَ، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إلا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ الْبَابَ، فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِى فِى رَأْسِى، وَاخْتَمَرْتُ، وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِى، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ، فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ

---

(١) (١٠٣/ ٩٧٤).

فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ، فَدَخَلْتُ، فَلَيْسَ إِلا أَنِ اضْطَجَعْتُ، فَدَخَلَ فَقَالَ: «مَا لَكِ يَا عَائِشُ حَشْيَا رَابِيَةً» قَالَتْ: قُلْتُ: لا شَيْءَ. قَالَ: «لَتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ». قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ: «فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي». قُلْتُ: نَعَمْ. فَلَهَدَنِي فِي صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعَتْنِي ثُمَّ قَالَ: «أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ الله عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ». قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ الله نَعَمْ. قَالَ: «فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ، فَنَادَانِي فَأَخْفَاهُ مِنْكِ، فَأَجَبْتُهُ فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ، وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ، فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «قُولِي السَّلامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ الله الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ الله بِكُمْ لَلاحِقُونَ».

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فِلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: «غارت أمكم» ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك ﷺ المكسورة في بيت التي كسرت[١].

***

(١) رواه البخاري (٥٢٢٥).

الحلم والأناة و الرفق والعفو

الحلم والأناة صفتان أقرهما الإسلام، وحث عليهما، وهما صفتان يحبهما الله ورسوله ﷺ، فإذا قامت البيوت المسلمة على هاتين الصفتين كانت من البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ.

والحلم والأناة صفتان مطلوبتان في المعاملات، وفي الدعوة إلى الله عز وجل، ومطلوبتان أيضًا في البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ، ومطلوبتان بين الزوجين، وبين الأب وأبنائه، وبين الأم وأبنائها، فلذلك حث عليهما النبي ﷺ، ومدح من كانتا فيه، وبيّن أن الله يحبهما:

قال رسول الله ﷺ: «**إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله»[٢].

فهذا يدل على أنه ﷺ أحلم الناس.

والحلم: هو صحة العقل وجودة النظر للعواقب وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل.

والأناة: هي التؤدة والتأني والتثبت وترك العجلة والنظر في المصالح.

قال ﷺ: «**التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة**»[٣].

وقال ﷺ: «**التأني من الله، والعجلة من الشيطان**»[٤].

---

(١) خرجه مسلم (١٨).
(٢) خرجه مسلم (٢٣٢٨).
(٣) «صحيح سنن أبي داود» (٤٨١٠).
(٤) «صحيح الجامع» (٣٠١١).

وقال ﷺ: «**السمت الحسن، والتؤدة، والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة**»(١).

فالبيوت التي تقوم على الرفق بيوت زانها الله بكل خير، بيوت تنزل عليها الرحمة والمودة بين أفرادها، فأفرادها يرفق بعضهم ببعض: الزوج بزوجته، والزوجة بزوجها، والوالدان بأولادهما، والأولاد بوالديهم، فإن الرفق صفة يحبها الله تعالى، وكذلك اللين والأناة والعفو.

والعفو صفة جليلة عظيمة تكون سببًا لمحبة الله عز وجل لمن يتصف بها، فلقد قال ﷺ: «**إن الله عفو يحب العفو**»(٢).

فالبيوت المسلمة إذا اتصفت بهذه الصفة بين أهلها بأن يعفو الوالد عن ولده، ويعفو الزوج عن زوجته، وبينهم وبين الجيران والأقارب والناس جميعًا فحق لهذه البيوت أن تنال حب الله تعالى لها وحب رسوله ﷺ.

ولقد حث القرآن الكريم على صفة العفو فقال تعالى: ﴿**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ**﴾ الشورى: ٤٠، وقال: ﴿**وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ التغابن: ١٤.

قال تعالى: ﴿**وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ آل عمران: ١٣٤.

وقال تعالى: ﴿**خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ**﴾ الأعراف: ١٩٩.

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ**

(١) «صحيح سنن الترمذي» (٢٠١٠).
(٢) «صحيح الجامع» (١٧٧٩).

صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فصلت: ٣٤-٣٥.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ الشورى:٤٣.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: للأشج أشج عبد القيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة**»(١).

قال المناوي في «فيض القدير»(٢):

(**إن فيك**) يا أشج، واسمه المنذر بن عائذ (**لخصلتين**) تثنية خصلة (**يحبها الله تعالى**) ورسوله ﷺ قال: وما هما يا رسول الله؟ قال: (**الحلم**) أي العقل وتأخير مكافأة الظالم أو العفو عنه أو غير ذلك (**والأناة**) التثبت وعدم العجلة، وسببه: أنه قدم عليه في وفد عبد القيس، فابتدر رسول الله ﷺ القوم بثياب سفرهم، وتخلف الأشج وهو أصغرهم حتى أناخ وجمع متاعه ولبس ثوبين أبيضين ومشى، فقبل يده، فذكره، فقال: يا رسول الله، أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: «**بل الله جبلك**» فحمد الله، وهذا لا يناقضه النهي عن مدح المرء في وجهه؛ لأن ما كان من النبوة فهووحي والوحي لا يجوز كتمه، أو أن المصطفى ﷺ علم من حال الأشج أن المدح لا يلحقه منه إعجاب فأخبره بأن ذلك مما يحبه الله ليزداد لزومًا ويشكر الله على ما منحه.

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**إن الله يحب الرفق في الأمر كله**»(٣).

* وعنها رضي الله عنها قالت: قال ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا**

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (١٧/ ٢٥).

(٢) (٢/ ٤٧٣).

(٣) رواه البخاري (٦٥٢٨) ومسلم(٢١٦٥).

زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»(١).

* وفي رواية عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**».

قال النووي رحمه الله:

وفي هذه الأحاديث فضل الرفق، والحث على التخلق به، وذم العنف، فالرفق سبب كل خير.

ومعنى «يعطي على الرفق» أي يثيب عليه مالا يثيب على غيره، وقال القاضي: معناه يتأتى به من الأغراض ويسهل من المطالب مالا يتأتى بغيره.

وأما قوله ﷺ: «**إن الله رفيق**» ففيه تصريح بتسميته سبحانه وتعالى ووصفه برفيق قال المازري: لا يوصف الله سبحانه وتعالى إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسول الله ﷺ أو أجمعت الأمة عليه.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس فقال لهم النبي ﷺ: «**دعوه وهريقوا على بوله سَجلًا من ماء أو ذنوبًا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**»(٢).

والسَّجْل: بفتح السين المهملة وإسكان الجيم، وهي الدلو الممتلئة ماء، وكذلك الذنوب.

قال البدر العيني في «عمدة القاري»(٣) في ذكر فوائد هذا الحديث:

الثامن: فيه المبادرة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

التاسع: فيه مبادرة الصحابة إلى الإنكار بحضرة النبي من غير مراجعة له،

---

(١) رواه مسلم (٢٥٩٤).

(٢) رواه البخاري (٢١٧).

(٣) (٣/ ١٢٧).

فإن قلت: أليس هذا من باب التقدم بين يدي الله تعالى ورسوله؟ قلت: لا؛ لأن ذلك مقرر عندهم في الشرع من مقتضى الإنكار فأمر الشارع متقدم على ما وقع منهم في ذلك وإن لم يكن في هذه الواقعة الخاصة إذن فدل على أنه لا يشترط الإذن الخاص ويكتفي بالإذن العام.

العاشر: فيه دفع أعظم المفسدتين باحتمال أيسرهما وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما، فإن البول فيه مفسدة، وقطعه على البائل مفسدة أعظم منها، فدفع أعظمها بأيسر المفسدتين، وتنزيه المسجد عنه مصلحة، وترك البائل إلى الفراغ مصلحة أعظم منها، فحصل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما.

الحادي عشر: فيه مراعاة التيسير على الجاهل والتألف للقلوب.

* وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا**»(١).

* وعن جرير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من يحرم الرفق يحرم الخير**»(٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: «**لا تغضب**» فردد مرارًا قال: «**لا تغضب**»(٣).

* وعن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٦٩) ومسلم (١٧٣٤).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٢).

(٣) رواه البخاري (١٠/ ٤٣١).

(٤) رواه مسلم (١٩٥٥).

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل**»[(١)].

*وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحُد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيته منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي وإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين**» فقال النبي ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**»[(٢)].

الأخشبان: الجبلان المحيطان بمكة، والأخشب هو: الجبل الغليظ.

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها[(٣)].

* وعنها رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٩٠) وقال: حديث حسن.

(٢) رواه البخاري (٣٢٣١) ومسلم (١١١/ ١٧٩٥).

(٣) رواه البخاري (٣٣٦٧).

امرأة ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى (١).

قال النووي رحمه الله:

* قولها: «**ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه**»: فيه استحباب الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حرامًا أو مكروهًا، قال القاضي: ويحتمل أن يكون تخييره ﷺ هنا من الله تعالى فيخيره فيما فيه عقوبتان أو فيما بينه وبين الكفار من القتال وأخذ الجزية أو في حق أمته في المجاهدة في العبادة أو الاقتصار، وكان يختار الأيسر في كل هذا، قال: وأما قولها «**ما لم يكن إثمًا**» فيتصور إذا خيره الكفار والمنافقون فأما إن كان التخيير من الله تعالى أو من المسلمين فيكون الاستثناء منقطعًا.

* وقولها: «**وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله**» وفي رواية: «**ما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى**» فمعنى «**نيل منه**»: أصيب بأذى من قول أو فعل، وانتهاك حرمة الله تعالى هو ارتكاب ما حرمه.

* وقولها: «**إلا أن تنتهك حرمة الله**» استثناء منقطع معناه: لكن إذا انتهكت حرمة الله انتصر لله تعالى، وانتقم ممن ارتكب ذلك.

قال رحمه الله: وفي هذا الحديث الحث على العفو والحلم واحتمال الأذى والانتصار لدين الله تعالى ممن فعل محرمًا أو نحوه.

وفيه أنه يستحب للأئمة والقضاة وسائر ولاة الأمور التخلق بهذا الخلق الكريم، فلا ينتقم لنفسه، ولا يهمل حق الله تعالى، قال القاضي عياض: وقد أجمع العلماء على أن القاضي لا يقضي لنفسه ولا لمن لا يجوز شهادته له.

---

(١) رواه مسلم (٧٩/ ٢٣٢٨).

* وقولها: «**ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله**»: فيه أن ضرب الزوجة والخادم والدابة وإن كان مباحًا للأدب، فتركه أفضل.

* وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء(١).

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه، فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»(٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»(٣).

فهذه البيوت بيوت يحبها الله ورسوله ﷺ لأنها قائمة على الرفق والرحمة والإحسان والعطف وخفض الجناح ولين الجانب بين أفرادها ومع الآخرين.

فالبيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ:

بيوت تعرف الرفق بالأولاد، فيقبلونهم ويلاعبونهم ويداعبونهم، وينزلون إلى درجتهم مع التوجيه والإرشاد:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه(٤) قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي

---

(١) رواه البخاري (٥٨٠٩) ومسلم (١٢٨/ ١٠٥٧).

(٢) رواه البخاري (٣٤٧٧) ومسلم (١٠٥/ ١٧٩٢).

(٣) رواه البخاري (٦١١٤) ومسلم (١٠٧/ ٢٦٠٩).

(٤) رواه البخاري (٥٩٩٧) ومسلم (٦٥/ ٢٣١٨).

وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «**من لا يرحم لا يرحم**».

* وروى البخاري [١] عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لا يَرحم لا يُرحم**».

ورواه مسلم [٢] عن جرير كذلك بلفظ: «**من لايرحم الناس لا يرحمه الله**».

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» [٣]:

وهو عند الطبراني بلفظ: «**من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء**».

وله من حديث ابن مسعود رفعه: «**ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء**» ورواته ثقات.

وهو في حديث عبد الله بن عمرو عند أبي داود والترمذي والحاكم بلفظ: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**».

وفي حديث الأشعث بن قيس عند الطبراني في «الأوسط»: «**من لم يرحم المسلمين لم يرحمه الله**».

قال ابن بطال: فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل المؤمن والكافر، والبهائم المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب.

وقال ابن أبي جمرة: يحتمل أن يكون المعنى من لا يرحم غيره بأي نوع من الإحسان لا يحصل له الثواب كما قال تعالى: ﴿**هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا**

---

(١) «صحيح البخاري»(٦٠١٣).

(٢) «صحيح مسلم» (٦٦/ ٢٣١٩)

(٣) (١٠/ ٤٤٠).

﴿ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾.

ويحتمل أن يكون المراد من لا يكون فيه رحمة الإيمان في الدنيا لا يرحم في الآخرة، أو من لا يرحم نفسه بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه لا يرحمه الله لأنه ليس له عنده عهد، فتكون الرحمة الأولى بمعنى الأعمال والثانية بمعنى الجزاء، أي لا يثاب إلا من عمل صالحًا.

ويحتمل أن تكون الأولى الصدقة والثانية البلاء، أي لا يسلم من البلاء إلا من تصدق.

أو من لا يرحم الرحمة التي ليس فيها شائبة أذى لا يرحم مطلقًا.

أو لا ينظر الله بعين الرحمة إلا لمن جعل في قلبه الرحمة ولو كان عمله صالحًا.

قال: وينبغي للمرء أن يتفقد نفسه في هذه الأوجه كلها، فما قصر فيه لجأ إلى الله تعالى في الإعانة عليه.اهـ.

فالبيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ:

بيوت يسودها الرفق واللين مع الزوجة، فالزوج يكون في مهنة أهله يساعدهم ويعينهم، وإن أمرهم لا يشق عليهم، حتى إذا حضرت الصلاة ذهب إلى أدائها في جماعة:

روى البخاري [(١)] عن الأسود بن يزيد بن قيس ـ وهو من كبار التابعين ـ قال: سألت عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله ـ تعني خدمة أهله ـ فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة.

قال الحافظ في «الفتح» [(٢)]:

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٧٦).

(٢) «فتح الباري» (٢/ ١٦٣).

وقد وقع مفسرًا في «الشمائل» للترمذي من طريق عمرة عن عائشة بلفظ: ما كان إلا بشرًا من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه.

ولأحمد وابن حبان من رواية عروة عنها: يخيط ثوبه ويخصف نعله.

وزاد ابن حبان: ويرقع دلوه.

زاد الحاكم فى «الإكليل»: ولا رأيته ضرب بيده امرأة ولا خادمًا.

واستدل بحديث الباب على أنه لا يكره التشمير فى الصلاة وأن النهي عن كف الشعر والثياب للتنزيه لكونها لم تذكر أنه أزاح عن نفسه هيئة المهنة كذا ذكره ابن بطال ومن تبعه وفيه نظر لأنه يحتاج إلى ثبوت أنه كان له هيئتان ثم لا يلزم من ترك ذكر التهيئة للصلاة عدم وقوعه وفيه الترغيب في التواضع وترك التكبر وخدمة الرجل أهله وترجم عليه المؤلف في الأدب كيف يكون الرجل في أهله.

كما كان ﷺ أرحم الناس وأرفق الناس بالأمة:

كما قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران: ١٥٩:

قال ابن كثير رحمه الله (١):

يقول تعالى مخاطبًا رسوله ممتنًا عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته المتبعين لأمره التاركين لزجره وأطاب لهم لفظه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ أي: أي شيء جعلك لهم لينًا لولا رحمة الله بك وبهم، وقال قتادة: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ يقول: فبرحمة من الله لنت لهم و«ما» صلة، والعرب تصلها بالمعرفة كقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ وبالنكرة كقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ وهكذا ههنا قال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ أي برحمة

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٥٦).

من الله، وقال الحسن البصري: هذا خلق محمد ﷺ بعثه الله به، وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ والفظ الغليظ المراد به ههنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك: ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ أي لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم؛ تأليفًا لقلوبهم كما قال عبد الله بن عمرو: «إني أرى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة: إنه ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح» انتهى كلامه.

وهذا كله من كمال أخلاق رسول الله ﷺ.

وحقيقة حسن الخلق قوى نفسانية تسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الحميدة، والآداب المرضية، فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه، ويدخل في حسن الخلق التحرز عن الشح، والبخل، والكذب، وغير ذلك من الأخلاق المذمومة، ويستعمل في حسن الخلق التحبب إلى الناس بالقول والفعل، والبذل، وطلاقة الوجه، مع الأقارب، والأجانب، والتساهل في جميع الأمور، والتسامح فيما يلزم من الحقوق، وترك التقاطع، والتهاجر، واحتمال الأذى من الأعلى والأدنى، مع طلاقة الوجه، وإدامة البشر - في هذه الخصال تجمع محاسن الأخلاق، ومكارم الأفعال، ولقد كان جميع ذلك في رسول الله ﷺ فلهذا وصفه الله تعالى بقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقوله: ﴿عَلَىٰ﴾ في هذه الآية للاستعلاء، فدل اللفظ على أنه كان مستعليًا على هذه الأخلاق، ومستوليًا عليها، قال الإمام الجنيد رحمه الله تعالى: وإنما

كان خلقه عظيمًا لأنه لم يكن له همة سوى الله تعالى.

قال الإمام الحليمي رحمه الله:

وإنما وصف خلقه بالعظم مع أن الغالب وصف الخلق بالكرم لأن كرم الخلق يراد به السماحة والدماثة، ولم يكن ﷺ مقصورًا على ذلك، بل كان رحيمًا بالمؤمنين، رفيقًا بهم، شديدًا على الكفار، غليظًا عليهم، مهيبًا في صدورهم، منصورًا عليهم بالرعب من مسيرة شهر، وكان وصف خلقه بالعظم ليشمل الإنعام والانتقام، وقيل: إنما وصف بالعظم لاجتماع مكارم الأخلاق فيه، فإنه ﷺ أدب بالقرآن، كما قالت عائشة رضي الله عنها.

وقد وصف الله تعالى نبيه ﷺ بما يرجع إلى قوته العلمية أنه عظيم، فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] ووصفه بما يرجع إلي قوته العلمية بأنه عظيم: فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فدل مجموع هاتين الآيتين على أن روحه فيما بين الأرواح البشرية عظيمة الدرجة عالية.

وكان النبي ﷺ من أرفق الناس وألينهم وأرحمهم بأهله أجمعين: أولاده وذريته وزوجاته:

فروى البخاري (١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين وكان ظئرًا لإبراهيم عليه السلام فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «**يا ابن عوف، إنها رحمة**» ثم أتبعها بأخرى فقال ﷺ: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا،**

---

(١) «صحيح البخاري» (١٣٠٣).

وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون».

قال الحافظ في «الفتح»:

❊ قوله «**تذرفان**» بذال معجمة وفاء، أي يجري دمعهما.

❊ قوله «**وأنت يا رسول الله؟**» قال الطيبي: فيه معنى التعجب والواو تستدعي معطوفًا عليه أي الناس لا يصبرون على المصيبة وأنت تفعل كفعلهم، كأنه تعجب لذلك منه مع عهده منه أنه يحث على الصبر وينهى عن الجزع، فأجابه بقوله: «**إنها رحمة**» أي الحالة التي شاهدتها مني هي رقة القلب على الولد لا ما توهمت من الجزع. انتهى.

ووقع في حديث عبد الرحمن بن عوف نفسه: فقلت: يا رسول الله، تبكي أو لم تنه عن البكاء؟ وزاد فيه: «**إنما نُهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير الشيطان وصوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان**».

قال: «**إنما هذا رحمة ومن لا يرحم لا يرحم**».

وفي رواية محمود بن لبيد فقال: «**إنما أنا بشر**» وعند عبد الرزاق من مرسل مكحول: «**إنما أنهى الناس عن النياحة أن يندب الرجل بما ليس فيه**».

والحديث رواه مسلم في «صحيحه»[1] عن أنس بن مالك بلفظ: قال: قال رسول الله ﷺ: «**وُلد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم**» ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين يقال له أبو سيف، فانطلق يأتيه، واتبعته، فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره قد امتلأ البيت دخانًا، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ فقلت: يا أبا سيف، أمسكْ، جاء رسول الله ﷺ، فأمسك، فدعا النبي ﷺ بالصبي فضمّه إليه، وقال ما شاء الله أن يقول، فقال أنس: لقد رأيته وهو يجود

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٣١٥).

بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ، فدمعتْ عينا رسول الله ﷺ فقال: «**تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون**».

ولمسلم أيضًا من طريق عمرو بن سعيد عن أنس: **ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ كان إبراهيم مسترضعًا في عوالي المدينة وكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وإنه ليدخن وكان ظئره قينًا** قوله وإبراهيم يجود بنفسه أي يخرجها ويدفعها كما يدفع الإنسان ماله.

روى البخاري (١) عن المسور بن مخرمة قال: **سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: «إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما هي بضعة مني يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما أذاها»**.

وبوب عليه البخاري بقوله: باب ذبِّ الرجل على ابنته في الغيرة والإنصاف.

قال ابن حجر: أي في دفع الغيرة عنها وطلب الإنصاف لها.

ورواه مسلم (٢) عن ابن شهاب الزهري أن علي بن الحسين حدثه: أنهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما لقيه المسور بن مخرمة، فقال له: هل لك إليَّ من حاجة تأمرني بها؟ قال: فقلت له: لا قال له: هل أنت معطي سيف رسول الله ﷺ؟ فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه، وايم الله لئن أعطيتنيه لا يخلص إليه أبدًا حتى تبلغ نفسي إن عليَّ بن أبي طالب خطب بنتَ أبي جهل على فاطمةَ فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم فقال: «**إن فاطمة مني،**

---

(١) «صحيح البخاري»(٥٢٣٠).

(٢) «صحيح مسلم»(٢٤٤٩).

وإني أتخوف أن تُفتن في دينها» قال: ثم ذكر صهرًا له من بني عبد شمس، فأثنى عليه في مصاهرته إياه، فأحسن قال: «حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي وإني لست أحرم حلالًا ولا أحل حرامًا، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله مكانًا واحدًا أبدًا».

وفي «صحيح ابن حبان» فبلغ ذلك فاطمة فقالت: إن الناس يزعمون أنك لا تغضب لبناتك، وهذا عليٌّ ناكح بنت أبي جهل.

وأخرج الحاكم بإسناد صحيح إلى سويد بن غفلة وهو أحد المخضرمين ممن أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يلقه قال: خطب علي بنت أبي جهل إلى عمها الحارث بن هشام فاستشار النبيَّ ﷺ فقال: «أعن حسبها تسألني؟» فقال: لا ولكن، أتأمرني بها؟ قال: «لا، فاطمة مضغة مني، ولا أحسب إلا أنها تحزن أو تجزع» فقال علي: لا آتي شيئًا تكرهه.

قال ابن التين رحمه الله:

أصح ما تحمل عليه هذه القصة: أن النبي ﷺ حرم على عليٍّ أن يجمع بين ابنته وبين ابنة أبي جهل؛ لأنه علل بأن ذلك يؤذيه وأذيته حرام بالاتفاق.

ومعنى قوله: «لا أحرم حلالًا»: أي هي له حلال لو لم تكن عنده فاطمة، وأما الجمع بينهما الذي يستلزم تأذي النبي ﷺ لتأذي فاطمة به فلا.

قال الحافظ ابن حجر:

وزعم غيره أن السياق يشعر بأن ذلك مباح لعلي لكنه منعه النبي ﷺ رعاية لخاطر فاطمة، وقبل هو ذلك امتثالًا لأمر النبي ﷺ، والذي يظهر لي أنه لا يبعد أن يعد في خصائص النبي ﷺ أن لا يتزوج على بناته، ويحتمل أن يكون ذلك خاصًا بفاطمة عليها السلام.

قوله: «فإنما هي بضعة مني» بفتح الموحدة وسكون الضاد المعجمة أي

قطعة، ووقع في حديث سويد بن غفلة كما تقدم: «مضغة» بضم الميم وبغين معجمة، والسبب فيه ما تقدم في المناقب أنها كانت أصيبت بأمها ثم بأخواتها واحدة بعد واحدة، فلم يبق لها من تستأنس به ممن يخفف عليها الأمر ممن تفضي إليه بسرها إذا حصلت لها الغيرة.

* قوله: «**يريبني ما أرابها**» كذا هنا من أراب رباعيًّا وفي رواية مسلم: «**ما رابها**» من راب ثلاثيًّا وزاد في رواية الزهري: «**وأنا أتخوف أن تفتن في دينها**» يعني أنها لا تصبر على الغيرة فيقع منها في حق زوجها في حال الغضب ما لا يليق بحالها في الدين.

وفي رواية: «**وأنا أكره أن يسوءها**» أي تزويج غيرها عليها.

وفي رواية مسلم: «**أن يفتنوها**» وهي بمعنى أن تفتن.

* قوله: «**ويؤذيني ما آذاها**» وفي رواية «**فمن آذاها فقد آذاني**» وفي حديث عبد الله بن الزبير «**يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها**» وهو بنون ومهملة وموحدة من النصب بفتحتين وهو التعب، وفي رواية عبيد الله بن أبي رافع عن المسور «**يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها**» أخرجها الحاكم.

ويؤخذ من هذا الحديث أن فاطمة لو رضيت بذلك لم يمنع علي من التزويج بها أو بغيرها.

وفي الحديث تحريم أذى من يتأذى النبي ﷺ بتأذيه؛ لأن أذى النبي ﷺ حرام اتفاقًا قليله وكثيره، وقد جزم بأنه يؤذيه ما يؤذي فاطمة، فكل من وقع منه في حق فاطمة شيء فتأذت به فهو يؤذي النبي ﷺ بشهادة هذا الخبر الصحيح، ولا شيء أعظم في إدخال الأذى عليها من قتل ولدها، ولهذا عرف بالاستقراء معاجلة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد.

وفيه حجة لمن يقول بسد الذريعة لأن تزويج ما زاد على الواحدة حلال

للرجال ما لم يجاوز الأربع، ومع ذلك فقد منع من ذلك في الحال لما يترتب عليه من الضرر في المآل.

وفيه بقاء عار الآباء في أعقابهم لقوله «**بنت عدو الله**» فإن فيه إشعارًا بأن للوصف تأثيرًا في المنع مع أنها هي كانت مسلمة حسنة الإسلام، وقد احتج به من منع كفاءة من مس أباه الرق ثم أعتق بمن لم يمس أباها الرق ومن مسه الرق بمن لم يمسها هي بل مس أباها فقط.

وفيه أن الغيراء إذا خشي عليها أن تفتن في دينها كان لوليها أن يسعى في إزالة ذلك كما في حكم الناشز.

كذا قيل، وفيه نظر.

ويمكن أن يزاد فيه شرط أن لا يكون عندها من تتسلى به ويخفف عنها الحملة كما تقدم، ومن هنا يؤخذ جواب من استشكل اختصاص فاطمة بذلك مع أن الغيرة على النبي ﷺ أقرب إلى خشية الافتتان في الدين، ومع ذلك فكان ﷺ يستكثر من الزوجات، وتوجد منهن الغيرة، كما في هذه الأحاديث ومع ذلك ما راعي ذلك ﷺ في حقهن كما راعاه في حق فاطمة.

ومحصل الجواب: أن فاطمة كانت إذ ذاك كما تقدم فاقدة من تركن إليه من يؤنسها ويزيل وحشتها من أم أو أخت بخلاف أمهات المؤمنين، فإن كل واحدة منهن كانت ترجع إلى من يحصل لها معه ذلك وزيادة عليه وهو زوجهن ﷺ لما كان عنده من الملاطفة وتطييب القلوب وجبر الخواطر بحيث أن كل واحدة منهن ترضى منه لحسن خلقه وجميل خلقه بجميع ما يصدر منه بحيث لو وجد ما يخشى وجوده من الغيرة لزال عن قرب، وقيل فيه حجة لمن منع الجمع بين الحرة والأمة، ويؤخذ من الحديث إكرام من ينتسب إلى الخير أو الشرف أو الديانة.اهـ.

ومن رحمته ولينه ﷺ أنه كان يخفف الصلاة إذا سمع بكاء الطفل رحمة به وبأمه ورفقًا بهما:

روى البخاري(١) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِى قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ أَبِى قَتَادَةَ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «إِنِّى لأقُومُ فِى الصَّلاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِىِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِى صَلاتِى كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ».

وروى البخاري (٢) عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ أَخَفَّ صَلاةً وَلا أَتَمَّ مِنَ النَّبِىِّ ﷺ، وَإِنْ كَانَ لَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِىِّ فَيُخَفِّفُ مَخَافَةَ أَنْ تُفْتَنَ أُمُّهُ.

ففي الحديث: شفقة النبي ﷺ على أصحابه ومراعاة أحوال الكبير منهم والصغير.

وهذا نموذج من لطفه ﷺ ولينه في تعامله مع نسائه رضي الله عنهن:

روى البخاري (٣) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِىُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِى النَّبِىُّ ﷺ فِى بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِىُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِى كَانَ فِى الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ: «**غَارَتْ أُمُّكُمْ**»، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِىَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِى هُوَ فِى بَيْتِها، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِى كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِى بَيْتِ الَّتِى كَسَرَتْ.

قال الحافظ في «الفتح»:

وقوله: «**غارت أمكم**»: اعتذار منه ﷺ لئلا يحمل صنيعها على ما يذم بل

---

(١) «صحيح البخاري»(٧٠٧).

(٢) «صحيح البخاري»(٧٠٨).

(٣) «صحيح البخاري»(٥٢٢٥).

يجري على عادة الضرائر من الغيرة، فإنها مركبة في النفس بحيث لا يقدر على دفعها.اهـ.

فهو ﷺ يحفظ لها مكانتها فهي أم المؤمنين، وما صنعته كان على سبيل الغيرة فلم يعنفها ﷺ، ولم يثرِّب عليها؛ لأنها لم تنتهك حرمات الله عز وجل، بالرغم أن ماصنعته عائشة كان أمام الناس، لكنه ﷺ لا ينتقم لنفسه قط، ولم تأخذه العزة بالإثم، ولو حدث هذا مع أحدنا فليس من البعيد أن يطلق امرأته بسببه!!

وهذا رسول الله ﷺ نفسه وهذه عائشة رضي الله عنها نفسها في موقف آخر ولم يكن أمام أحد من الناس وصنعت ما صنعت فضربها رسول الله ﷺ بيده في صدرها ضربة أوجعتها، والذي حمله على هذا أنها أخطأت في ظنها أن الله عز وجل ورسوله ﷺ يحيفان عليها!

روى مسلم في «صحيحه»[1] عن عَائِشَةَ قَالَتْ: أَلا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّى وَعَنْ رَسُولِ الله ﷺ. قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِىَ الَّتِى كَانَ النَّبِىُّ ﷺ فِيهَا عِنْدِى انْقَلَبَ، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إلا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ الْبَابَ، فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِى فِى رَأْسِى، وَاخْتَمَرْتُ، وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِى، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ، فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ، فَدَخَلْتُ، فَلَيْسَ إِلا أَنِ اضْطَجَعْتُ، فَدَخَلَ فَقَالَ: «**مَا لَكِ يَا عَائِشُ حَشْيَا رَابِيَةً**» قَالَتْ: قُلْتُ: لا

(١) «صحيح مسلم»(١٠٣/ ٩٧٤).

شَىْءَ. قَالَ: «لَتُخْبِرِينِى أَوْ لَيُخْبِرَنِّى اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ». قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى. فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ: «فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِى رَأَيْتُ أَمَامِى». قُلْتُ: نَعَمْ. فَلَهَدَنِى فِى صَدْرِى لَهْدَةً أَوْجَعَتْنِى ثُمَّ قَالَ: «أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ الله عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ» قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ الله، نَعَمْ. قَالَ: «فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِى حِينَ رَأَيْتِ، فَنَادَانِى فَأَخْفَاهُ مِنْكِ، فَأَجَبْتُهُ فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ، وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِى، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِىَ أَهْلَ الْبَقِيعِ، فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «قُولِى السَّلامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ الله الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ الله بِكُمْ لَلاحِقُونَ».

وهذا نموذج من رفقه ولينه ورحمته بذريته:

روى النسائي[1] عن عبد الله بن شداد عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسنًا أو حسينًا فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه ثم كبر للصلاة فصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها قال أبي: فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك؟ قال: «**كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته**».

* قوله: «بين ظهراني صلاته» أي في أثناء صلاته.

---

(١) «السنن» (٢/ ٢٤٩).

❊ وقوله: «أنه قد حدث أمر» كناية عن الموت أو المرض.

❊ وقوله: «كل ذلك لم يكن» أي ما وقع شيء مما قلتم.

❊ وقوله: «ارتحلني» اتخذني راحلة له بالركوب على ظهري.

❊ وقوله: «أن أعجله» من التعجيل أو الإعجال، وظهر منه أن تطويل سجدة على سجدة لا يضر.

❊ ❊ ❊

الإيثار والمواساة

إن البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ بيوت ترى أصحابها يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، فهي تؤثر حب الله ورسوله ﷺ على أي حب، وتؤثر الآخرة على الدنيا، وتؤثر رضا الله عز وجل على رضا الخلق جميعًا، وهم بالتالي يؤثرون غيرهم في المال وما في معناه من طعام وشراب وملبس وغيره، لأنهم يعلمون أن ما عند الله خير وأبقى، ولقد ضرب لنا الصحابة الكرام خير مثال في الإيثار والمواساة، وكان أول من ضرب ذلك المهاجرون والأنصار، المهاجرون تركوا أرضهم وديارهم وأموالهم لله، ورغبة في محبة الله ورسوله، والأنصار آثروا إخوانهم المهاجرين بأموالهم وديارهم، بل من كان له منهم زوجتان طلق إحداهما ليتزوجها أخوه من المهاجرين بعد انقضاء عدتها كما هو معلوم.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٨ ـ ٩].

فالإيثار: أن يقدم الإنسان غيره على نفسه، والمواساة: أن يواسي غيره بنفسه، والإيثار أفضل.

أنواع الإيثار:

ليعلم أن الإيثار ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول: ممنوع، والثاني: مكروه أو مباح، والثالث: مباح.

القسم الأول: وهو الممنوع: وهو أن تؤثر غيرك بما يجب عليك شرعًا فإنه لا يجوز أن تقدم غيرك فيما يجب عليك شرعًا.

ومثاله: إذا كان معك ماء يكفي بوضوء رجل واحد، وأنت لست على وضوء، وهناك صاحب لك ليس على وضوء والماء لك، لكن إما أن يتوضأ به صاحبك وتتيمم أنت، أو تتوضأ أنت ويتيمم صاحبك، ففي هذه الحال لا يجوز أن تعطيه الماء وتتيمم أنت؛ لأنك واجد الماء والماء في ملكك، ولا يجوز العدول عن الماء إلى التيمم إلا لعادم.

فالإيثار في الواجبات الشرعية حرام، ولا يحل، لأنه يستلزم إسقاط الواجب عليك.

القسم الثاني: وهو المكروه أو المباح: فهو الإيثار في الأمور المستحبة، وقد كرهه بعض أهل العلم وأباحه بعضهم، لكن تركه أولى لا شك إلا لمصلحة.

ومثاله: أن تؤثر غيرك في الصف الأول الذي أنت فيه، مثل أن تكون أنت في الصف الأول في الصلاة، فيدخل إنسان فتقوم عن مكانك وتؤثره به، فقد كره أهل العلم هذا، وقالوا: إن هذا دليل على أن الإنسان يرغب عن الخير، والرغبة عن الخير مكروهة، إذ كيف تقدم غيرك على مكان فاضل أنت أحق به

منه ! وقال بعض العلماء: تركه أولى إلا إذا كان فيه مصلحة، كما لو كان أبوك وتخشى أن يقع في قلبه شيء عليك فتؤثره بمكانك الفاضل، فهذا لا بأس به.

القسم الثالث: وهو المباح: وهذا المباح قد يكون مستحبًا، وذلك أن تؤثر غيرك في أمر غير تعبدي، أي تؤثر غيرك وتقدمه على نفسك في أمر غير تعبدي.

ومثاله: أن يكون معك طعام وأنت جائع، وصاحب لك جائع مثلك، ففي هذه الحال إذا آثرته فإنك محمود على هذا الإيثار، لقول الله تبارك وتعالى في وصف الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

ووجه الإيثار على أنفسهم أن المهاجرين لما قدموا المدينة تلقاهم الأنصار بالإكرام والاحترام والإيثار بالمال، حتى إن بعضهم يقول لأخيه المهاجري: إن شئت أن أتنازل عن إحدى زوجتي لك فعلت؛ يعني يطلقها فيتزوجها المهاجريّ بعد مضي عدتها، وهذا من شدة إيثارهم رضي الله عنهم لإخوانهم المهاجرين.

وقال تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٨-٩] يعني: يطعمون الطعام وهم يحبونه مسكينًا أويتيمًا أوأسيرًا، ويتركون أنفسهم، هذا أيضا من باب الإيثار.

وعن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماءٌ،

ثم أرسل إلى أخرى. فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال النبي ﷺ: «**من يضيف هذا الليلة؟**» فقال رجلٌ من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ.

وفي رواية: أنه قال لامرأته: هل عندك شيء؟ فقالت:لا، إلا قوت صبياني قال: علليهم بشيء وإذا أرادوا العشاء، فنوميهم، وإذا دخل ضيفنا، فأطفئي السراج، وأريه أنَّا نأكل، فقعدوا، وأكل الضيف، وباتا طاويين، فلما أصبحا، غدا على النبي ﷺ: فقال: «**لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**».

متفق عليه(١).

فهذا حديث يبين حال رسول الله ﷺ وأصحابه حيث جاءه رجل فقال: يا رسول الله، إني مجهود، يعني مجهد من الفقر والجوع، وهو ضيف على رسول الله ﷺ، فأرسل النبي ﷺ إلى زوجاته واحدة تلو الأخرى يسألها هل عندها شيء، فكانت كلّ واحدة تقول: «لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا الماء».

فهذه تسعة أبيات للرسول عليه الصلاة والسلام ليس فيها إلا الماء، مع أن النبي ﷺ لو شاء أن يسير الله الجبال معه ذهبًا لسارت، لكنه عليه الصلاة والسلام كان أزهد الناس في الدنيا.

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**من يضيف هذا الليلة؟**» يعني هذا الضيف، فقال رجل من الأنصار: «أنا يا رسول الله» يعني أنا أضيفه، «فذهب بالرجل إلى رحله، وقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا طعام صبياني» يعني ليس عندها في البيت إلا عشاء أطفالهم تلك الليلة فقط، فقال: «أكرمي ضيف رسول الله ﷺ» وأمرها أن تشغل أولادها وتلهيهم، حتى إذا

---

(١) «صحيح البخاري»(٤٨٨٩) و«صحيح مسلم»(٢٠٥٤).

جاء وقت الطعام هدأت الصبيان وعللتهم ونومتهم، فناموا على غير عشاء، ثم إن العَشاء لما قُدم أطفأت المصباح وأرت الضيف أنها تأكل هي وزوجها، وهما لا يأكلان، فشبع الضيف وباتا جائعين طاويين، إكرامًا لضيف الرسول ﷺ.

ثم إن الرجل صاحب البيت أصبح، فغدا إلى رسول الله ﷺ، فأخبره الرسول عليه الصلاة والسلام أن الله قد عجب من صنيعهما تلك الليلة، والعجب هنا عجب استحسان، استحسن عز وجل صنيعهما تلك الليلة.

ففي هذا الحديث من الفوائد ما يلي:

أولًا: بيان حال رسول الله ﷺ وما كان عليه من شظف العيش وقلة ذات اليد، مع أنه عليه الصلاة والسلام أكرم الخلق على الله، ولو كانت الدنيا تساوي عند الله شيئًا، لكان أبر الناس بها وأحقهم رسول الله ﷺ، ولكنها لا تساوي شيئًا.

قال ابن القيم رحمه الله:

لو ساوت الدنيا جناح بعوضة ... لم يسبق منها الرب ذا الكفران
لكنها والله أحقر عنده ... من ذا الجناح القاصر الطيران

فهي أحقر من جناح البعوضة عند الله، فليست بشيء.

ثانيًا: حسن أدب الصحابة مع النبي ﷺ، فإن هذا الأنصاري رضي الله عنه قال لزوجته: «أكرمي ضيف رسول الله ﷺ» فلم يقل أكرمي ضيفنا مع أن الذي أضافه في الحقيقة هو هذا الرجل، لكنه أضافه نيابة عن الرسول عليه الصلاة والسلام، فجعله ضيفًا لرسول الله ﷺ.

ثالثًا: أنه يجوز عرض الضيافة على الناس، ولا يعد هذا من المسألة المذمومة، لأنه لم يعين، فلم يقل، يا فلان، ضيف هذا الرجل حتى نقول: إنه

أحرجه، وإنما هو على سبيل العموم. فيجوز للإنسان مثلًا إذا نزل به ضيف وكان مشغولًا، أو ليس عنده ما يضيفه به، أن يقول لمن حوله: من يضيّف هذا الرجل؟ ولا حرج في ذلك.

رابعًا: الإيثار العظيم من هذا الرجل الأنصاري، حيث بات هو وزوجته وصبيته من غير عشاء إكرامًا لهذا الضيف الذي نزل ضيفًا على رسول الله ﷺ.

خامسًا: أنه ينبغي للإنسان ألا يشعر ضيفه أنه يمُنُّ عليه، أو أن الضيف مضيق عليه، ومحرج له، لأن الرجل أمر بإطفاء المصباح حتى لا يظن الضيف أنه ضيق عليه وحرمهم العشاء، وهذا مأخوذ من أدب الخليل إبراهيم عليه السلام حين نزلت الملائكة ضيوفًا: **﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾** [الذاريات:٢٦] مشوي، لكنه راغ إلى أهله، أي ذهب بسرعة وخفية لئلا يخجل الضيف.

سادسًا: أنه يجوز للإنسان أن يؤثر الضيف ونحوه على عائلته، وهذا في الأحوال النادرة العارضة، وإلا فقد قال النبي ﷺ: **«وابدأ بمن تعول»**[1].

ولكن إذا عرضت مثل هذه الأحوال فلا حرج على الإنسان أن يقدم الضيف أو نحوه ممن يجب عليه إكرامه.

ومن تأمل سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وهديه وهدي أصحابه، وجد فيها من مكارم الأخلاق، ومعالي الآداب ما لو سار الناس عليه، لنالوا بذلك رفعة الدنيا والآخرة، وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير في الدنيا والآخرة.

* * *

الصدق

إن البيوت المسلمة التي يحبها الله ورسوله ﷺ بيوت قائمة على الصدق، ذاك الخلق العظيم الجليل الذي هو أقرب طريق إلى الأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة وأعظم سبب من أسباب دخول الجنة.

قال ﷺ: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقًا**»[(١)].

فهذه البيوت قائمة على الصدق مع الله وفي عبادتها لله، ومصدقة برسول الله ﷺ وصادقة في اتباعها له ﷺ وصادقة في معاملاتها مع عباد الله تعالى وصادقة مع نفسها.

هذه البيوت أفرادها متخلقون بخلق الصدق فيما بينهم وبين بعضهم؛ الأب صادق مع أولاده في كل قول أو عمل يقوم به، صادق في تربيته وتعليمه لهم، وكذلك صادق مع زوجته، والأولاد صادقون مع آبائهم وأمهاتهم، والزوجة صادقة مع زوجها، وهؤلاء جميعًا صادقون مع الله ومع خلق الله تعالى.

ومن أعظم منازل الصدق: الصدق مع الله تعالى، فكلمة التوحيد، لا تقبل إلا بالصدق مع الله تعالى فيها، وكذلك سائر العبادات، والأقوال، والأعمال: لا تقبل إلا بالصدق، والإخلاص لله عز وجل، والمتابعة لرسول الله ﷺ.

وهذا الصدق يقتضي التزام البيوت المسلمة بعهد الله الذي قطعته على نفسها بعبادة الله تعالى وعدم الإشراك به شيئًا، فتلزم هذه البيوت بكل ما أمر الله تعالى به وتجتنب ما نهى الله تعالى عنه، وأن تجاهد نفسها على الالتزام به ما

---

(١) خرجه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧).

استطاعت إلى ذلك سبيلًا، فإن وطنت هذه البيوت على ذلك فهي صادقة مع الله تعالى. وإن حدث منها تقصير في الفعل لغفلة أو غلبة شهوة أو غير ذلك.

أما أن تعرض هذه البيوت عن عبادة الله تعالى والالتزام بأوامره بالكلية، وأفرادها مع ذلك يقولون: لا إله إلا الله، فهي بيوت أفرادها كاذبون على الله تعالى، وهم من المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

أما إذا صدقت وأوفت بما عاهدت عليه الله فهي بيوت من المؤمنين الصادقين الذين قال الله تعالى في أهلها: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٥-١٧].

وهذه البيوت الصادقة بأهلها مع الله تعالى هي التي مدح الله أهلها بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

التصديق برسول الله ﷺ والصدق في اتباعه:

فهذه البيوت مصدقة برسول الله ﷺ بمعنى أنها مصدقة برسالته ونبوته ومؤمنة به نبيًّا ورسولًا مبشرًا ونذيرًا، لا يعتريها شك في ذلك ولا تستطيع

قوى العالم أجمع أن تزحزح أو تزعزع هذا الصدق وذاك الإيمان الذي عليه مدار الشرع والدين، وصادقة في اتباعها لرسول الله ﷺ فهي تتبع رسول الله ﷺ دون اعتراض وجدال ونقاش طالما صح وثبت ذلك الأمر والنهي عنه ﷺ ولم تسوف وتؤجل وتتعلل وتعتذر بأعذار ليست شرعية، فهي صادقة في ذلك بل ومسارعة إلى ذلك فلا تترك هديًا أو قولًا أو عملًا أو سنة له ﷺ إلا وسارع أهلها بالاتباع والانقياد لها ابتغاء وجه الله تعالى ومحبة لرسول الله ﷺ.

الصدق مع النفس:

ليعلم أهل هذه البيوت أن مفتاح الخير كله هو الصدق مع النفس، إذ إن أصل الصدق باب لكل خير وبر كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ، والصدق مع النفس يعني أن يواجه أهل هذه البيوت أنفسهم بما هم عليه ولا يكذبون على أنفسهم ولا يخادعون أنفسهم، ويواجهوها بالحقيقية، فإن كانت هذه البيوت أو أهلها على مخالفات ومعاصٍ وذنوب وبدع ومنكرات فليواجهوا أنفسهم بهذه الحقيقة بأنهم بعيدون عن الطريق المستقيم، منغمسون في المعاصي والذنوب، حتى يزكوا أنفسهم ويطهروها من براثن المعاصي والذنوب.

الصدق مع عباد الله:

إن البيوت الصادقة مع الله والصادقة مع أنفسها لابد أن تكون صادقة مع خلق الله تعالى في كل قول أو عمل يتعاملون معهم فيه وصادقون في صلتهم لهم ودعوتهم لهم إلى الله والإحسان إليهم والنصح لهم، ليكونوا مثالًا صادقًا صحيحًا للبيوت المسلمة.

* * *

العفاف والتعفف

إن البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ بيوت عفيفة متعففة، يتصف أهلها بالعفة والتعفف وهما صفتان يحبهما الله عز وجل كما قال ﷺ: «**إن الله تعالى يحب الحيي العفيف المتعفف**»[1].

وروى البخاري[2] أنَّ أَبَا سُفْيَانَ قال لِهِرَقْلَ: ويأْمُرُنَا ـ يعني النبي ﷺ ـ بِالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ.

فهي بيوت ترى أصحابها عفيفي اللسان، عفيفي الفرج، عفيفي النظر، عفيفي البطن.

والعفة لغة: هي الكف عن القبيح، أو الكف عما لا يحل ويحمل، وهي أيضًا النزاهة.

واصطلاحًا: هي كفُّ النفس عن المحارم، وعما لا يجمل بالإنسان فعله، وضدها الدناءة والخسة.

فالعفة هي كف النفس عن محارم الله تعالى في كل شيء في المأكل والمشرب والملبس وفي غيرها، ومنع النفس عما لا يليق بالفرد كإنسان.

والعفة أنواع:

١ـ **عفة الفرج**، وذلك بتحصينه عن فعل الفاحشة كالزنا واللواط، ووسائلها. قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ**﴾ المؤمنون:٥.

وروى البخاري[3] عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ يَضْمَنْ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ١٩٦) وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٣٢٠).

(٢) «صحيح البخاري» (٧، ٥١).

(٣) «صحيح البخاري» (٦٤٧٤).

لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ» يعني اللسان والفرج.

٢ـ عفة اللسان عن المحرمات كالغيبة والنميمة والكذب والزور والقذف وغير ذلك من معاصي اللسان.

قال تعالى: ﴿**مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ ق:١٨.

وقال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[١].

٣ـ عفة النظر وذلك بغض البصر عن المحرمات قال تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾ النور:٣٠.

٤ـ عفة البطن وذلك بترك أكل الحرام وشرب الحرام قال تعالى: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾.

وروى الترمذي[٢]: أن النبي ﷺ قال: «**كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به**».

وقال ﷺ: «**أربع إذا كن فيه فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة**»[٣].

وروى مسلم[٤] عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «**اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى**».

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٧٤/ ٤٧).

(٢) «سنن الترمذي» (٦٤٢) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٣) رواه أحمد والطبراني وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٧١٨).

(٤) «صحيح مسلم» (٢٧٢١).

ومن هنا، فإن البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ: أفرادها عفيفو الفروج، حافظون لها إلا على الزوجة أو ملك اليمين، ولا يقع أفرادها في كبيرة الزنا أو اللواط أو السحاق، ولا يسمحون بدخول الوسائل المؤدية إلى ذلك في بيوتهم، ولا يسعون إلى هذه الوسائل.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ المؤمنون: ١-٧.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ المعارج: ١٩-٢٦.

وكذلك عفيفو اللسان، فلا يخوض أفرادها في أعراض المسلمين والمسلمات، ولا يتكلمون إلا بكل خير، أو ما يؤدي إلى الخير في الدنيا والآخرة.

وكذلك عفيفو النظر، فربُّ البيت وربة البيت وأولادهما يغضون أبصارهم عن المحرمات.

وتجد المرأة في هذه البيوت العفيفة تغض بصرها، وتستر بدنها، حتى لا يراها أحد ممن لا يحل له ذلك، فهي ملتزمة بالحجاب الذي شرعه الله عز وجل.

وكذلك ربُّ البيت يتحرى الحلال في عمله، وفي شرائه وبيعه، حتى لا

يأكل من حرام، ولا يؤكل رعيته من حرام.

وكذلك ربة البيت تعين زوجها على ذلك بتوصيته بتقوى الله وبكفافها وقناعتها.

قال الغزَّالي (١):

كان الرجل إذا خرج من منزله، تقول له امرأته أو ابنته: إياك وكسب الحرام، فإنا نصبر على الجوع والضر، ولا نصبر على النار.اهـ.

وكذلك أفراده لا يرهقون راعيهم، ولا يكفلونه ما لا يطيق، ولكن يقنعون ويرضون بالحلال، وإن كان قليلًا.

***

نماذج للعفة
يوسف عليه السلام

يوسف عليه السلام في ريعان الشباب، ويمتلئ جسمه قوة وحيوية، وهو في حالة غربة وعزبة ورق، وأسباب الفاحشة ودواعيها تتهيأ له، فالمرأة هي الداعية، وهي امرأة من؟! إنها امرأة العزيز عزيز مصر ـ فحسبك بها فتنة وإغراء! وقد تزينت بكل ما تملك! والدعوة في بيت آمن وقد غلقت الأبواب، ولكن بقي باب واحد لم يغلق ولن يغلق إنه باب السماء، فيتذكر يوسف عليه السلام من خلاله عظمة الجبار جل جلاله ويتصور رقابته، ويرى برهان ربه فيلوذ بحماه ويستحق أن يكون من عباد الله المخلصين.

***

(١) «إحياء علوم الدين» (٢/ ١٨).

وسائل العفة:

لما للعفة من أهمية بالغة، فقد أرشد الشرع المطهر إلى وسائل المحافظة عليها، وهذه الوسائل على قسمين: ما أمر به الشارع، وما نهى عنه الشارع.

الأول: ما أمر به الشارع

١- تقوى الله تعالى:

فكم من معصية امتنع صاحبها بسبب تقوى الله تعالى، كما جاء ذلك في قصة أصحاب الغار، ومنهم الذي قال: «اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إليَّ، فراودتها عن نفسها، فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلتْ، حتى إذا قدرت عليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليَّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها...»(١).

٢- غض البصر:

لأن النظرة سهم من سهام إبليس، ومعظم الحوادث مبدؤها من النظر، كما أن النار من مستصغر الشرر، كما قيل:

كل الحوادث مبدؤها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
وكم من نظرة فتكت بقلب صاحبها
فتك السهام بلا قوس ولا وتر

ومعناه: أن يكف المسلم بصره عما حرم عليه، ولا ينظر إلا لما أبيح له النظر

---

(١) وهو حديث مشهور رواه البخاري (٢٢٧٢).

إليه.

ولأهمية غض البصر ومدى خطورته ضمن النبي ﷺ الجنة لمن غض بصره فقال: «**اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم**»(١).

ولذلك أيضًا جعله ﷺ من حق الطريق لما قيل له: وما حق الطريق؟ قال: «**غض البصر...**»(٢).

٣ـ الزواج المبكر للشباب:

شرع الله الزواج لكسر الشهوة، وإعفاف النفس، وتكثير النسل، وجعله النبي ﷺ من سنته حيث قال معقبًا على حال الثلاثة الذين سألوا عن عبادته فتقالُّوها فتعهد واحد منهم بقوله: أما أنا فأعتزل النساء، فجاء الرد النبوي: «**وأتزوج النساء**» ثم التعقيب: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(٣).

وحث ﷺ الشباب على الزواج غضًّا لأبصارهم وتحصينًا لفروجهم فقال: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»(٤).

فالزواج من أعظم الأسباب المعينة على العفة، حيث يجد الرجل والمرأة ما يسد حاجتهما الفطرية التي ركبها الله في بني آدم من شهوة.

ومما يعين الزوجين على تمام العفة وكمالها أن يشبع كلٌّ منهما شهوته، حتى

---

(١) وهو حديث حسن كما في «السلسلة الصحيحة» (١٤٧٠).

(٢) رواه البخاري (٢٤٦٥).

(٣) رواه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (٥/ ١٤٠١).

(٤) رواه البخاري (١٩٠٥) ومسلم (١/ ١٤٠٠).

لا يتطلع واحد منهما للحرام، فكم رأينا من المتزوجين ميلًا للحرام بالرغم أن كلًا من الرجل والمرأة عنده ما يغنيه عن الحرام، والسبب في ذلك أولًا عدم تقوى الله عز وجل، ثم عدم إشباع الشهوة بالحلال.

وقد راعى بعض أهل العلم هذه المسألة في كتبهم، ومنهم ابن القيم رحمه الله في كتابه «زاد المعاد» فلننظر ما قاله، وهو خير من كثير مما كتب في هذه الأيام من بعض الباحثين أو الدارسين حيث ملئت كتبهم في هذا الباب بالكلمات الساقطة المثيرة القبيحة، بل وفيها وصف تفصيلي لأخص هذه الأمور بطريقة غير مهذبة ولا مؤدبة.

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه المذكور:

وأنفع الجماع ما حصل بعد الهضم، وعند اعتدال البدن في حره وبرده، ويبوسته ورطوبته، وخلائه وامتلائه، وضرره عند امتلاء البدن أسهل وأقل من ضرره عند خلوه، وكذلك ضرره عند كثرة الرطوبة أقل منه عند اليبوسة وعند حرارته أقل منه عند برودته، وإنما ينبغي أن يجامع إذا اشتدت الشهوة وحصل الانتشار التام الذي ليس عن تكلف، ولا فكر في صورة، ولا نظر متتابع، ولا ينبغي أن يستدعي شهوة الجماع، ويتكلفها، ويحمل نفسه عليها، وليبادر إليه إذا هاجت به كثرة المني، واشتد شبقه، وليحذر جماع العجوز، والصغيرة التي لا يوطأ مثلها، والتي لا شهوة لها، والمريضة، والقبيحة المنظر، والبغيضة، فوطء هؤلاء يوهن القوى، ويضعف الجماع بالخاصية.

وغلط من قال من الأطباء: إن جماع الثيب أنفع من جماع البكر وأحفظ للصحة، وهذا من القياس الفاسد، حتى ربما حذر منه بعضهم، وهو مخالف لما عليه عقلاء الناس، ولما اتفقت عليه الطبيعة والشريعة.

وفي جماع البكر من الخاصية، وكمال التعلق بينها وبين مجامعها، وامتلاء قلبها من محبته، وعدم تقسيم هواها بينه وبين غيره: ما ليس للثيب، وقد قال النبي ﷺ لجابر: «هلا تزوجت بكرًا» وقد جعل الله سبحانه من كمال نساء أهل الجنة من الحور العين أنهن لم يطمثهن أحد قبل من جعلن له من أهل الجنة، وقالت عائشة للنبي ﷺ: أرأيت لو مررت بشجرة قد أرتع فيها وشجرة لم يرتع فيها ففي أيها كنت ترتع بعيرك ؟ قال: «في التي لم يرتع فيها» تريد أنه لم يأخذ بكرًا غيرها.

وجماع المرأة المحبوبة في النفس يقل إضعافه للبدن مع كثرة استفراغه للمني، وجماع البغيضة يحل البدن، ويوهن القوى مع قلة استفراغه، وجماع الحائض حرام طبعًا وشرعًا فإنه مضر جدًا والأطباء قاطبة تحذر منه.

وأحسن أشكال الجماع أن يعلو الرجل المرأة مستفرشًا لها بعد الملاعبة والقبلة، وبهذا سميت المرأة فراشا كما قال ﷺ: «الولد للفراش» وهذا من تمام قوامية الرجل على المرأة كما قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤] وكما قيل:

إذا رمتها كانت فراشا يقلني وعند فراغي خادم يتملق

وقد قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] وأكمل اللباس وأسبغه على هذه الحال، فإن فراش الرجل لباس له، وكذلك لحاف المرأة لباس لها، فهذا الشكل الفاضل مأخوذ من هذه الآية، وبه يحسن موقع استعارة اللباس من كل من الزوجين للآخر، وفيه وجه آخر وهو أنها تنعطف عليه أحيانًا فتكون عليه كاللباس قال الشاعر:

إذا ما الضجيع ثنى جيدها تثنت فكانت عليه لباسا

وأردأ أشكاله أن تعلوه المرأة ويجامعها على ظهره، وهو خلاف الشكل الطبيعي الذي طبع الله عليه الرجل والمرأة، بل نوع الذكر والأنثى، وفيه من المفاسد أن المني يتعسر خروجه كله فربما بقي في العضو منه فيتعفن ويفسد فيضر، وأيضًا فربما سال إلى الذكر رطوبات من الفرج، وأيضًا فإن الرحم لا يتمكن من الاشتمال على الماء واجتماعه فيه وانضمامه عليه لتخليق الولد، وأيضًا فإن المرأة مفعول بها طبعًا وشرعًا وإذا كانت فاعلة خالفت مقتضى الطبع والشرع، وكان أهل الكتاب إنما يأتون النساء على جنوبهن على حرف ويقولون: هو أيسر للمرأة، وكانت قريش والأنصار تشرح النساء على أقفائهن فعابت اليهود عليهم ذلك فأنزل الله عز وجل: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وفي «الصحيحين» عن جابر قال: كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول فأنزل الله عز وجل: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ﴾.

وفي لفظ لمسلم: «إن شاء مجبية، وإن شاء غير مجبية، غير أن ذلك في صمام واحد».

والمجبية: المنكبة على وجهها.

والصمام الواحد: الفرج، وهو موضع الحرث والولد

وأما الدبر: فلم يبح قط على لسان نبي من الأنبياء ومن نسب إلى بعض السلف إباحة وطء الزوجة في دبرها فقد غلط عليه وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعون من أتى المرأة في دبرها».

وفي لفظ لأحمد وابن ماجه: «لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها».

وفي لفظ للترمذي وأحمد: «من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها أو كاهنًا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

وفي لفظ للبيهقي: «من أتى شيئًا من الرجال والنساء في الأدبار فقد كفر».

وفي مصنف وكيع: حدثني زمعة بن صالح عن ابن طاووس عن أبيه عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن يزيد قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يستحيي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن».

وقال مرة: «في أدبارهن».

وفي الترمذي: عن علي بن طلق قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تأتوا النساء في أعجازهن فإن الله لا يستحي من الحق».

وفي «الكامل» لابن عدي: من حديثه عن المحاملي عن سعيد بن يحيى الأموي قال: حدثنا محمد بن حمزة عن زيد بن رفيع عن أبي عبيدة عن عبد الله ابن مسعود يرفعه: «لا تأتوا النساء في أعجازهن».

وروينا في حديث الحسن بن علي الجوهري عن أبي ذر مرفوعًا: «من أتى الرجال أو النساء في أدبارهن فقد كفر».

وروى إسماعيل بن عياش عن سهيل بن أبي صالح عن محمد بن المنكدر عن جابر يرفعه: «استحيوا من الله فإن الله لا يستحيي من الحق لا تأتوا النساء في حشوشهن».

ورواه الدارقطني من هذه الطريق ولفظه: «إن الله لا يستحيي من الحق لا يحل مأتاك النساء في حشوشهن».

وقال البغوي: حدثنا هدبه حدثنا همام قال: سئل قتادة عن الذي يأتي امرأته في دبرها ؟ فقال: حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول

الله ﷺ قال: «تلك اللوطية الصغرى».

وقال أحمد في «مسنده»: حدثنا عبد الرحمن قال: حدثنا همام أخبرنا عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فذكره.

وفي المسند أيضًا: عن ابن عباس أنزلت هذه الآية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ في أناس من الأنصار أتوا رسول الله ﷺ فسألوه فقال: «ائتها على كل حال إذا كان في الفرج».

وفي «المسند» أيضًا: عن ابن عباس قال: جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت، فقال: «وما الذي أهلكك ؟» قال: حولت رحلي البارحة قال: فلم يرد عليه شيئًا فأوحى الله إلى رسوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أقبل وأدبر واتق الحيضة والدبر.

وفي الترمذي: عن ابن عباس مرفوعًا: «لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلًا أو امرأة في الدبر».

وروينا من حديث أبي علي الحسن بن الحسين بن دوما عن البراء بن عازب يرفعه: «كفر بالله العظيم عشرة من هذه الأمة: القاتل والساحر والديوث وناكح المرأة في دبرها ومانع الزكاة ومن وجد سعة فمات ولم يحج وشارب الخمر والساعي في الفتن وبائع السلاح من أهل الحرب ومن نكح ذات محرم منه».

وقال عبد الله بن وهب: حدثنا عبد الله بن لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «ملعون من يأتي النساء في محاشهن يعني: أدبارهن».

وفي مسند الحارث بن أبي أسامة من حديث أبي هريرة وابن عباس قالا:

خطبنا رسول الله ﷺ قبل وفاته وهي آخر خطبة خطبها بالمدينة حتى لحق بالله عز وجل وعظنا فيها وقال: «من نكح امرأة في دبرها أو رجلًا أو صبيًّا حشر يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة يتأذى به الناس حتى يدخل النار، وأحبط الله أجره، ولا يقبل منه صرفًا ولا عدلًا، ويدخل في تابوت من نار، ويشد عليه مسامير من نار» قال أبو هريرة: هذا لمن لم يتب.

وذكر أبو نعيم الأصبهاني من حديث خزيمة بن ثابت يرفعه: «إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن».

وقال الشافعي: أخبرني عمي محمد بن علي بن شافع قال: أخبرني عبد الله ابن علي بن السائب عن عمرو بن أحيحة بن الجلاح عن خزيمة بن ثابت: أن رجلًا سأل النبي ﷺ عن إتيان النساء في أدبارهن فقال: «حلال» فلما ولى دعاه فقال: «كيف قلت؟ في أي الخربتين، أو في أي الخرزتين، أو في أي الخصفتين، أمن دبرها في قبلها ؟ فنعم، أما من دبرها في دبرها فلا، إن الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا النساء في أدبارهن».

قال الربيع: فقيل للشافعي: فما تقول؟ فقال: عمي ثقة وعبد الله بن علي ثقة وقد أثنى على الانصاري خيرًا، يعني عمرو بن الجلاح، وخزيمة ممن لا يشك في ثقته، فلست أرخص فيه بل أنهى عنه.

قلت: ومن ها هنا نشأ الغلط على من نقل عنه الإباحه من السلف والأئمة فإنهم أباحوا أن يكون الدبر طريقًا إلى الوطء في الفرج، فيطأ من الدبر لا في الدبر، فاشتبه على السامع «من» بـ« في» ولم يظن بينهما فرقًا، فهذا الذي أباحه السلف والأئمة، فغلط عليهم الغالط أقبح الغلط وأفحشه.

وقد قال تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ قال مجاهد: سألت

ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ فقال: تأتيها من حيث أمرت أن تعتزلها يعني في الحيض، وقال علي بن أبي طلحة عنه: يقول في الفرج ولا تعده إلى غيره.

وقد دلت الآية على تحريم الوطء في دبرها من وجهين:

أحدهما: أنه أباح إتيانها في الحرث، وهو موضع الولد، لا في الحش الذي هو موضع الأذى، وموضع الحرث هو المراد من قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية قال: ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ وإتيانها في قبلها من دبرها مستفاد من الآية أيضًا لأنه قال: «أنى شئتم» أي: من أين شئتم من أمام أو من خلف، قال ابن عباس: «فأتوا حرثكم» يعني: الفرج.

وإذا كان الله حرم الوطء في الفرج لأجل الأذى العارض، فما الظن بالحش الذي هو محل الأذى اللازم؟! مع زيادة المفسدة بالتعرض لانقطاع النسل والذريعة القريبة جدًّا من أدبار النساء إلى أدبار الصبيان؟!

وأيضًا: فللمرأة حق على الزوج في الوطء ووطؤها في دبرها يفوت حقها ولا يقضي وطرها ولا يحصل مقصودها.

وأيضًا: فإن الدبر لم يتهيأ لهذا العمل، ولم يخلق له، وإنما الذي هيئ له الفرج، فالعادلون عنه إلى الدبر خارجون عن حكمة الله وشرعه جميعًا.

وأيضًا: فإن ذلك مضر بالرجل، ولهذا ينهى عنه عقلاء الأطباء من الفلاسفة وغيرهم، لأن للفرج خاصية في اجتذاب الماء المحتقن وراحة الرجل منه، والوطء في الدبر لا يعين على اجتذاب جميع الماء، ولا يخرج كل المحتقن لمخالفته للأمر الطبيعي.

وأيضًا: يضر من وجه آخر، وهو إحواجه إلى حركات متعبة جدًّا لمخالفته

للطبيعة.

وأيضًا: فإنه محل القذر والنجو، فيستقبله الرجل بوجهه ويلابسه.

وأيضًا: فإنه يضر بالمرأة جدًّا لأنه وارد غريب بعيد عن الطباع منافر لها غاية المنافرة.

وأيضًا: فإنه يحدث الهم والغم والنفرة عن الفاعل والمفعول.

وأيضًا: فإنه يسود الوجه، ويظلم الصدر، ويطمس نور القلب، ويكسو الوجه وحشة تصير عليه كالسيماء يعرفها من له أدنى فراسة.

وأيضًا: فإنه يوجب النفرة والتباغض الشديد والتقاطع بين الفاعل والمفعول ولا بد.

وأيضًا: فإنه يفسد حال الفاعل والمفعول فسادًا لا يكاد يرجى بعده صلاح إلا أن يشاء الله بالتوبة النصوح.

وأيضًا: فإنه يذهب بالمحاسن منهما ويكسوهما ضدها كما يذهب بالمودة بينهما ويبدلهما بها تباغضًا وتلاعنًا.

وأيضًا: فإنه من أكبر أسباب زوال النعم وحلول النقم، فإنه يوجب اللعنة والمقت من الله، وإعراضه عن فاعله، وعدم نظره إليه، فأي خير يرجوه بعد هذا؟! وأي شر يأمنه؟! وكيف حياة عبد قد حلت عليه لعنة الله ومقته وأعرض عنه بوجهه ولم ينظر إليه؟!

وأيضًا: فإنه يذهب بالحياء جملة والحياء هو حياة القلوب، فإذا فقدها القلب استحسن القبيح، واستقبح الحسن، وحينئذ فقد استحكم فساده.

وأيضًا: فإنه يحيل الطباع عما ركبها الله، ويخرج الإنسان عن طبعه إلى طبع لم يركب الله عليه شيئًا من الحيوان، بل هو طبع منكوس، وإذا نكس الطبع

انتكس القلب والعمل والهدى، فيستطيب حينئذ الخبيث من الأعمال والهيئات. ويفسد حاله وعمله وكلامه بغير اختياره.

وأيضًا: فإنه يورث من الوقاحة والجرأة ما لا يورثه سواه.

وأيضًا: فإنه يورث من المهانة والسفال والحقارة ما لا يورثه غيره.

وأيضًا: فإنه يكسو العبد من حلة المقت، والبغضاء، وازدراء الناس له، واحتقارهم إياه، واستصغارهم له، ما هو مشاهد بالحس فصلاة الله وسلامه على من سعادة الدنيا والآخرة في هديه، واتباع ما جاء به، وهلاك الدنيا والآخرة في مخالفة هديه وما جاء به.

فصل

والجماع الضار: نوعان: ضار شرعًا وضار طبعًا:

فالضار شرعًا: المحرم وهو مراتب بعضها أشد من بعض، والتحريم العارض منه أخف من اللازم، كتحريم الإحرام والصيام والاعتكاف، وتحريم المظاهر منها قبل التكفير، وتحريم وطء الحائض، ونحو ذلك ولهذا لا حد في هذا الجماع.

وأما اللازم: فنوعان نوع لا سبيل إلى حله البتة كذوات المحارم، فهذا من أضر الجماع، وهو يوجب القتل حدًّا عند طائفة من العلماء كأحمد بن حنبل رحمه الله وغيره، وفيه حديث مرفوع ثابت.

والثاني: ما يمكن أن يكون حلالًا كالأجنبية، فإن كانت ذات زوج ففي وطئها حقان: حق لله، وحق للزوج، فإن كانت مكرهة ففيه ثلاثة حقوق، وإن كان لها أهل وأقارب يلحقهم العار بذلك، صار فيه أربعة حقوق، فإن كانت ذات محرم منه، صار فيه خمسة حقوق، فمضرة هذا النوع بحسب درجاته في

التحريم.

وأما الضار طبعًا فنوعان أيضًا: نوع ضار بكيفيته كما تقدم، ونوع ضار بكميته، كالإكثار منه، فإنه يسقط القوة، ويضر بالعصب، ويحدث الرعشة، والفالج، والتشنج، ويضعف البصر، وسائر القوى، ويطفئ الحرارة الغريزية، ويوسع المجاري، ويجعلها مستعدة للفضلات المؤذية.

وأنفع أوقاته ما كان بعد انهضام الغذاء في المعدة، وفي زمان معتدل لا على جوع، فإنه يضعف الحار الغريزي، ولا على شبع فإنه يوجب أمراضًا شديدة، ولا على تعب، ولا إثر حمام، ولا استفراغ، ولا انفعال نفساني، كالغم والهم والحزن وشدة الفرح.

وأجود أوقاته بعد هزيع من الليل إذا صادف انهضام الطعام، ثم يغتسل أو يتوضأ، وينام عليه، وينام عقبه، فترجع إليه قواه، وليحذر الحركة والرياضة عقبه، فإنها مضرة جدًّا.

انتهى كلامه رحمه الله.

٤ـ الصوم للعاجز عن الزواج:

للحديث السابق، فإن الصوم وقاية وحماية وحصن من المعاصي، ويعين على ضبط الغرائز، وكبح جماح شهوة الفرج، فكما أن الصائم امتنع عن الطعام والشراب لله عز وجل وابتغاء مرضاته وأجره وثوابه وتنفيذًا لأمره، فهو كذلك يمتنع عن الشهوة الجنسية إرضاء لله عز وجل حتى يأذن الله عز وجل له في تصريفها التصرف الشرعي الممدوح، مع التنبيه ههنا إلى أنني سمعت من كثير من الشباب الذين يعانون من الشهوة وتبرج النساء، سمعت من بعضهم أن بعض الأطباء يفتونهم بجواز الاستمناء تصريفًا لهذه الشهوة حتى لا

يتضرروا باحتباس المني فيهم!! وتالله إنها لإحدى الكبر، وهي فتوى من غير أهلها، فإنه لا يجوز للطبيب المسلم أن يقول ذلك، وقد جعل الشرع الحكيم للشباب ما يتحصنون به، ولكن لبعد بعضهم عن هذه التحصينات الشرعية وقع في الهوى والعشق والنظر المحرم الذي يفسد القلب، ثم ذهب يلتمس العلاج عند الطبيب البشري، ونسي أو تناسى أن العلاج في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٥ـ قرار المرأة في بيتها وعدم خروجها إلا لحاجة أو ضرورة:

إن قرار المرأة في بيتها أمان للمجتمع من الفتنة وسد بوابة الشر والفاحشة لذلك أمرها الله تعالى بالقرار في البيت قال تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ الأحزاب:٣٣.

فقرار المرأة في بيتها وعدم خروجها إلا لضرورة أمن وأمان من كثير من الفتن والشرور، وتبرج المرأة شر مستطير، ولم يأمر الله عز وجل بقرار المرأة في بيتها إلا ليذهب الرجس عنا وليطهرنا من دنس المعصية، ولنساء المسلمين أسوة في نساء النبي ﷺ.

وقال ﷺ: «**إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»[١].

ولأهمية هذا الأمر ـ وهو القرار ـ أمر الشرع المرأة بأداء أعظم فريضة وشعيرة وركن بعد الشهادتين وهي الصلاة في بيتها، فقال ﷺ: «**وصلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير لك من صلاتك في مسجد قومك،**

---

(١) رواه الترمذي (١١٧٣) وصححه الشيخ الألباني.

وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجدي»[(١)].

٦ـ الصحبة الطيبة:

التي تُذكِّر بالله عند النسيان، وتُنبه عن الغفلة، وتنصح عند الخطأ، ألسنتهم لله ذاكرة وقلوبهم بالإيمان عامرة، فهم عون بعد الله على طاعة الله تعالى والبعد عن معاصيه؛ لذا قال ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[(٢)].

٧ـ الاستئذان:

فهو من وسائل العفة عند الدخول في البيوت مخافة أن تقع الأعين أو تطلع على خفايا البيوت وعلى عورات أهلها وهم غافلون، مع غض البصر من الرجال والنساء، قال ﷺ: «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر»[(٣)].

وقد نبه الله عز وجل على هذا الأدب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [النور: ٥٨ـ٥٩].

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٦/ ٣٧١) وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٣٣) وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٣) رواه البخاري (٦٢٤١).

٨ ـ إقامة الحدود:

لأن فيها ردعًا لمن تسول له نفسه فعل الفاحشة وارتكابها؛ لذلك يقول الله تعالى في بيان أن النفس ترتدع خشية أن تصاب أو تؤذى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٩].

الثاني: ما نهى الشارع عنه

١ـ النهي عن اختلاط الرجال بالنساء:

لقد حرم الإسلام على المرأة أن تختلط بالرجال الأجانب، وكذا الرجل أن يختلط بالنساء الأجنبيات عنه، وذلك صيانة للأخلاق من التهتك، وللقيم من التفكك، وللكرامة والشرف من الابتذال والامتهان.

والإسلام يحرص على الوقاية وسد أبواب الفتنة والإغراء، ولذا أمر ﷺ النساء أن لا يختلطن بالرجال في الطرق، كما خصص لهن بابًا للدخول إلى المسجد، وفصل صفوف النساء عن الرجال في الصلاة، وجعل الفضل لمن تباعد عن صفوف الآخرين.

٢ـ النهي عن التبرج والسفور:

لقد حرم الإسلام التبرج، لأنه فتنة، ويؤدي إلى الفاحشة والوقوع في المحرمات.

قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ الأحزاب: ٣٣.

قال ابن كثير رحمه الله:

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال، فذلك تبرج الجاهلية.

وقال قتادة: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ يقول: إذا خرجتن من بيوتكن وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج، فنهى الله تعالى عن ذلك.

وقال مقاتل بن حيان: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ والتبرج أنها تلقي الخمار على رأسها، ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها، وذلك التبرج، ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١-٣٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما بعد - وذكر - نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**».

قال النووي (١):

هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع هذان الصنفان، وهما موجودان، وفيه ذم هذين الصنفين.

قيل: معناه كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها، وقيل: معناه تستر

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ١١٠).

بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارًا لجمالها ونحوه، وقيل: معناه تلبس ثوبًا رقيقًا يصف لون بدنها.

وأما «مائلات» فقيل: معناه عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه، «مميلات» أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم، وقيل: مائلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن، وقيل مائلات يمشطن المشطة المائلة، وهي مشطة البغايا، مميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة.

ومعنى «رؤوسهن كأسنمة البخت» أن يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها.اهـ.

وقال المناوي[1]:

«لا يدخلن الجنة» مع الفائزين السابقين، أو مطلقًا إن استحللن ذلك.

٣ـ النهي عن الخلوة بالأجنبية:

وذلك سدًّا للذريعة، ولقد شدد النبي ﷺ على منع الخلوة بالأجنبية، إذا لم يكن معها زوج أو ذو محرم، لأن الشيطان حريص على إفساد النفوس والوقوع في الفواحش، كما قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٦٨.

وروى البخاري[2] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، وَلا تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ» فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، اكْتُتِبْتُ فِى غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، وَخَرَجَتِ امْرَأَتِى حَاجَّةً؟ قَالَ: «اذْهَبْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ».

---

(١) «فتح القدير» (٤/ ٢٠٨).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٠٠٦).

٤ـ النهي عن السفر بلا محرم:

وذلك سدًا للذريعة وصيانة لكرامة المرأة من أن تبتذل وعرضها أن يهان، وفي الحديث السابق: قال ﷺ: «**وَلا تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ**».

٥ ـ النهي عن مصافحة النساء الأجانب:

فلا يحل لرجل أن يمس امرأة لا تحل له لما في ذلك من الفتنة ما لا يخفى على ذي العقل السليم المؤمن التقي، ولقد كان من هديه ﷺ أنه لا يصافح النساء، كما صح ذلك عنه ﷺ، وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد، خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**»[1].

٦ـ النهي عن الخضوع في القول:

فلقد نهى الله تعالى المرأة أن تخضع بقولها حينما تخاطب الرجال الأجانب لما في ذلك من إثارة الغرائز وتحريك الشهوات، قال تعالى: ﴿**يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**﴾ [الأحزاب:٣٢].

قال ابن كثير رحمه الله:

هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ ونساء الأمة تبع لهن في ذلك، فقال تعالى مخاطبًا لنساء النبي ﷺ بأنهن إذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن، فإنه لا يشبههن أحد من النساء، ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة، ثم قال تعالى: ﴿**فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ**﴾ قال السدي وغيره: يعني بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال، ولهذا قال تعالى: ﴿**فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ**﴾ أي دغل ﴿**وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**﴾ قال ابن زيد: قولًا حسنًا جميلًا معروفًا في الخير، ومعنى

---

(١) رواه الطبراني، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٦).

هذا: أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، أي لا تخاطب المرأةُ الأجانبَ كما تخاطب زوجها.اهـ.

وقال ابن القيم رحمه الله [(١)]:

أمرهن أن لا يلنَّ في كلامهن كما تلين المرأة المعطية الليان في منطقها، فيطمع الذي في قلبه مرض الشهوة، ومع ذلك فلا يخشنَّ في القول بحيث يلتحق بالفحش، بل يقلن قولًا معروفًا. اهـ.

وهذا المرض المذكور هو مرض الشهوة المحرمة:

قال ابن القيم رحمه الله [(٢)]:

مرض الشهوات، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] فهذا مرض شهوة الزنى.

٧ـ النهي عن كل ما يدعو إلى الفاحشة ويزينها:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ الإسراء: ٣٢، فكل وسائل الإغراء التي من شأنها إثارة الغرائز وإشاعة الفواحش محرمة؛ لأن ما يؤدي إلى الحرام فهو حرام، ولذلك حرمت الخمر لأنها أم الخبائث، وحرم الغناء لأنه بريد الزنا وسماعها يوقظ الفتنة النائمة ويهيج الشهوة الساكنة، وحرمت الأفلام الساقطة والمجلات الهابطة وقراءة ما يدعو إلى الفاحشة، ويهيج إلى فعلها.

ومما سبق فإن البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة:

بيوت تحرص على العفة بحقيقتها الشرعية وأنواعها.

بيوت تحرص على توفر أسبابها ووسائلها دائمًا.

بيوت تعمل على القضاء على معوقات العفة حتى لا تفقدها وتضيعها

(١) «إغاثة اللهفان» (ص ١٤).

(٢) «زاد المعاد» (٤/ ٥).

فتقع في المعاصي والذنوب.

معوقات العفة:

ومن هذه المعوقات:

١ـ ضعف التربية والرقابة من بعض المربين.

٢ـ إطلاق البصر للنظر فيما حرم الله تعالى، وهو من أكبر أسباب الفتنة، ففي غض البصر عن المحرمات فوائد عظيمة جليلة منها:

أ ـ حلاوة الإيمان.

ب ـ نور القلب والفراسة.

جـ ـ قوة القلب وثباته وشجاعته.

د ـ يبدل الله صاحبه نورًا يجد حلاوته في قلبه.

هـ ـ امتثال أمر الله تعالى.

٣ـ تأخر الزواج للرجل والمرأة.

٤ـ السفر إلى بلاد الكفار التي يظهر فيها التفسخ والعري.

٥ـ التهاون بالاختلاط والخلوة بالأجنبية.

٦ـ مخالطة من لا يهتم بالعفة.

٧ـ كثرة الفراغ.

٨ ـ ترك اتباع الأحكام الشرعية.

فالعفة خلق عظيم جليل، لابد أن تقوم عليه البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ.

ثمرات العفة:

والعفة لها ثمرات عظيمة منها:

١ـ ضمان النبي ﷺ للعفيف دخول الجنة، كما سبق الحديث على ذلك.

٢ـ إظلال الله تعالى لمن عف عن الفاحشة في ظل عرشه يوم القيامة قال ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله**»(١).

٣ـ عفة المرء سبب في عفة أهله ومحارمه، فالجزاء من جنس العمل.

٤ ـ العفة سبب لسلامة الإنسان والمجتمع من الشرور والفواحش والآثام.

٥ـ العفة سبب للبعد عن سخط الله تعالى وعقابه العام والخاص.

٦ـ العفيف مضاعف الثواب؛ لأن العفة تستلزم التقوى والصبر عن المعاصي.

٧ـ قوة الإرادة؛ لأن الاستعفاف يتطلب قدرًا كبيرًا من الإرادة القوية والعزيمة الصادقة.

* * *

الحيـــاء

إن مدار الدين على خلق الحياء من حيث الفعل، فالحياء خير كله، والحياء شعبة من شعب الإيمان، فالبيوت القائمة على الحياء بيوت متخلقة بالأخلاق الفاضلة بيوت عابدة لربها، متصفة بصفة الإحسان، فالحياء لا يأتي إلا بكل خير.

والحياء هو تغير وانكسار وانقباض يعتري النفس من خوف ما يعاب به.

والحياء خلق يبعث على ترك الأمور القبيحة، فيحول بين الإنسان

---

(١) رواه البخاري (٦٦٠).

وارتكاب المعاصي، ويمنعه من التقصير في حق ذي الحق.

فانعدام الحياء سبب من أسباب الوقوع في المعاصي والذنوب والفواحش والفجور لحديث: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت**»[1].

ولله در القائل:

ورُبَّ قبيحة ما حـــال بينـــي
وبين ركوبهـــا إلا الحيـــاء
فكان هو الدواء لهـــا ولكـــن
إذا ذهب الحيـــاء فـلا دواء

والحياء من خصائص الإنسان وقد حباه الله به ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهي، فلا يكون كالبهيمة.

والحياء أيضًا من خصائص الفطرة البشرية السليمة التي تنفر من القبيح والسوء، وقد تمثلت هذه الفطرة السليمة في قصة النشأة الأولى في اللباس وستر العورة، حيث نفرت من انكشاف سوءاتها الجسدية والنفسية وحرصت على سترها ومواراتها.

أما الذين يحاولون تعرية الجسد من اللباس والنفس من التقوى ومن الحياء من الله ومن الناس، وهؤلاء الذين يطلقون العنان لألسنتهم وأقلامهم من خلال الأجهزة المختلفة لتأصيل هذه المحاولة في شتى الصور والأشكال الخبيثة، هم الذين يريدون سلب الإنسان خصائص فطرته وإنسانيته التي بها صار إنسانًا.

---

(١) خرجه البخاري (٣٤٨٤).

وهم الذين يريدون أن يسلموا الإنسان لعدوه الشيطان وهم الذين يخططون لتدمير الإنسانية بالانحلال والعري.

فالبيوت المسلمة التي يحبها الله ورسوله ﷺ بيوت تتخلق بخلق الحياء، وتتجنب البذاءة والفجور والفحش.

والحياء صفة يحبها الله عز وجل وبالتالي يحب كل من اتصف بها كما قال ﷺ: **«إن الله عز وجل حيي ستير يحب الحياء والستر»**(١).

أنواع الحياء:

١ـ الحياء من الله وهو طريق إلى إقامة كل طاعة واجتناب كل معصية، لأنه إذا خاف العبد ربه لم يرفض له طاعة ولم يقرب معصية.

٢ـ الحياء من الناس كحياء الولد من والديه، والمرأة من زوجها، والجاهل من العالم، والصغير من الكبير، وحياء البكر من الإفصاح بالرغبة في النكاح.

٣ـ حياء المرء من نفسه فلا يقنع بالنقص والدون والهوان وهذا النوع من كمال الحياء، فإن العبد إذا استحي من نفسه فهو أولى بأن يستحيي من غيره.

وما يعين على الحياء:

١ـ مراقبة الله عز وجل، فإنها تورث العبد حياء من الله.

٢ـ شكر النعمة، فإن العاقل إذا كان في تقلب في نعم الله تعالى التي لا تحصى فإنه يستحيي أن يستعين بها على معصية الله عز وجل.

أمور ليست من الحياء:

١ـ عدم قول الحق والجهر به قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾

(١) «صحيح سنن أبي داود» (٤٠١٢).

[الأحزاب: ٥٣] فإن الذي يمنع من ذلك عجز ومهانة وليس حياء.

٢ـ الحياء في طلب العلم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «نعم النساء، نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين».

وقال مجاهد: لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر.

* * *

الـــوفـــــاء

إن البيوت الإسلامية التي يحبها الله ورسوله ﷺ في أشد الحاجة ـ خاصة في هذا الواقع الأليم الذي غلبت فيه المادة على القلوب ـ إلى هذا الخلق العظيم الجليل الذي هو حبة من حبات لؤلؤ منتظمة في عقد الأخلاق الإسلامية الكريمة مجتمعة مع الصدق والأمانة، وهذه الأخلاق إنما هي جزء من نظام الإسلام، بل هي واسطة عِقد الإيمان، فإذا انفرط هذا العقد انفرطت معه جميع حبات هذا العقد وتساقطت واحدة تلو الأخرى.

والوفاء: هو إتمام الإنسان لما أخذه على نفسه من عهد والتزامه به.

والمؤمن يقوم به من منطلق الإيمان بالله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ فيلتزم العبد بما يلتزم به طاعة لله ورسوله ﷺ وإيفاء بعهد الله عز وجل قبل كل شيء.

أنواع الوفاء:

قد يكون وفاء بالعهد الذي عاهد غيره عليه، وقد يكون وفاء بالوعد الذي وعد به، وقد يكون وفاء بالعقد الذي تعاقد عليه كما في المعاملات المختلفة.

والوفاء بالعهد يكون مع الله، ومع الناس، والوفاء بالعهد مع الله عز وجل

يتضمن أمرين:

١ـ عبادة الله وحده لا شريك له.

٢ـ عدم الإشراك بالله عز وجل.

وهو أعظم أنواع الوفاء بالعهد. وقد مدح الله عز وجل الموفين بالعهود فقال: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ﴾ [الرعد:٢٠].

والوفاء بعهود الناس لابد أن يكون ذلك في الخير والمعروف وما فيه طاعة لله ورسوله ﷺ أما ما فيه شر ومعصية ومنكر أو فيما يبغضه الله عز وجل فلا وفاء فيه.

وللأسف تغير مفهوم ومعنى الوفاء عند كثير من الناس وفي كثير من البيوت الإسلامية التي تدعي محبة الله ورسوله ﷺ.

إن الوفاء بالوعد علامة من علامات الإيمان، كما أن إخلاف الوعد علامة من علامات النفاق كما أخبر النبي ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق، حتى يدعها: إذا حدث كذب. وإذا عاهد غدر. وإذا وعد أخلف. وإذا خاصم فجر**»(١).

والوفاء بالوعد سبب في دخول الجنة كما قال ﷺ: «**اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم. واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**»(٢).

فإن أفراد البيوت التي يحبها الله عز وجل ويحبها رسوله ﷺ أفراد

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨).

(٢) صحيح الجامع (١٠١٨).

متخلقون ومتصفون بهذا الخلق العظيم وهذه الصفة الجليلة، فالأب يفي بما وعد به أولاده وكذلك الأم وفية بما تعد به أولادها حتى لا يكون أحدهم كذابًا منافقًا فقال ﷺ عندما قالت امرأة لطفلها تعال أعطيك كذا وكذا، فقال: «أما إنك لو لم تعطه شيئًا كُتبت عليك كذبة»(١).

وكذلك الزوج يفي بما وعد به زوجته في عقد زواجهما أو على لسانه مجردًا، لأنه أن ذلك من الإيمان، وكذلك الزوجة وفية لزوجها خير الوفاء.

فإذا كان الأصل هكذا، فلابد للثمرة وهم الأولاد أن يكونوا كذلك مثل آبائهم وأمهاتهم في وفائهم بالعهد فيما بينهم وبين الله، ووفائهم بالعهد فيما بينهم وبين الناس.

فما أحوج البيوت إلى التخلق بهذا الخلق! الذي يزرع فيها طاعة الله ورسوله ﷺ، وحب الله ورسوله ﷺ، وينشر بين الناس المودة والمحبة، ويؤدي إلى العناية والاهتمام عند العبد المسلم.

* * *

---

(١) «صحيح سنن أبي داود» (٤٩٩١).

بيوت
متأدبة بآداب النبوة

إن البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ لابد أن تتأدب بآداب الإسلام في كل صغيرة وكبيرة، ومع الصغير والكبير، حتى لا تكون كاذبة في محبتها لله ورسوله ﷺ.

فالإسلام الحنيف يريد من هذه البيوت المسلمة أن تكون بيوتًا على أعلى درجة في الخلق والأدب والطاعة والعبادة، أن تكون مثلًا وقدوة لغيرها، أن تكون سببًا لهداية الآخرين ونورًا يضيء لهم الطريق ويوضح لهم الأمور، ولا يكون ذلك إلا بالعمل والتطبيق لهذه الآداب وتلك الأخلاق الكريمة.

الأدب
مع الوالدين الكريمين

من أهم الآداب التي تقوم عليها البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة الأدب مع الوالدين، كما أمر الله ورسوله ﷺ.

وهذه بعض الآداب:

١ـ برهما والإحسان إليهما وطاعتهما في غير معصية:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ الإسراء: ٢٣.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ

وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ البقرة: ٨٣.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ النساء: ٣٦.

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ الأنعام: ١٥١.

٢ـ توقيرهما واحترامهما والتواضع لهما:

قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾.

٣ـ مخاطبتهما بلطف وأدب وعدم زجرهما:

قال تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

٤ـ الصلاة عليهما والدعاء والاستغفار لهما بعد موتهما:

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾.

٥ـ إنفاذ عهدهما.

٦ـ إكرام صديقهما.

٧ـ صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما.

* * *

آداب
الطعام والشراب

١ـ التسمية في أوله، والحمد في آخره.

قال ﷺ: «**يا غلام سمِّ الله وكُلْ بيمينك وكُلْ مما يليك**».

رواه البخاري ومسلم[١].

وعن أبي أُمامةَ أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قال: «**الْحَمْدُ لله كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلاَ مُوَدَّعٍ وَلاَ مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا**».

رواه البخاري[٢].

٢ـ عدم عيب الطعام واستحباب مدحه.

لحديث: **ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه.**

متفق عليه[٣].

٣ـ أن يأكل المسلم بيمينه ومما يليه.

لقوله ﷺ: «**يا غلام سمِّ الله وكُلْ بيمينك وكُلْ مما يليك**».

رواه البخاري ومسلم[٤].

٤ـ ألا يأكل متكئًا.

قال ﷺ: «**لا آكل متكئًا**»[٥].

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٣٦٧) و«صحيح مسلم» (٢٠٢٢).
(٢) «صحيح البخاري» (٥٤٥٨).
(٣) «صحيح البخاري» (٣٥٦٣) و«صحيح مسلم» (٢٠٦٤).
(٤) «صحيح البخاري» (٥٣٦٧) و«صحيح مسلم» (٢٠٢٢).
(٥) «صحيح البخاري» (٥٣٩٨).

٥ـ استحباب لعق الأصابع، واستحباب لعق القصعة، وأخذ اللقمة التي تسقط، وأكلها بعد مسحها.

قال ﷺ: «**إذا أكل أحدكم طعامًا، فلا يمسح أصابعه، حتى يَلعقها أو يُلعقها**»(١).

وأمر ﷺ بلعق الأصابع والصفحة(٢).

وقال ﷺ: «**إذا سقطت لقمة أحدكم، فليأخذها، وليمط عنها الأذى، وليأكلها، ولا يدعها للشيطان**»(٣).

٦ـ استحباب التنفس ثلاثًا خارج الإناء عند الشراب، وكراهة التنفس في الإناء.

فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الشراب ثلاثًا.

متفق عليه(٤).

وعن أبي قتادة: نهى ﷺ أن يتنفس في الإناء.

متفق عليه(٥).

٧ـ كراهة النفخ في الشراب.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: نهى ﷺ أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه.

رواه أبو داود(٦).

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٤٥٦).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٠٣٣).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٠٣٣).

(٤) «صحيح البخاري» (٥٦٣١) و«صحيح مسلم» (٢٠٢٨)

(٥) «صحيح البخاري» (١٥٣) و«صحيح مسلم» (٢٦٧).

(٦) «سنن أبي داود» (٣٧٢٨) و«صحيح الترغيب والترهيب» (٢١١٧).

٨ـ كراهة الشراب قائمًا.

قال ﷺ: «**لا يشربن أحد منكم قائمًا..**».

رواه مسلم(١).

٩ـ النهي عن الأكل والشرب في آنية من الذهب والفضة.

قال ﷺ: «**من شرب في إناء من ذهب أو فضة، فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم**».

رواه البخاري ومسلم(٢).

١٠ـ كراهة امتلاء المعدة في الأكل والشرب.

قال ﷺ: «**ما ملأ آدمي وعاء شرًّا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن بها صلبه، فإن كان لابد فاعلًا، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**»(٣).

* * *

آداب السلام

ومن هذه الآداب أدب السلام الذي هو اسم من أسماء الله عز وجل، والذي هو تحية أهل الجنة في الجنة، وتحية الملائكة لأهل الجنة.

فهذه البيوت تلتزم بهذا الأدب داخل البيت وخارجه مع الآباء والأمهات ومع البنين والبنات وغيرهم في الصباح والمساء وفي كل وقت، عند اللقاء وعند الفراق، لا يعلمون تحية غير تحية الإسلام وهي: «السلام عليكم ورحمة

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٠٢٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٥٦٣٤) و«صحيح مسلم» (٢٠٦٥).

(٣) «سنن الترمذي» (٢٣٨٠) «السلسلة الصحيحة» (٢٢٦٥).

الله وبركاته» ففيها السلام والأمن وفيها البركة على أهل البيت وفيها الأجر والثواب، وفيها الاقتداء برسول الله ﷺ، وفيها الاعتزاز بالشخصية المسلمة والاستقلال.

ولكن للأسف كثير من البيوت المسلمة لا يعرفون لهذه التحية فضلًا وبالتالي لا ينشرونها بينهم فيحرمون الخير والبركة، فنجد كثيرًا من هذه البيوت ينشرون تحية الكافرين والفاسقين، تحية ما أنزل الله بها من سلطان ولقد نهى النبي ﷺ عن التشبه بالكافرين والمشركين ممن هم على غير دين الإسلام في القول والعمل والاعتقاد، فنجد تحيات لا تمت للإسلام بصلة ولا أجر ولا ثواب من ورائها مثل: صباح الخير، مساء الخير، نهارك سعيد، بنسوار، بنجور، وغيرها من التحيات التي لا علاقة لها بالإسلام ولا بالمسلمين.

ولكن لتعلم هذه البيوت أن تحية المسلمين في كل وقت وحين وفي كل زمان ومكان هي تحية واحدة: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» وبكل كلمة منها عشر حسنات، ولهذه التحية آداب ومتطلبات نبينها باختصار وهي:

١ـ إلقاء السلام على من يعرف ومن لم يعرف.

قال ﷺ لما سئل: أي الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام، وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**».

متفق عليه(١).

٢ـ رد التحية بمثلها أو بأحسن منها.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا** ﴾ النساء: ٨٦.

---

(١) «صحيح البخاري» (١٢) و«صحيح مسلم» (٣٩).

٣ـ إلقاء تحية الإسلام وعدم التشبه بالكافرين.

- وهي: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

٤ـ السلام على أهل البيت.

قال ﷺ: **إذا دخلت على أهلك، فسلِّم يكن بركة عليك، وعلى أهل بيتك**. أخرجه الترمذي[1].

٥ ـ عدم بدء المشركين والكافرين بالسلام.

قال ﷺ: «**لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام**» رواه مسلم[2].

* * *

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٩٨) وصحيح الترغيب والترهيب (١٠٦٨).
(٢) صحيح مسلم (٢١٦٧).

آداب الاستئذان

إن هذه البيوت المسلمة التي يحبها الله ورسوله، بيوت قائمة بآداب الاستئذان، وتُعلِّم هذا الأدب للأبناء الصغار ليتربوا عليه، فهي تقوم به ابتغاء وجه الله عز وجل وتنفيذًا لأمره تعالى واقتداء برسوله ﷺ.

فتجد الزوج مع زوجته ومع أولاده يرفعون قدْر هذا الأدب بينهم داخل البيت ومع غيرهم خارج البيت، وهذه هي آداب الاستئذان:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ النور: ٢٧-٢٩.

فتوضح هذه الآية الكريمة آداب الاستئذان العام والخاص عند وجود أهل البيت وعند عدم وجودهم.

وقال ﷺ: «**إنما جعل الاستئذان من أجل البصر**»(١).

وقال: «الاستئذان ثلاثًا و إلا فارجع»(٢).

ومن آدابه:

---

(١) خرجه البخاري (٦٢٤١) ومسلم (٢١٥٦).

(٢) خرجه مسلم (٢١٥٤).

١ـ أن يسلم ثم يستأذن:

لحديث: أن رجلًا استئذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أألج؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه: «**اخرج إلى هذا، فعلِّمه الاستئذان، فقل له قل: السلام عليكم أأدخل؟**» فسمعه الرجل. فقال: السلام عليكم أأدخل، فأذن له النبي ﷺ فدخل(١).

٢ـ أن يعلن عن اسمه أو صفته أو كنيته.

ففي حديث الإسراء قوله ﷺ: «**ثم صعد جبريل إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد..**» متفق عليه.

وحديث جابر رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فدقت الباب فقال: «من ذا؟» فقلت: أنا، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أنا أنا**» كأنه كرهها(٢).

٣ـ أن يستأذن ثلاثًا.

لقوله ﷺ: «**الاستئذان ثلاثًا فإن أذن لك و إلا فارجع**».

٤ـ أن يتحول عن الباب عند الاستئذان.

لما روى أبو داود: كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول: السلام عليكم، السلام عليكم(٣).

٥ ـ أن يرجع إذا قال له رب المنزل: ارجع.

لقوله تعالى: ﴿ **وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا**

---

(١) خرجه أحمد في «مسنده» وهو في «السلسلة الصحيحة» (٨١٨).

(٢) خرجه البخاري (٦٢٥٠).

(٣) «سنن أبي داود» (٥١٨٦) وصححه الشيخ الألباني.

تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ النور: ٢٨.

ولقوله ﷺ: «**فإن أذن لك و إلا فارجع**» وتقدم.

❋ ❋ ❋

آداب المجلس

وهذه البيوت متأدبة حتى بآداب المجلس، فالأدب في الإسلام أدب في القول وأدب في الفعل، أدب في السير، أدب في الجلوس، أدب مع الكبير ومع الصغير، مع القريب والغريب، بل مع العدو والصديق.

وهذه هي آداب المجلس:

١ـ أن يصافح من يلتقي بهم في المجلس.

لما رواه أبو داود: قوله ﷺ: «**أيما مسلمين التقيا فأخذ أحدهما بيد صاحبه فتصافحا وحمدا الله تعالى جميعًا تفرقا وليس بينهما خطيئة**»(١).

٢ـ أن يجلس في المكان الذي يخصصه له رب المنزل، فرب البيت أدرى بالذي فيه.

٣ـ أن يجلس في محاذاة الناس لا في وسطهم:

لقول حذيفة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ لعن من جلس في وسط الحَلْقة(٢).

وهذا محمول إن كان في المجلس سعة و إلا فلا حرج للاضطرار.

٤ـ ألا يجلس بين اثنين إلا بإذنهما:

---

(١) «صحيح الجامع» (٢٧٤١).

(٢) خرجه أبو داود (٤٨٢٦).

حديث: «لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما»[1].

٥ـ أن يقرأ دعاء كفارة المجلس:

وهو: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك»[2].

٦ـ أن يذكر الله ويصلي على رسوله ﷺ:

حديث: «ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»[3].

٨ـ حفظ اللسان من الغيبة والكذب والفحش في المجلس.

***

آداب الحديث

إن البيوت المسلمة متميزة حتى في قولها كما أنها متميزة في عملها وخلقها واعتقادها، بل وفي تفكيرها وشعورها.

ومن الآداب العظيمة الجليلة التي قد يغفل عنها كثير من البيوت الإسلامية الأدب في الحديث، فالبيوت المسلمة معروفة بحديثها وكلامها، فهي تعلم قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق: ١٨، وقوله: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ الانفطار: ١١-١٢ وقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ الإسراء: ٣٦، فتجد أفراد

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٤٨٤٥).

(٢) صحيح سنن الترمذي (٣٤٣٣).

(٣) صحيح سنن الترمذي (٣٣٨٠).

البيت المسلم يقتدون برسولهم ﷺ في حديثهم فيما بينهم وفي حديثهم مع الآخرين.

وها هي آداب الحديث:

١ـ التكلم باللغة العربية الفصحى.

لأنها لغة القرآن ولغة نبينا ﷺ ولغة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من بعده ولغة من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كما جاء: ما الجمال في الرجل؟ قال: فصاحة لسانه.

٢ـ التمهل بالكلام أثناء الحديث:

لحديث: ما كان رسول الله ﷺ يسرد الحديث كسردكم هذا، يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه[1].

ولقول عائشة رضي الله عنها: كان كلامه فصلًا يفهمه كل من سمعه[2].

٣ـ النهي عن التكلف في الفصاحة:

لحديث: **«إن الله عز وجل يبغض البليغ من الرجال: الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها»**[3].

٤ـ المخاطبة على قدر الفهم:

لقول علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون[4].

٥ـ الإصغاء التام إلى المتحدث:

كما كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم حينما يحدثهم النبي ﷺ بحديث

(١) خرجه البخاري (٣٥٦٨) ومسلم (٢٤٩٣).
(٢) «صحيح الجامع» (٤٨٢٦).
(٣) «صحيح سنن أبي داود» (٥٠٠٥).
(٤) خرجه البخاري (١٢٧).

كأن على رؤوسهم الطير.

٦ـ مباسطة الجلساء أثناء التحدث وبعده.

٧ـ إقبال المتحدث على الجلساء جميعًا.

* * *

بيوت لا تعصي الله حتى في مزاحها

إن البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ تراعي طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ في المباحات ومنها المزاح، فهي تعلم أنها لم تخلق للهو واللعب، ولكن ما خلقت إلا للعبادة، ولكن هذا لا يمنعها من الفسحة والترويحة ولكن في حدود المباح والحلال وعدم المخالفة والمعصية في مزاحها، فلا تغتاب، ولا تكذب، ولا تقول زورًا وبهتانًا.

فلابد لهذه البيوت من ترويحة وفسحة بين الأب والأم وأولادهما بشرط ألا تضيع حقًّا أو فرضًا، وألا تجر إلى معصية ومخالفة شرعية.

وهذه هي آداب المزاح

١ـ عدم الإكثار منه والإفراط فيه:

لأن الإكثار منه والإفراط فيه يخرج المسلم عن هيبته ومهمته الأصلية ألا وهي عبادة الله وحده لا شريك له، فكان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يترامون بالبطيخ فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال.

وفي الإكثار منه إماتة للقلب، وتوريث للعداوة، وتجريء للصغير على الكبير، وقال عمر رضي الله عنه: من كثر ضحكه قلّت هيبته، ومن مزح استُخف به.

٢ـ عدم الأذى فيه والإساءة لأحد:

فهو مندوب إليه بين الأهل والأقرباء والإخوان والأصدقاء بشرط ألا يكون فيه أذى لأحد أو استخفاف بمخلوق أو حزن للغير.

٣ـ تجنب الكذب وقول الزور.

قال ﷺ: «**ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ويل له ويل له**»[(١)].

❋ ❋ ❋

آداب التهنئة

إن تهنئة المسلم وملاطفته وإدخال السرور عليه من القربات التي يحبها الله ورسوله ﷺ ومن موجبات المغفرة، والطريق إلى الجنة.

وإن البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ بيوت ملتزمة بالإسلام والإيمان، بالآداب في السراء والضراء، في الفرح والحزن، في المنشط والمكره، في اليسر والعسر، في الصحة والمرض، في الغنى والفقر، وليست كبعض البيوت التي لا تعرف الله إلا في السعة واليسر والغنى فقط، فهي كما قال الله تعالى: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ** ﴾ [الحج: ١٢].

ولكن هذه البيوت المسلمة المحبة لله ورسوله ويحبها الله ورسوله تلتزم

(١) «صحيح سنن أبي داود» (٤٩٩٠).

بالآداب حتى في الفرح والسرور ولا تفكر في معصية الله ومخالفة رسوله ﷺ كبعض البيوت التي عند الفرح والسرور يحبون لأنفسهم المعاصي والذنوب بدعوى: ليلة العمر، عاوزين نفرح، ساعة لقلبك وساعة لربك وغير ذلك من الأقاويل التي أوحاها إليهم الشيطان، ولكن البيوت المسلمة ليست كذلك فهي تفرح بضوابط الشرع، وفي الحزن منضبطة بضوابط الشرع، فهي تلتزم بآداب التهنئة وهي كالتالي:

١ـ إظهار الفرح والاهتمام:

لما جاء في قصة توبة كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه وفيه قال: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال ـ وهو يبرق وجهه من السرور ـ: «**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**»[(١)].

٢ـ التلفظ في المناسبة بعبارات لطيفة وأدعية مأثورة منها:

أ ـ تهنئة من ولد له مولود:

يستحب أن يقال: «بورك لك في الموهوب وشكرت الواهب، ورزقت بره وبلغ أشده».

ب ـ تهنئة من قدم من سفر:

يستحب أن يقال: الحمد لله الذي سلمك وجمع الشمل بك وأكرمك.

جـ ـ تهنئة من قدم من الحج:

يستحب أن يقال: «**قبل الله حجك وغفر ذنبك وأخلف نفقتك**»[(٢)].

د ـ تهنئة عقد النكاح:

---

(١) خرجه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٥٤٨).

يستحب أن يقال للزوجين: «بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير»[(١)].

هـ ـ التهنئة بالعيد:

يستحب أن يقال: تقبل الله منا ومنك.

و ـ تهنئة من صنع إليه معروفًا:

يستحب أن يقال: جزاك الله خيرًا، كما رواه الترمذي.

٣ـ تستحب المهاداة مع التهنئة:

لحديث: «**تهادوا تحابوا**»[(٢)].

***

آداب عيادة المريض

إن الارتباط بين أفراد المجتمع المسلم ونشر المودة والمحبة والتعاون على البر والتقوى، والمواساة والتخفيف، أهداف يرنو إليها الإسلام في تشريعاته وأحكامه وأوامره ونواهيه، ومن أهم هذه الأهداف ربط المسلم بربه، ثم ربطه بإخوانه سواء من القرابة أو النسب أو إخوانه في الدين، ومن دواعي هذه الروابط ومن وسائلها: العناية بالأخ المسلم وقت الشدة ووقت الابتلاء والمصيبة، ولا أشد وأعظم على المسلم من المرض، فهو مع المرض ضعيف ذليل فقير محتاج إلى المال والمساعدة والتخفيف أو إلى المساعدة والتخفيف إن كان غنيًّا، وعلى العموم فهو محتاج إلى التذكير بالله وحسن الظن به، وتصبيره

---

(١) رواه أبو داود (٢١٣٠) والترمذي (١٠٩١) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) «صحيح الجامع» (٣٠٠٤).

وتذكيره بالأجر والثواب ولقد بين لنا النبي ﷺ آداب عيادة المريض وهي:

آداب عيادة المريض:

١ـ المسارعة إلى عيادته:

لقوله ﷺ: «**إذا مرض فعده**»[(١)].

٢ـ تخفيف العيادة أو إطالتها على حسب المريض.

لحديث: «**زر غبًّا تزدد حبًّا**»[(٢)].

فإذا كان في حالة خطيرة فينبغي أن تكون خفيفة للغاية، وإذا كان في حالة مرضية يستأنس بالذين يجلسون معه ويتحدثون معه فلا بأس بالإطالة.

٣ـ الدعاء له عند الدخول عليه:

لحديث: أنه ﷺ كان يعود أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: «**اللهم رب الناس أذهب البأس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا**»[(٣)].

٤ـ استحباب تطييب نفسه بالشفاء والعمر الطويل:

٥ ـ استحباب القعود عند رأس المريض:

لحديث: كان ﷺ إذا عاد المريض جلس عند رأسه ثم قال سبع مرات: «**أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك**»[(٤)].

٦ـ استحباب طلب العوادِ الدعاءَ من المريض.

٧ـ تذكيره بلا إله إلا الله إن كان في حال الاحتضار:

---

(١) خرجه مسلم (٢١٦٢).

(٢) «صحيح الجامع» (٣٥٦٨).

(٣) خرجه البخاري (٥٧٤٣).

(٤) «صحيح الجامع» (٦٣٨٨).

لحديث: «لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله»(١).

ولا ننس حق المريض غير المسلم إن كان جارًا فله حق الجيرة، ومنها عيادة ودعوته إلى الإسلام، وإنقاذه من جحيم النيران، دون أن يكون في قلب المسلم للكافر أدنى محبة أو ودٍّ، كما فعل ذلك خير الأنام ﷺ عندما زار جاره المريض وكان غلامًا، فقال له: «قل لا إله إلا الله» فنظر الغلام إلى والده، فقال والده: أجب أبا القاسم، وكما زار النبي ﷺ عمه أبا طالب ودعاه إلى الإسلام.

***

آداب التعزية

إن البيوت المسلمة التي يحبها الله ورسوله ﷺ بيوت متماسكة مترابطة متحدة متعاونة في السراء والضراء، في الصحة والمرض، في الحياة وعند موت البعض منهم ولا يكون هذا إلا على وفق الشرع والدين على هدي رسول الله ﷺ ولا تجرؤ هذه البيوت على المخالفة خاصة عند مصيبة الموت، فكفى بالموت واعظًا فهذه البيوت تطبق هدي النبي ﷺ في تعزية المصاب بموت قريبه أو حبيبه، ولا تسمح بمخالفة ولا بمن يخالف في هذا المقام، ولقد علمنا النبي ﷺ الآداب عند التعزية وهي كالتالي:

آداب التعزية:

والتعزية: تصبير أهل الميت بكلمات لطيفة أو بعبارات مأثورة تسلي المصاب وتخفف حزنه، وتهون عليه المصيبة، وهي مستحبة.

---

(١) خرجه مسلم (٩١٦).

ومن آدابها:

١ـ التلفظ بالمأثور أو ما في معناه ما لم يكن مخالفًا للشرع:

لحديث: أرسلت إحدى بنات النبي ﷺ إليه تدعوه وتخبره أن صبيًّا لها في الموت، فقال لمن أرسلته: «**ارجع إليها فأخبرها: أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى**»[(١)].

٢ـ استحباب صنع الطعام لأهل الميت:

لحديث: «**اصنعوا لآل جعفر طعامًا**»[(٢)].

٣ـ إظهار التأسي لمن يواسيهم ويعزيهم:

فالترحم على الميت والدعاء له، وإظهار الحزن عليه، وتعدد مآثره من أفضل ما يعزي به أهل الميت.

٤ـ النصح بالمعروف عند رؤية المنكر:

وذلك إذا فوجئ المعزي بوجود بدع ومنكرات في مكان التعزية.

❊ ❊ ❊

آداب العطاس

١ـ التقيد بالألفاظ الواردة في السنة عند العطاس والتشميت وهي كما في حديث: «**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله فإذا قال له يرحمك الله فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم**»[(٣)].

---

(١) خرجه مسلم (٩٢٣).

(٢) «صحيح سنن أبي داود» (٣١٣٢).

(٣) خرجه البخاري (٦٢٢٤).

وفي رواية: «**يغفر الله لنا ولكم**»(١).

٣ـ لا يشمت العاطس إذا لم يحمد الله:

لحديث: «**إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، فإذا لم يحمد الله فلا تشمتوه**»(٢).

٣ـ وضع اليد أو المنديل على الفم والتخفيض من الصوت ما أمكن:

لحديث: كان ﷺ إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فمه وخفض بها صوته(٣).

٤ـ التشميت إلى ثلاث مرات:

لحديث:«**إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه، وإذا زاد عن ثلاثة فهو مزكوم، ولا يشمت بعد ثلاث**».

«صحيح سنن ابن ماجه» (٣٧١٤).

٥ ـ تشميت غير المسلم بيهديكم الله:

لحديث: كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله ﷺ يرجون أن يقول لهم: يرحمكم الله فيقول: «**يهديكم الله ويصلح بالكم**»(٤).

***

(١) «صحيح الجامع» (٦٨٦).

(٢) خرجه مسلم (٢٩٩٢).

(٣) «صحيح الجامع» (٥٠٢٩).

(٤) خرجه الترمذي (٢٧٣٩).

آداب التثاؤب

١ـ رده ما استطاع:

لحديث: «**فإذا تثاءب أحدكم، فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان**»(١).

٢ـ وضع اليد على الفم إذا ملكه التثاؤب ولم يستطع رده:

لحديث: «**إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه فإن الشيطان يدخل**»(٢).

٣ـ يكره رفع الصوت عند التثاؤب:

لحديث: «**إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فإذا تثاءب أحدكم فلا يقل: هاه هاه، فإن ذلك من الشيطان يضحك منه**»(٣).

* * *

آداب اللباس

لم يترك دين الإسلام صغيرة ولا كبيرة في حياة البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ إلا وبين خيرها فأمر به، وبين شرها فنهى عنه، وحذر منه، فإن هذه البيوت المسلمة تعيش بالإسلام عبادة لله عز وجل: خلقًا وآدابًا ومعاملة، فالملبس عادة ولكنه في حياة هذه البيوت التي تعيش لله وبالله يتحول إلى طاعة لله عز وجل يكتب الله به أجرًا وثوابًا، وذلك بالالتزام بآداب الملبس والاقتداء

---

(١) خرجه البخاري (٣٢٨٩).

(٢) خرجه البخاري (٧٦٨٢).

(٣) «صحيح سنن أبي داود» (٥٠٢٨).

في ذلك برسول الله ﷺ، وهذه بعض هذه الآداب:

١ـ استحباب الثوب الأبيض وجواز غيره ما لم يكن محرمًا أو منهيًّا عنه شرعًا:

لحديث: «**البَسُوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم**»[١].

٢ـ استحباب القميص:

لحديث: «كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ: القميص»[٢].

٣ـ النهي عن جر الثوب خيلاء:

لحديث: «**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»[٣].

٤ـ النهي عن الإسبال:

لحديث: «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**»[٤].

وحديث: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ـ وذكر منهم ـ المسبل**»[٥].

٥ ـ تحريم لبس الحرير والجلوس عليه للرجال:

لحديث: نهانا ﷺ أن نشرب في آنية من الذهب والفضة وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج، وأن نجلس عليه[٦].

---

(١) «صحيح سنن الترمذي» (٩٩٤).
(٢) خرجه الترمذي (١٧٦٢).
(٣) خرجه البخاري (٣٦٦٥) ومسلم (٢٠٨٥).
(٤) خرجه البخاري (٥٧٨٧).
(٥) خرجه مسلم (١٠٦).
(٦) خرجه البخاري (٥٨٣٧).

لكن يجوز لبسه لمن به حكة، لما جاء أنه ﷺ رخص للزبير وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما في لبس الحرير لحكة كانت بهما.

٦ـ أن يذكر الله عند لبس الثوب الجديد بما جاء عنه ﷺ: «**اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له**»(١).

٧ـ استحباب الابتداء باليمين:

فقد كان ﷺ يحب التيامن في كل شيء ـ أي فيه خير وبركة.

* * *

آداب الزيارة

الزيارات بين أفراد البيوت الإسلامية لها دور عظيم جليل، إما في التذكرة والنصح والإرشاد والتوجيه، وإما في الدعوة وإنكار المنكر والأمر بالمعروف، وإما للبيان والتوضيح، وإما في التأليف والترابط والتعارف ولكن لا يكون ذلك إلا بالالتزام بآداب الشرع في هذه الزيارات كما بينها النبي ﷺ وهي كالتالي:

١ـ الاستئذان ثلاثًا:

لقوله ﷺ: «**الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك و إلا فارجع**»(٢).

٢ـ إلقاء السلام على أهل البيت:

لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ النور: ٢٧.

---

(١) «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٢٠).

(٢) خرجه مسلم (٢١٥٣).

٣ـ عدم الوقوف في مواجهة الباب:

لما ورد أنه ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبله من تلقاء وجهه [(١)].

٤ـ أن يكون هناك فاصل بين مرات الاستئذان، حتى يحصل الإعلام لأهل البيت ثم التهيؤ والاستعداد، ثم الإذن بالدخول أو عدمه.

٥ ـ ذكر الاسم أو ما يعرف به الطارق:

لحديث الإسراء قوله ﷺ: «**صعد بي جبريل إلى السماء فاستفتح، فقيل من؟ قال: جبريل: قيل: ومن معك؟ قال: محمد..**»[(٢)].

٦ـ مراعاة موعد ووقت الزيارة:

ويعد ذلك من الاستئذان، وحتى لا يأتي في وقت يكرهه.

٧ـ تحديد الهدف من الزيارة:

ويكون هذا الهدف موافقًا للشرع لقوله تعالى: ﴿**لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ**﴾ النساء: ١١٤.

٨ ـ حسن الاستقبال والبشاشة وإظهار المودة:

لقوله ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق**»[(٣)].

٩- التأدب بآداب المجلس في الزيارة:

ومنها: عدم الغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش، وغير ذلك مما حرم الله، ومنها الاستغفار، والدعاء عند القيام من المجلس.

***

(١) «صحيح سنن أبي داود» (٥١٨٦).

(٢) خرجه البخاري (٣٤٣٠) ومسلم (١٦٢).

(٣) خرجه مسلم (٢٦٢٦).

آداب الضيافة

الضيافة علامة على الجود والكرم، علامة على الفضل والنفقة والصدقة، ولها دور أيضًا في التأليف والدعوة إلى الله عز وجل والبيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ تزيد هذه الضيافة على جودها وكرمها تزيدها أدبًا بآداب الإسلام، لا يعرف إلا في البيوت المسلمة ولا يعرف إلا من رسول الإسلام ﷺ لا من الشرق ولا من الغرب، لا من الكافرين والمشركين ولا من غيرهم، وهذه الآداب هي:

أولًا: الدعوة إليها:

١ـ أن يدعو الأتقياء الصالحين.

٢ـ ألا يخص الأغنياء دون الفقراء.

٣ـ ألا يقصد بها التفاخر والمباهاة.

٤ـ ألا يدعو من يشق عليه الحضور.

ثانيًا: آداب الإجابة:

١ـ ألا يطيل الانتظار عليهم فيقلقهم وألا يعجل المجيء ويفاجئهم قبل الاستعداد لما في ذلك من أذيتهم.

٢ـ إذ دخل المجلس فلا يتصدره، ويجلس حيث أشار عليه صاحب البيت.

* * *

آداب النوم

النوم آية من آيات الله، ونعمة من نعم الله عز وجل، وبرهان ودليل على قدرة الله عز وجل على الإماتة والإحياء، والنوم تذكرة بالموت والفراق الأبدي في الدنيا، فهو آية ونعمة وعظة وتذكرة ودليل وبرهان، ولا يأتي بهذه الفوائد إلا إذا كان في ظل الإسلام.

والبيوت المسلمة التي يحبها الله ورسوله ﷺ تقتدي برسول الله ﷺ حتى عند نومها كما تقتدي به في يقظتها، فلقد سنَّ لنا النبي ﷺ آدابًا عند النوم ، ومنها:

١ـ الوضوء:

لحديث: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن..**»(١).

٢ـ النوم على الشق الأيمن:

لحديث: «كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن»(٢).

٣ـ وضع اليمنى تحت خده الأيمن:

لحديث: كان إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده (٣).

وحديث: كان إذا أخذ مضجعه جعل يده اليمنى تحت خده الأيمن (٤).

---

(١) خرجه البخاري (٦٣١٥).
(٢) خرجه البخاري (٢٤٧) ومسلم (٢٧١٠).
(٣) خرجه البخاري (٦٣١٤).
(٤) «صحيح الجامع» (٤٦٤٧).

٤ـ الذكر الوارد عنه ﷺ:

وهو: «اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت»[1].

وغير ذلك من الأذكار.

٥ـ أن ينفض الفراش بداخلة إزاره:

لحديث: **«إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم ليضطجع على شقه الأيمن ثم ليقل: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه فإن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»**[2].

* * *

(١) خرجه البخاري (٦٣١١) ومسلم (٢٧١٠).

(٢) خرجه البخاري (٦٣٢٠).

بيوت قائمة على الحقوق

إن البيوت المسلمة التي يحبها الله ورسوله ﷺ بيوت تراعي حقوق العباد كما راعت حق خالق العباد عز وجل، والذي ينبغي التنبيه عليه ههنا: حق الوالدين، وحق الزوج والزوجة، وحقوق الجار. ومن أعظم هذه الحقوق وأولها وأعظمها فضلًا وأجرًا حق الوالدين، فليكن الحديث عنه أولًا:

حقوق الوالدين

فلقد قرن الله الإحسان بهما بعبادته وحده لا شريك له، فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ الإسراء: ٢٢ ـ ٢٤. وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ النساء: ٣٦.

وقرن شكرهما بشكره تبارك وتعالى فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ لقمان: ١٤.

فهذه البيوت المسلمة التي تبتغي رضا الله تعالى ومحبته: قائمة على الإحسان إلى الوالدين في حياتهما، وبعد موتهما، كما أمر ربنا تبارك وتعالى في

كتابه الحكيم، وكما علمنا النبي الكريم ﷺ في سنته الشريفة، وكما تعلمنا من سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم من إحسانهم لآبائهم وأمهاتهم، فلقد ضربوا لنا أروع الأمثلة، وقدموا لنا أفضل النماذج في برهما وطاعتهما.

ففي هذه الآيات يقضي الله قضاء شرعيًّا وحكمًا شرعيًّا إلهيًّا بعبادته وحده لا شريك له، وبعده أمر بالإحسان إلى الوالدين، ثم نهى عن أذيتهما بأقل شيء وهو التأفف.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟

قال: «**الصلاة على وقتها**».

قال: ثم أي؟

قال: «**ثم بر الوالدين**»[1].

ومن برهما: ألا يتعرض لسبهما، ولا يعقهما، فإن ذلك من الكبائر بلا خلاف.

ومن برهما والإحسان إليهما: ألا يجاهد إلا بإذنهما إذا لم يتعين الجهاد.

ومن برهما: مقابلتهما بالقول الطيب الكريم وأن لا ينهرهما، وأن يخفض لهما جناح الذل من الرحمة.

ومن الإحسان إليهما بعد موتهما: ما جاء في هذا الحديث: هل بقي عليَّ شيء لوالدي أبرهما به بعد موتهما فقال ﷺ: «**نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما**».

فمن أعظم ما تعمر به البيوت ويحبه الله ورسوله ﷺ بر الوالدين، وربنا تبارك وتعالى يقول: ﴿**هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ**﴾ الرحمن: ٦٠.

(١) «صحيح البخاري» (٥٢٧) و«صحيح مسلم» (٨٥).

الحقوق بين الزوجين

هذه الحقوق التي ليست مجرد وصايا ينفذها الزوجان بدافع الوجدان المحض، كالصدق والاحترام وغيرهما، أو السلوك الذي يعتمد على المميزات الشخصية، وإنما نعني بالحقوق الزوجية: ما يلزم به كل من الزوجين تجاه الآخر من حقوق كفلها له الشرع، ويحميها له الشرع:

قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة: ٢٢٨.

والبيوت القائمة على مراعاة هذه الحقوق من باب طاعة الله تعالى، وابتغاء مرضاته ومحبته وابتغاء النجاة من النار، والفوز بالجنة: لبيوت سعيدة هانئة، آمنة مطمئنة، صابرة ومثابرة، بيوت لا تتلاعب بها شياطين الإنس والجن، لأنها علمت أن هذه الحقوق فرضها الله رب العالمين، فقامت بها هذه البيوت طاعة لله رب العالمين، وطاعة لرسوله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ النساء: ٣٤، يعني أن الرجل هو القيم الذي له الأمر على المرأة، يدبرها، ويوجهها، ويأمرها فتُطيع، إلا إذا أمرها بمعصية الله فلا سمع له ولا طاعة، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق مهما كان هذا المخلوق.

وفي هذا دليل على سفه أولئك الكفار من الغربيين وغير الغربيين الذين صاروا أذنابًا للغرب يُقدسون المرأة أكثر من تقديس الرجل؛ لأنهم يتبعون أولئك الأراذل من الكفار الذين لم يعرفوا لصاحب الفضل فضله، فتجدهم مثلًا في مخاطبتهم يقدمون المرأة على الرجل فيقول أحدهم: «أيها السيدات والسادة» وتجد المرأة في المكان الأعلى عندهم والرجل دونها.

ولكن هذا ليس بغريب على قوم يُقدسون كلابهم، حتى إنهم يشترون الكلب بآلاف ويُخصصون له من الصابون وأدوات التطهير وغير ذلك ما يضحك السفهاء فضلًا عن العقلاء، مع أن الكلب عند بعض أهل العلم نجس العين لا يطهر أبدًا.

فالحاصل أن الرجال هم القوامون على النساء ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ وهذا وجه آخر للقوامة على النساء، وهو أن الرجل هو الذي يُنفق على المرأة، وهو المُطالب بذلك، وهو صاحب البيت، وليست المرأة هي التي تُنفق.

وهذا إشارة إلى أن أصحاب الكسب الذين يكسبون ويعملون هم الرجال، أما المرأة فصناعتها بيتها، تبقى في بيتها تصلح أحوال زوجها، وأحوال البيت، هذه وظيفتها، أما أن تُشارك الرجال بالكسب وطلب الرزق ثم بالتالي تكون هي المنفقة عليه، فهذا خلاف الفطرة وخلاف الشريعة، فالله تعالى يقول: ﴿ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ فصاحب الإنفاق هو الرجل.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه**».

رواه البخاري[1].

هذا من حقوق الزوج على زوجته، أنه لا يحل لها أن تصوم إلا بإذنه ما دام حاضرًا في البلد، أما إذا كان غائبًا فلها أن تصوم ما شاءت، لكن إذا كان في البلد فلا تصوم.

وظاهر الحديث أنها لا تصوم فرضًا ولا نفلًا إلا بإذنه، أما النفل فواضح أنها لا تصوم إلا بإذنه؛ لأن حق الزوج عليها واجب والنفل تطوع: لا تأثم

(١) «صحيح البخاري» (٥١٩٥).

بتركه، وحق الزوج تأثم بتركه، وذلك أن الزوج ربما يحتاج إلى أن يستمتع بها، فإذا كانت صائمة وأراد الاستمتاع بها صار في نفسه حرج، و إلا فله أن يستمتع بها ويُجامعها وهي صائمة صوم تطوع إذا لم يأذن فيه من قبل، ولو أفسد صومها، ولا إثم عليه، ولكن من المعلوم أنه سيكون في نفسه حرج، لهذا قال النبي ﷺ: «**لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه**»(١).

أما الصيام الفرض فإن كان قد بقي من السنة مدة أكثر مما يجب عليها، فلا يحل لها أن تصوم إلا بإذن زوجها إذا كان شاهدًا، يعني مثلًا لو كان عليها صيام عشرة أيام من رمضان، وهي الآن في رجب، وقالت: أريد أن أصوم القضاء، نقول: لا تصومي القضاء إلا بإذن الزوج؛ لأن معك سعةً من الوقت قبل رمضان الثاني.

فصوم المرأة فيه تفصيل: أما التطوع فلا يجوز إلا بإذن الزوج، وأما الفرض فإن كان الوقت متسعًا فإنه لا يجوز إلا بإذن الزوج، وإن كان لا يسع إلا مقدار ما عليها من الصوم، فإنه لا يُشترط إذن الزوج هذا إذا كان حاضرًا، أما إذا كان غائبًا فلها أن تصوم.

وهل مثل ذلك الصَّلاة؟ يُحتمل أن تكون الصلاة مثل الصوم، وأنها لا تتطوع في الصلاة إلا بإذنه، ويحتمل ألا تكون مثل الصَّوم لأن وقت الصلاة قصير بخلاف الصوم، الصوم كل النَّهار، والصلاة ليست كذلك، الصلاة ركعتان إذا كانت تطوعًا، والفريضة معروف أنه لا يُشترط إذنه.

والظاهر أن الصلاة ليست كالصوم فلها أن تُصلي ولو كان زوجها حاضرًا، إلا أن يمنعها فيقول: أنا محتاج إليك، فلا تُصلين الضحى مثلًا، أو لا تتهجدين الليلة.

---

(١) «صحيح البخاري» (٥١٩٥).

على أنه لا يجوز للزوج أن يحرم زوجته الخير، إلا إذا كان هناك حاجة بأن غلبت عليه الشهوة، ولا يتمكن من الصبر، و إلا فعليه أن يكون عونًا لها على طاعة الله، وعلى فعل الخير؛ لأنه يكون مأجورًا بذلك كما أنها مأجورة أيضًا على الخير.

وأما إدخال أحد بيته بغير إذنه فتحريمه ظاهر، فلا يجوز أن تُدخل أحدًا بيته إلا بإذنه، لكن الإذن في إدخال البيت نوعان:

الإذن الأول: إذن العرف يعني جرى به العرف مثل دخول امرأة الجيران، والقريبات، والصاحبات، والزميلات، وما أشبه ذلك، هذا جرى العرف به، وأن الزوج يأذن به، فلها أن تُدخل هؤلاء إلا إذا منع وقال: لا تدخل عليك فلانة، فهنا يجب المنع، ويجب ألا تدخل.

والإذن الثاني: إذن لفظي، بأن يقول لها: أدخلي من شئت ولا حرج عليك إلا مَن رأيت منه مضرة فلا تُدخليه، فيتقيد الأمر بإذنه.

وفي هذا دليل على أن الزوج يتحكم في بيته، فله أن يمنع حتى أم الزوجة إذا شاء أن يمنعها، وحتى أختها وخالتها وعمتها، لكنه لا يمنعها من هؤلاء إلا إذا كان هناك ضرر عليه وعلى بيته؛ لأن بعض الأمهات والعياذ بالله لا يكون فيها خير، تكون ضررًا على ابنتها وزوجها، فتأتي إلى ابنتها وتحقنها من العداوة والبغضاء ما يفسد بينها وبين الزوج، حتى تكره زوجها، ومثل هذه الأم لا ينبغي أن تُترك مع ابنتها لأنها تُفسدها على زوجها، فهي كالسحرة الذين يتعلمون ما يُفرقون به بين المرء وزوجه.

فهذه الأحاديث تدل على عظم حق الزوج على زوجته، وأن حق الزوج على زوجته عظيم، يجب عليها أن تقوم به، كما يجب عليه أن يقوم بحقها، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وهذه من

المساواة والعدل في الحقوق والواجبات التي تمتاز به شريعتنا الإسلامية.

* وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء**».

متفق عليه(١).

والمعنى أن النبي ﷺ يخبر أنه ما ترك فتنة أضر على الرجال من النساء، وذلك أن الناس كما قال الله تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ**﴾ [آل عمران:١٤].

كل هذا مما زين للناس في دنياهم، وصار سببًا لفتنتهم فيها، لكن أشدها فتنة النساء، ولهذا بدأ الله بها، فقال: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ**﴾.

وإخبار النبي ﷺ بذلك يريد به الحذر من فتنة النساء، وأن يكون الناس منها على حذر؛ لأن الإنسان بشر إذا عُرضت عليه الفتن فإنه يخشى عليه منها.

ويُستفاد منه سد كل طريق يُوجب الفتنة بالمرأة، فكل طريق يُوجب الفتنة بالمرأة فإن الواجب على المسلمين سده، ولذلك وجب على المرأة أن تحتجب عن الرجال الأجانب، فتغطي وجهها، وكذلك تُغطي يديها ورجليها عند كثير من أهل العلم، ويجب عليها كذلك أن تبتعد عن الاختلاط بالرجال؛ لأن الاختلاط بالرجال فتنة، وسبب للشر من الجانبين، من جانب الرجال ومن جانب النساء.

ولهذا قال النبي ﷺ: «**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير**

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٠٩٦) و«صحيح مسلم» (٢٧٤٠).

صفوف النساء آخرها وشرها أولها» [١] وما ذلك إلا من أجل بُعد المرأة عن الرجال، فكلما بعدت فهو خير وأفضل.

وقد كان النبي ﷺ يأمر النساء أن يخرجن إلى صلاة العيد، ولكنهن لا يختلطن بالرجال، بل يكون لهن موضع خاص، حتى إن النبي ﷺ كان إذا خطب الرجال وانتهى من خطبتهم، نزل فذهب إلى النساء فوعظهن وذكرهن، وهذا يدل على أن النساء كنّ في مكان منعزل عن الرجال.

وكان هذا والعصر عصر قوة في الدين وبُعد عن الفواحش، فكيف بعصرنا هذا؟

فإن الواجب توقي فتنة النساء بكل ما يُستطاع، ولا ينبغي أن يغرنا ما يدعو إليه أهل الشر والفساد من المقلدين للكفار، من الدعوة إلى اختلاط المرأة بالرجال، فإن ذلك من وحي الشيطان والعياذ بالله، هو الذي يُزين ذلك في قلوبهم، و إلا فلا شك أن الأمم التي كانت تقدم النساء وتجعلهن مع الرجال مختلطات، لا شك أنها اليوم في ويلات عظيمة من هذا الأمر، يتمنون الخلاص منه فلا يستطيعون.

ولكن مع الأسف فإن بعض الناس منا ومن أبنائنا ومن أبناء جلدتنا يدعون إلى التحلل من مكارم الأخلاق، وإلى جلب الفتن إلى بلادنا، عن طريق التوسع في خروج المرأة، واختلاطها بالرجال، ومحاولة توظيفهن مع الرجال جنبًا إلى جنب، نسأل الله تعالى أن يعصمنا والمسلمين من الشر والفتن إنه جواد كريم.

---

(١) رواه أبو داود (٦٧٨) وصححه الشيخ الألباني.

أولاً
حقوق الزوج على زوجته

١ـ طاعته بالمعروف في غير معصية لحديث: «**إنما الطاعة في المعروف**»[١].

وحديث: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[٢].

وحديث: «**السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية، فلا سمع عليه، ولا طاعة**»[٣].

٢ـ حفظه في نفسها وماله.

٣ـ لا تُدخل أحدًا في بيته إلا بإذنه لحديث: «**لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه**»[٤].

٤ـ ألا تصوم نفلًا إلا بإذنه للحديث السابق.

٥ ـ ألا تخرج من بيته بغير إذنه لمفهوم قوله ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**».

٦ـ تدبير المنزل وتهيئة أسباب المعيشة له.

٧ـ دوام الشكر والدعاء له، لحديث: «**لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه**»[٥].

٨ ـ أن تحفظ حواسه وشعوره، فلا تؤذيه بقول أو فعل.

---

(١) رواه البخاري (٧١٤٥).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (١/ ١٣١).

(٣) رواه الترمذي (١٧٠٧) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٤) رواه البخاري (٥١٩٥).

(٥) صححه الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٩).

٩ـ ألا تفشي سره، لا سيما ما كان بينهما من أمور المعاشرة، لحديث: «**إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر أحدهما سر صاحبه**»(١).

١٠ـ ألا تمنعه نفسها إذا أراد قضاء شهوته منها، إلا أن تكون صائمة صيامًا مفروضًا:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح**». متفق عليه(٢).

وفي رواية لهما: «**إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها، لعنتها الملائكة حتى تصبح**».

وفي رواية قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها، حتى يرضى عنها**».

ثانيًا
حقوق الزوجة على زوجها

إن الزوجة في هذه البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ ركن ركين فيها وأصل أصيل، فهي راعية فيها كما أن الزوج راع فيها، وكلٌّ حسب مسئوليته سيسأل يوم القيامة، ومن أجل دوام المودة والرحمة بين الزوجين وحتى يكون كل منهما لباسًا للآخر وحتى تتحقق السكينة ويطيب السكن والمسكن، وحتى

---

(١) رواه مسلم (١٤٣٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٢٣٧) و«صحيح مسلم» (١٤٣٦).

تثمر هذه البيوت الثمرة المؤمنة الصالحة التقية العابدة المجاهدة وهم الأولاد، قدم الشرع الحنيف حقوقًا يراعيها الزوج تجاه زوجته وأمره بها، من أجل توفير الأمن والاستقرار في هذه البيوت وليشعر كل فرد فيها بقدره وقيمته وأهميته في الحياة وفي الأسرة ليخلق فيه النشاط والحيوية وبالتالي الطاعة والعمل والإنتاج، والقيام بالمسئولية على أكمل وجه وأتم حال وهذه الحقوق هي:

١ـ المهر: قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةً﴾ النساء: ٤.

٢ـ النفقة: قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ البقرة: ٢٣٣.

٣ـ السكنى: وقال تعالى: ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾ الطلاق: ٦.

٤ـ المعاشرة بالمعروف: قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ النساء: ١٩.

٥ ـ رعايتها وحسن توجيهها، لقوله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله**».

٦ـ وقايتها من النار بتعليمها وتأديبها لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ التحريم: ٦.

٧ـ أن يغار عليها ويصونها.

٨ ـ وهذه بعض الحقوق مجملة في هذه الأحاديث:

قال ﷺ: «**ألا واستوصوا بالنساء خيرًا**»[١].

وقال: «**أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت..**»[٢].

---

(١) رواه البخاري (٥١٨٦).

(٢) «صحيح سنن أبي داود» (١٨٧٥).

وقال: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر**»(١).

٩- أن يفي لها بعهدها وحقها في المهر.

١٠ـ أن يعلمها أمور دينها ويحثَّها على الطاعة، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال: «**سبحان الله؟ ماذا أنزل الليلة من الفتن، وماذا فتح من الخزائن، أيقظوا صواحب الحُجَر فرُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**»(٢).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته، فإن أبَتْ نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلَّت، وأيقظت زوجها فصلَّى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**»(٣).

١١ـ أن يَغُضَّ الطرف عن بعض أخطائها ما لم يكن فيه إخلال بشرع الله:

وإلى هذا يرشد النبي ﷺ بقوله: «**لا يَفْرِك مؤمن مؤمنة، وإن كره منها خلقًا رضي منها آخر**»(٤).

١٢ـ أن لا يؤذيها بضربها في وجهها أو تقبيحها، فقد قال النبي ﷺ: «**ولا تضرب الوجه، ولا تقبح**»، وقال ﷺ: «**لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم**»(٥).

ولم يكن النبي ﷺ ضرَّابًا للنساء، فعن عائشة قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ ضرب خادمًا قط، ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئًا قط، إلا أن يجاهد في

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٩).
(٢) رواه البخاري (١١٢٦).
(٣) «صحيح سنن أبي داود» (١١٦٠).
(٤) رواه مسلم (١٤٦٩).
(٥) رواه البخاري (٤٩٤٢).

سبيل الله»[١].

* فائدة: ضرب الزوجة مشروع إذا نشزت وتركت طاعة زوجها على النحو الذي في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ النساء: ٣٤، والضرب في هذه الآية له ثلاثة ضوابط:

١ـ أن يكون بعد عدم جدوى الوعظ والهجر في الفراش.

٢ـ أن يكون ضرب تأديب غير مبرح، يكسر النفس ولا يكسر العظم.

٣ـ أن يرفع الضرب ويمنعه إذا امتثلت لطاعة زوجها.

٤ ـ أن لا يهجرها ـ إذا هجرها ـ إلا في البيت، ففي الحديث المتقدم: «**ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت**» إلا أن تكون هناك مصلحة شرعية في الهجر خارج البيت كما هجر النبي أزواجه شهرًا في غير بيوتهن.

١٣ـ أن يعفها، فيلبي رغبتها الفطرية، ليقصر طرفها عن الحرام، ولذا أرشد النبي ﷺ عثمان بن مظعون إلى ترك التبتل، مما يدل على أن الرهبانية وترك النكاح ليس من السنة.

وروى البخاري[٢] عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو قَالَ: أَنْكَحَنِى أَبِى امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُذْ أَتَيْنَاهُ فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ: «**الْقَنِى بِهِ**» فَلَقِيتُهُ بَعْدُ فَقَالَ «**كَيْفَ تَصُومُ؟**» قَالَ كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: «**وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟**»

---

(١) رواه مسلم (٢٣٢٨).

(٢) «صحيح البخاري» (٥٠٥٢).

قَالَ: كُلَّ لَيْلَةٍ . قَالَ: «صُمْ فِى كُلِّ شَهْرٍ ثَلاَثَةً وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِى كُلِّ شَهْرٍ» قَالَ: قُلْتُ أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ: «صُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فِى الْجُمُعَةِ» . قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ: «أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا» قَالَ: قُلْتُ أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ وَاقْرَأْ فِى كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً» فَلَيْتَنِى قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذَاكَ أَنِّى كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْعَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالنَّهَارِ وَالَّذِى يَقْرَؤُهُ يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّامًا وَأَحْصَى وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئًا فَارَقَ النَّبِىَّ ﷺ عَلَيْهِ.

١٤ـ معاونة الزوجة ومساعدتها بالمعروف لا سيما إذا كانت مريضة، فالزوج في مثل هذه البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ متعاون مع أهله في البيت، ومشارك لهم في بعض أعمال البيت؛ من باب التعاون والمشاركة؛ لتأليف القلوب؛ وزرع المودة بينه وبين زوجه، وليس على سبيل الفرض والواجب، إلا إذا تطلب الأمر ذلك؛ فهذا رسول الله ﷺ لما سُئلت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته قالت: كان يكون في مهنة أهله ـ أي خدمة أهله ـ فإذا حضرت الصلاة، وفي رواية: فإذا سمع الأذان خرج إلى الصلاة، وفي رواية: قام إلى الصلاة[1].

قال الحافظ في «الفتح»:

قوله «في مهنة أهله» بفتح الميم وكسرها وسكون الهاء فيهما، وقد فسرها في الحديث بالخدمة، وفسرها صاحب «المحكم» بأخص من ذلك فقال: المهنة الحذق بالخدمة والعمل.

---

(١) خرجه البخاري (٦٧٦).

والمراد بـ«الأهل» نفسه أو ما هو أعم من ذلك، وقد وقع مفسرًا في «الشمائل» للترمذي من طريق عمرة عن عائشة بلفظ: ما كان إلا بشرًا من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه.

ولأحمد وابن حبان من رواية عروة عنها: يخيط ثوبه ويخصف نعله.

وزاد ابن حبان: ويرقع دلوه.

زاد الحاكم فى «الإكليل»: ولا رأيته ضرب بيده امرأة ولا خادمًا.

وفيه الترغيب في التواضع، وترك التكبر، وخدمة الرجل أهله، وترجم عليه المؤلف ـ يعني البخاري ـ في «الأدب» كيف يكون الرجل في أهله؟

وقال ابن بطال: من أخلاق الأنبياء التواضع، والبعد عن التنعم، وامتهان النفس؛ ليستن بهم، ولئلا يخلدوا إلى الرفاهية المذمومة.

وقال البدر العيني في «عمدة القاري»:

وفيه أن خدمة الدار وأهلها سنة عباد الله الصالحين، وفيه فضيلة الجماعة؛ لأن معنى قوله: خرج أي إلى الصلاة مع الجماعة.

ثالثًا
الحقوق المشتركة

١ـ التناصح والتعاون على الخير.

٢ـ إحسان العشرة.

٣ـ تعاونهما البنَّاء في التربية والإعداد.

٤ـ غض الطرف عن الأخطاء غير المقصودة.

٥ ـ المشاركة في الأفراح والأحزان.

٦ـ الاحترام المتبادل.

٧ـ التزين، فقد قال ابن عباس: «إني أحب أن أتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين لي».

٨ ـ عدم الإيذاء والضرر.

❋ ❋ ❋

وإليك بعض الآيات والأحاديث في الوصية بالنساء مختصرة الشرح للشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى من «شرح رياض الصالحين».

قال تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**﴾ النساء: ١٩.

وقال تعالى: ﴿**وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [النساء:١٢٩].

يعني: عاشروا النساء بالمعروف.

والمعاشرة معناها: المصاحبة، والمعاملة، فيعاملها الإنسان بالمعروف، ويصاحبها كذلك بالمعروف.

والمعروف: ما عرفه الشرع، وأقره، واطَّرد به العرف، ما لم يكن مخالفًا للشرع.

وقال تعالى: ﴿**وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ**﴾ [النساء:١٢٩]. وهذا الخطاب لمن كان عنده زوجتان فأكثر، يبين الله عز وجل أن الإنسان لا يستطيع أن يعدل بين النساء ولو حرص؛ لأن هناك أشياء تكون بغير اختيار الإنسان، كالمودة والميل وما أشبه ذلك، مما يكون في القلب.

أما ما يكون بالبدن فإنه يمكن العدل في النفقة، والعدل في المُعاملة بأن

يقسم لهذه ليلتها، وهذه ليلتها، والكسوة، وغير ذلك فهذا ممكن لكن ما في القلب لا يمكن أن يعدل الإنسان فيه؛ لأنه بغير اختياره. ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ أي: تذروا المرأة التي ملتم عنها ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ أي: بين السماء والأرض، ليس لها قرار؛ لأن المرأة إذا رأت أن زوجها مال مع ضرتها تعبت تعبًا عظيمًا، واشتغل قلبها، فصارت كالمعلقة بين السماء والأرض، ليس لها قرار.

ثم قال: ﴿وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يعني: إن تسلكوا سبيل الصلاح وتقوى الله عز وجل، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يعني: يغفر لكم ما لا تستطيعونه، ولكنه يؤاخذكم بما تستطيعون.

وهاتان الآيتان وغيرهما من نصوص الكتاب والسنة كلها تدل على الرفق بالمرأة وملاحظتها ومعاشرتها بالتي هي أحسن، وأن الإنسان لا يطلب منها حقه كاملًا، لأنه لا يمكن أن تأتي به على وجه الكمال فليعف وليصفح.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته، لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء**».

متفق عليه[1].

* وفي رواية في «الصحيحين»: «**المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها، وإن استمتعت بها، استمتعت وفيها عوج**».

* وفي رواية لمسلم: «**إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها، استمتعت بها وفيها عَوَج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها**».

(١) البخاري (٣٣٣١) ومسلم (١٤٦٨).

قوله: «عوج» هو بفتح العين والواو.

في هذا الحديث قال ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرًا**» يعني: اقبلوا هذه الوصية التي أوصيكم بها، وذلك أن تفعلوا خيرًا مع النساء؛ لأن النساء قاصرات في العقول، وقاصرات في الدين، وقاصرات في التفكير، وقاصرات في جميع شئونهن، فإنهن خلقن من ضلع.

وذلك أن آدم عليه الصلاة والسلام خلقه الله من غير أب ولا أم، بل خلقه من تراب، ثم قال له: كن فيكون، ولما أراد الله تعالى أن يبث منه هذه الخليقة، خلق منه زوجه، فخلقها من ضلعه الأعوج، فخلقت من الضلع الأعوج، والضلع الأعوج إن استمتعت به استمتعت به وفيه العوج، وإن ذهبت تقيمه انكسر.

فهذه المرأة أيضًا إن استمتع بها الإنسان استمتع بها على عوج، فيرضى بما تيسر، وإن أراد أن تستقيم فإنها لن تستقيم، ولن يتمكن من ذلك، فهي وإن استقامت في دينها فلن تستقيم فيما تقتضيه طبيعتها، ولا تكون لزوجها على ما يريد في كل شيء، بل لابد من مخالفة ولابد من تقصير، مع القصور الذي فيها.

فهي قاصرة بمقتضى جبلتها وطبيعتها، ومقصرة أيضًا، «فإن ذهبت تقيمها كسرتها»، وكسرها طلاقها: يعني: معنى ذلك أنك إن حاولت أن تستقيم لك على ما تريد فلا يمكن ذلك، وحينئذ تسأم منها وتطلقها، فكسرها طلاقها.

وفي هذا: توجيه من رسول الله ﷺ إلى معاشرة الإنسان لأهله، وأنه ينبغي أن يأخذ منهم العفو وما تيسر، كما قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ يعني: ما عفى وسهل من أخلاق الناس ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

ولا يمكن أن تجد امرأة مهما كان الأمر سالمة من العيب مائة بالمائة، أو

مواتية للزوج مائة بالمائة، ولكن كما أرشد النبي عليه الصلاة والسلام استمتع بها على ما فيها من العوج.

وأيضًا إن كرهت منها خلقًا رضيت منها خلقًا آخر، فقابل هذا بهذا مع الصبر، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا﴾ [النساء: ١٩].

* وعن عمرو بن الأحوص الجشمي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ في حجة الوداع يقول بعد حمد الله تعالى، وأثنى عليه وذكر ووعظ، ثم قال: «**ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلًا، ألا إن لكم على نسائكم حقًا، ولنسائكم عليكم حقا، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن**».

رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[1].

قوله ﷺ «عوان» أي: أسيرات، جمع عانية، بالعين المهملة، وهي الأسيرة، والعاني: هو الأسير، فقد شبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الزوج بالأسير، وقد أمر الله بالإحسان إلى الأسرى، فالزوجة أولى.

و«الضرب المبرح»: هو الشاق الشديد.

وقوله ﷺ: «**فلا تبغوا عليهن سبيلًا**» أي: لا تطلبوا طريقًا تحتجون به عليهن وتؤذونهن به، والله أعلم.

عن عمرو بن الأحوص الجشمي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ في

---

(١) «سنن الترمذي» (١١٦٣) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

خطبة الوداع يخطب، وكان ذلك في عرفة؛ لأن النبي ﷺ في حجة الوداع قدم مكة يوم الأحد الرابع من ذي الحجة، وبقي فيها إلى يوم الخميس الثامن من ذي الحجة.

وخرج ضحى يوم الخميس إلى منى، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، فلما طلعت الشمس، صار إلى عرفة، فنزل بنمرة وهي مكان معروف قبل عرفة وليست من عرفة، ثم زالت الشمس وحلت صلاة الظهر، فأمر أن تُرحّل له ناقته فرحلت له وركب، حتى أتى بطن الوادي ـ بطن عرنة ـ وهو شعب عظيم يحدّ عرفة من الناحية الغربية إلى الناحية الشمالية، فنزل ثم خطب الناس ﷺ خطبة عظيمة بليغة.

ثم قال فيها من جملة ما قال موصيًا أمته بالنساء: «**استوصوا بالنساء خيرًا، فإنما هن عوان عندكم**» العواني جمع عانية، وهي الأسيرة، يعني أن الزوجة عند زوجها بمنزلة الأسير عند من أسره؛ لأنه يملكها، وإذا كان يملكها فهي كالأسير عنده، ثم بين ﷺ أنه لاحق لنا أن تضربهن إلا إذا أتين بفاحشة مبينة، والفاحشة هنا عصيان الزوج، بدليل قوله: «**فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا**» يعني: إن أهملت الزوجة في حق زوجها عليها فإنه يعظها أولًا، ثم يهجرها في المضجع فلا ينام معها، ثم يضربها ضربًا غير مبرح إن هي استمرت على العصيان.

هذه مراتب تأديب المرأة إذا أتت بفاحشة مبينة، وهي عصيان الزوج فيما يجب له: ﴿**فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً**﴾ يعني: لا تضربوهن ولا تقصروا في حقهن؛ لأنهن قمن بالواجب.

ثم بين ﷺ الحق الذي لهن والذي عليهن، فقال: «**لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه**» يعني: لا يجعلن أحدًا يدخل عليهن على فراش النوم

أو غيره وأنت تكره أن يجلس على فراش بيتك، وكأن هذا ـ والعلم عند الله ـ ضرب مثل، والمعنى ألا يكرمن أحدًا تكرهونه، هذا من المضادة لكم أن يكرمن من تكرهونه بإجلاسه على الفراش أو تقديم الطعام له، أو ما أشبه ذلك.

«**وألا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون**» يعني: لا يدخلن أحدًا البيت وأنت تكره أن يدخل، حتى لو كانت أمها أو أباها، فلا يحل لها أن تدخل أمها أو أباها، أو أختها أو أخاها، أو عمها أو خالها، أو عمتها أو خالتها إلى بيت زوجها إذا كان يكره ذلك.

وإنما نبهت على هذا لأن بعض النساء ـ والعياذ بالله ـ وهي الأم! حاولت أن تفسد ما بين ابنتها وزوجها، فللزوج أن يمنع زوجته من الذهاب إليها لأنها نمامة تفسد، وقد قال النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة قتات**»[(١)] أي: نمام.

ثم قال: «**ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**».

فالزوج هو الذي ينفق على زوجته حتى لو كانت غنية، ولو كانت موظفة، فليس له حق في وظيفتها ولا في راتبها، ليس له قرش واحد بل كله لها، وتلزمه بأن ينفق عليها، إذا قال: كيف أنفق عليك وأنت غنية، ولك راتب كراتبي؟ نقول: يلزمك الإنفاق عليها وإن كانت كذلك، فإن أبيت فللحاكم أو القاضي أن يفسخ النكاح غصبًا من الزوج، وذلك لأنه ملتزم بنفقتها.

الحاصل أن خطبة حجة الوداع خطبة عظيمة قرر فيها النبي ﷺ شيئًا كثيرًا من أصول الدين ومن الحقوق، حتى قال ﷺ من جملة ما قال: «**ألا وإن ربا الجاهلية موضوع تحت قدمي**» كانوا في الجاهلية ـ نسأل الله العافية ـ إذا حل الدين على الفقير قالوا له: إما أن تربي وإما أن تقضي: «تقتضي» يعني توفينا،

---

(١) البخاري (٦٠٥٦).

«تربي» يعني نزيد عليك الدين حتى يصبح أضعافًا مضاعفة.

فقال ﷺ في حجة الوداع حاكمًا ومشرعًا: «**إن ربا الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين**» يعني تحت رجلي ليس له قائمة، ثم قال: «**وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب**».

الله أكبر، فهذه قوة عظيمة في تنفيذ أحكام الله، وعدل قائم، «**أول ربا أضع ربا العباس**» العباس عم الرسول ﷺ، فلا محاباة لأحد لقرابته ولا لنسبه ولا لسلطانه.

لو كان النبي ﷺ رجلًا من أهل الدنيا لحابى عمه، ولأبقى رباه على ما هو عليه، لكن الرسول عليه الصلاة والسلام الذي هو غاية الخلق في العدل يقول: «**أول ربا أضع: ربا العباس بن عبد المطلب**» فإنه موضوع كله، فليس لأحد ممن عليه الربا أن يوفيه، فهو ساقط كأن لم يكن، ليس للعباس إلا رأس ماله فقط.

وهذا كقوله ﷺ حينما جاء الناس يشفعون في امرأة من بني مخزوم كانت تستعير المتاع وتجحده، تستعير المتاع كالقدر والفرش وغيره، ثم إنها بعد أن تأخذ هذا المتاع كانت تنكر أنها أخذت شيئًا، فأمر النبي ﷺ أن تقطع يدها لأنها سارقة.

فأهم قريشًا شأنها؛ لأنها امرأة من بني مخزوم إحدى قبائل قريش الكبرى، وقدموا أسامة بن زيد شفيعًا عند النبي ﷺ وأسامة هو ابن عتيق الرسول زيد ابن حارثة، عبد أهدته خديجة للرسول ﷺ فأعتقه ثم جاء بأسامة، وكان النبي ﷺ يحبهما أسامة وأباه زيدًا، فقالوا لأسامة: اشفع عند الرسول ﷺ.

فلما جاء يشفع أنكر عليه النبي ﷺ، وقال: «**أتشفع في حد من حدود الله؟!**» **فأنكر عليه** ﷺ إنكار توبيخ.

ثم قام فخطب الناس وقال لهم كلامًا خالدًا عظيمًا: «**أيها الناس، إنما أهلك من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد**»(١).

والضعيف أحق بالعفو إن كان هناك تفريق ومحاباة، ولكن ولله الحمد، ليس هناك تفريق، ولا محاباة في إقامة حدود الله، ثم قال النبي ﷺ: «**وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**» وهي أشرف من المخزومية نسبًا وقدرًا ودينًا، وهي بلا شك أفضل من المخزومية؛ لأنها سيدة نساء أهل الجنة رضي الله عنها.

وقوله ﷺ: «**وايم الله**» حلف وإن لم يستحلف، لتأكيد هذا الحكم وبيان أهميته «**لو أن فاطمة**» وهي أشرف من هذه المخزومية «بنت محمد» أشرف البشر «سرقت لقطعت يدها» ليقطع كل الحجج والوساطات والشفاعات، وهذا يدل على كمال عدله ﷺ.

❋ ❋ ❋

---

(١) البخاري (٣٤٧٥).

حقوق الأولاد

١ـ اختيار الأم الصالحة لحديث: «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**».

٢ـ العطف على الأولاد لحديث: «**الراحمون يرحمهم الرحمن**»[١] فهم أولى بالعطف والرحمة من غيرهم.

٣ـ إقامة العدل بينهم في العطف والإعطاء لحديث: «**اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»[٢].

٤ـ تعليمهم الدين والأخلاق الكريمة الفاضلة والحقوق والواجبات.

٥ ـ وقايتهم من النار بتعليمهم وتوجههم.

٦ ـ تقديم القدوة الحسنة والنماذج المثلى في الطاعة والعبادة والصلة والأخلاق وغيرها.

٧ـ تربيتهم على الكتاب والسنة.

* * *

(١) «السلسلة الصحيحة» (٩٢٥).

(٢) البخاري (٢٥٨٧).

حقوق الجيران

وهذا نموذج آخر من تلك البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة، تلك البيوت التي تعرف حقوق الجار وتؤدي هذه الحقوق كاملة غير ناقصة.

فحقوق المسلمين وحقوق غير المسلمين لا يقوم بها إلا من وفقه الله ورضي عنه وأحبه وهيأه للقيام بها، وقديمًا كانت النفوس مليئة بالإيمان الصادق وتقوى الله، فكانت الحقوق معلومة وواضحة، بل كان المسلمون يتنافسون في القيام بما أوجب الله عليهم من أداء واجباتهم نحو الآخرين، فرأينا كيف كان المسلمون يحفظون الجوار، وكيف كانوا يحسنون إلى جيرانهم من المسلمين وغير المسلمين.

وفي هذا العصر الذي نعيشه شُغِل كل بيت بنفسه، فلا يعرف جارٌ جارًا، ولا يحسن جار إلى جاره في شيء، فضلًا عن أن يكف أذاه وشرَّه عنه.

هذا مع أن حرمة الجار عظيمة في الجاهلية والإسلام، وهي معقولة مشروعة مروءة وديانة.

فمن علامات البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ قيامها بحقوق الخلق كما تقوم بحقوق الله تبارك وتعالى، وأول حق يقومون به مع الغير، هو حق الأبوين، ثم حق الأقارب والأرحام ثم الجيران، وقد يكون الجار قريبًا مسلمًا فيكون له ثلاث حقوق، وقد يكون جارًا مسلمًا فيكون له حقان، وقد يكون جارًا غير مسلم فيكون له حق واحد وهو حق الجيرة.

وهذه البيوت بيوت لا تؤذي جيرانها، بل وتتحمل أذاهم، وتدفع بالسيئة الحسنة وتعفو وتصفح، لأن العفو والصفح سبب لمغفرة الله عز وجل للعبد

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ التغابن: ١٤.

ومن أخلاق هذه البيوت مع الجيران:

١ـ عدم أذيتهم بقول أو فعل وكف الأذى عنهم قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره»(١).

٢ـ الإحسان إليهم لقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ النساء: ٣٦.

٣ـ إكرامهم بأداء المعروف والخير إليهم، لقوله ﷺ: «يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»(٢).

وقوله ﷺ: «يا أبا ذر، إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد بها جيرانك»(٣).

قال القرطبي رحمه الله(٤):

أما الجار فقد أمر الله بحفظه والقيام بحقه والوصاية بِرَعْي ذمته في كتابه، وعلى لسان نبيه، ألا تراه سبحانه أكد ذكره بعد الوالدين والأقربين، فقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ

---

(١) رواه البخاري (٥١٨٥) ومسلم (٧٥/ ٤٧).

(٢) رواه البخاري (٢٥٦٦).

(٣) رواه مسلم (٢٦٢٥).

(٤) «تفسير القرطبي» (٥/ ١٧١).

وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.

النساء: ٣٦.

وعلى المسلمين أن يعلموا أن الجوار يقتضي حقًّا وراء ما تقتضيه الأخوة الإيمانية، فالجار المسلم له حق الإسلام وحق الجوار، والجار المسلم القريب له الحقان السابقان وحق القرابة.

ولذلك أمر الله ورسوله ﷺ بحسن الجوار، والإحسان إلى الجار وعدم إيذائه، وليس حسن الجوار هو كف الأذى عن الجار فقط، بل من حسن الجوار احتمال أذاه والرفق به وابتداؤه بالخير.

قال ابن قدامة المقدسي [(١)]:

«وليس حقُّ الجوارِ كفَّ الأذى فقط، بل احتمالُ الأذى، والرِّفْقُ، وابتداءُ الخيرِ، وأَنْ يَبْدَأَ جارَه بالسلامِ، ولا يُطيلَ معهُ الكلامَ، ويعودَهُ في المَرَضِ، ويَعزِّيَه في المُصيبةِ، ويُهنِّئه في الفَرَحِ، ويصفحَ عن زَلَّاتِه، ولا يطَّلعَ إلى دارِه، ولا يُضايقهُ في وَضْعِ الخَشَبِ على جِدارِه، ولا في صبِّ الماءِ في ميزابِه، ولا في طرحِ التُّرابِ في فِنائهِ، ولا يُتْبِعَهُ النَّظَرَ فيما يحملهُ إلى دارِه، ويَسْتُرَ ما ينكشفُ مِن عوراتِه، ولا يتسمَّعُ عليهِ كلامَه، ويغضُّ طَرْفَهْ عن حَرَمِه، ويُلاحِظُ حوائجَ أهلِهِ إذا غابَ، ولا تُديمُ النَّظَرَ إلى خادمِهِ، وتتلطَّفُ لولدِه في كلمِته، وتُرشدُهُ إلى ما يجهلهُ مِن أَمرِ دينِهِ ودُنياهُ». اهـ.

فالبيت الذي يعرف حق الجوار ويصونه بيت يحبه الله ورسوله وتدخله الملائكة، فهو بيت ممتثل ما أمر الله به مجتنب ما نهى الله عنه:

وقال الحافظ ابن حجر [(٢)]:

---

(١) في «مختصر منهاج القاصدين» (ص ١٣٨).

(٢) في «فتح الباري» (١٠/ ٤٤٤٢).

«واسمُ الجار يشملُ المسلمَ والكافرَ، والعابدَ والفاسقَ، والصديقَ والعدوَّ، والغريبَ والبلديَّ، والنافعَ والضَّارَّ، والقريبَ والأجنبيَّ، والأقربَ دارًا والأبعدَ.

وله مراتبُ بعضُها أعلى من بعضٍ: فأعلاها مَن اجتمعت فيهِ الصِّفاتُ الأوَلُ كلُّها، ثم أكثرُها، وهلُمَّ جَرّا إلى الواحدِ، وعكسهُ من اجتمعتْ فيهِ الصِّفاتُ الأخْرى كذلك، فيُعطى كلٌّ حَقَّه بحسبِ حالهِ، وقد تتعارضُ صِفتانِ فأكثرُ، فيُرجَّح أو يُساوى».

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**»(١).

وروى الإمام مسلم عن أبي شريح الكعبي قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره**»(٢).

وروى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره**»(٣).

وروى البخاري في «الأدب المفرد»(٤) عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله إن لي جارًا يؤذيني فقال: «**انطلق، فأخرج متاعك إلى الطريق**» فانطلق فأخرج متاعه فاجتمع الناس عليه، فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني، فذكرت للنبي ﷺ فقال: انطلق، فأخرج متاعك إلى الطريق، فجعلوا يقولون: اللهم العنه، اللهم اخزه، فبلغه، فأتاه، فقال: ارجع إلى منزلك، فوالله لا أؤذيك.

---

(١) البخاري (٦١٣٨) ومسلم (٤٧).
(٢) «صحيح مسلم» (٤٨).
(٣) «صحيح البخاري» (٥١٨٥).
(٤) «الأدب المفرد» (١٢٤).

وروى البخاري في «الأدب المفرد»[١] عن أبي جحيفة قال: شكا رجل إلى النبي ﷺ جاره فقال: «**احمل متاعك فضعه على الطريق**» فجعل كل من مر به يلعنه، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: ما لقيت من الناس؟ فقال: «**إن لعنة الله فوق لعنتهم**» ثم قال للذي شكا: «**كفيت**» أو نحوه.

وروى البخاري في «الأدب المفرد»[٢] أن أبا عامر الحمصي قال: كان ثوبان يقول: ما من رجلين يتصارمان فوق ثلاثة أيام، فيهلك أحدهما، فماتا وهما على ذلك من المصارمة إلا هلكا جميعًا، وما من جار يظلم جاره ويقهره حتى يحمله ذلك على أن يخرج من منزله إلا هلك[٣].

قال الإمام الذهبي رحمه الله:

والنبي ﷺ ما يظن أن الجار يرث إلا بشرط كونه مسلمًا، أما إذا كان كتابيًّا، فإن النبي ﷺ لا يظن أن الكتابي يرث مسلمًا، وهو القائل عليه السلام: «**لا يرث المسلم الكافر**» بل للجار الكتابي حقٌّ في الجملة.

ويفهم من هذا الحديث المذكور عنه ﷺ تعظيم حق الجار من الإحسان إليه وإكرامه وعدم الأذى له، وإنما جاء الحديث في هذا الأسلوب للمبالغة في حفظ حقوق الجار وعدم الإساءة إليه حيث أنزله الرسول ﷺ منزلة الوارث تعظيمًا لحقِّه ووجوب الإحسان إليه وعدم الإساءة بأي نوع من أنواع الأذى.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**»[٤].

ومن البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ تلك البيوت التي تتعاهد جيرانها

(١) «الأدب المفرد» (١٢٥).
(٢) «الأدب المفرد» (١٢٧).
(٣) رواه البخاري (٦٠١٤) ومسلم (٢٦٢٥).
(٤) «صحيح مسلم» (٧٣/ ٤٦).

بالتحف والهدايا كما أمر النبي ﷺ.

روى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: إن خليلي ﷺ أوصاني: «**إذا طبخت مرقًا فأكثِر ماءه، انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف**»[١].

وفي رواية لمسلم كذلك: «**يا أبا ذر إذا طبخت مرقًا فأكثر ماءه، وتعاهد جيرانك**».

ورواه ابن حبان وزاده: «**فإنه أوسع للأهل والجيران**»[٢].

ومن البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ تلك البيوت المتعاونة على البر والتقوى، تلك البيوت المتطاوعة، تلك البيوت المتشاركة في كل خير، فأهل هذه البيوت لا يمنعون غيرهم عن الاستفادة من جدران بنيانهم بما لا يلحقهم به ضرر ولا أذى كما قال النبي ﷺ: «**لا يمنعن أحدٌ جاره أن يغرز خشبه في جداره**».

متفق عليه[٣].

ولا يقوم بهذا إلا الصالحون من أصحاب البيوت، وهذا من سعادة المرء أن يكون جاره من الصالحين، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء**».

رواه ابن حبان[٤].

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٦٢٥).
(٢) «صحيح ابن حبان» (٥١٣).
(٣) رواه البخاري (٢٤٦٣) ومسلم (١٦٠٩).
(٤) في «صحيحه» (١٢٣٢).

ومن الآداب التي ينبغي على البيت المسلم أن يراعيها تلك الآداب الحنيفة الشريفة في تعامل الجيران بعضهم مع بعض، بل حتى في حاجة أهل البيت الخاصة بهم، فمن تلك الآداب التي يحب الله أهلها، وهذا فيما يتعلق بالجار:

١ ـ إن مرض عدته.

٢ ـ إن مات شيعته.

٣ ـ إن استقرضك أقرضته.

٤ ـ إن أعوز سترته.

٥ ـ إن أصاب خيرًا هنئته.

٦ ـ إن أصابته مصيبة عزيته.

٧ ـ أن لا ترفع بنائك فوق بنائه إلا بإذنه.

٨ ـ ألا تؤذيه بريح طعامك إلا أن تعطيه منه.

٩ ـ إن اشتريت فاكهة أو حلوى فاهْدِ له منها، فإن لم تفعل فأدخلها سرًّا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده.

١٠ ـ إن دعاك أجبته.

فتلك الأخلاق ما كانت في بيت إلا أحبه الله وأنزل عليه الرحمة والسكينة.

و أما ما يفعله بعض الناس من قدح في الجيران وغيبة لهم وقطيعتهم، فهو أمر مذموم منهي عنه، وقد رهَّبنا النبي ﷺ من أذى الجار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل وتصدق وتؤذي جيرانها بلسانها، فقال رسول الله ﷺ: «**لا خير فيها هي من أهل النار**» قالوا: وفلانة تصلى المكتوبة وتصدق بأثوار ولا تؤذي أحدًا، فقال رسول الله ﷺ: «**هي من أهل الجنة**».

[إن كان الجار فاسقًا عاصيًا]:

قال الذهبي رحمه الله في كتابه «حقوق الجار»:

فإن كان الجارُ صاحب كبيرة، فلا يخلو: إما أن يكون متسترًا بها أو لا.

فإن كان متسترًا بها، ويغلق بابه عليه، فلتعرض عنه، وتتغافل عنه، وإن أمكن أن تنصحه في السر وتعظه، فحسنٌ.

وإن كان متظاهرًا بفسقه مثل مُكَّاس أو مُرابٍ، فيهجر هجرًا جميلًا.

وكذا إن كان تاركًا للصلاة في كثير من أوقاته، فمره بالمعروف، وانهه عن المنكر برفق - مرة بعد أخرى - وإلا فاهجره في الله، لعله أن يرعوي، ويحصل له انتفاع بالهجر من غير أن تقطع عنه كلامك وسلامك وهديتك.

فإن رأيته متمردًا عاتيًا بعيدًا من الخير، فأعرض عنه، واجهد أن تتحول من جواره، فقد تقدم أن النبي ﷺ، تعوذ من جار السوء في دار المقامة.

[إن كان الجار ديوثًا]:

قال الذهبي رحمه الله:

فإن كان الجار ديوثًا، أو قليل الغيرة أو حريمه على غير الطريق المستقيم، فتحول عنه، أو فاجتهد أن لا توادد زوجتُك زوجتَه، فإن في ذلك فسادًا كبيرًا، وخف على نفسك المسكينة، ولا تدخل منزله، واقطع الود بكل ممكن.

وإن لم تقبل مني ربما حصل لك هوى وطمع وغلبت عن نفسك أو عن ابنك أو خادمك أو أختك.

وإن ألزمتهم بالتحول عن جوارك، فافعل بلطف وبرغبة وبرهبة.

[إن كان الجار مبتدعًا]:

قال الذهبي رحمه الله:

فإن كان جارك رافضيًا، أو صاحب بدعة كبيرة، فإن قدرت على تعليمه

وهدايته فاجتهد، وإن عجزت فانجمع عنه، ولا تواده، ولا تصافه، ولا تكون له مصادقًا، ولا معاشرًا، والتحول أولى بك.

[إن كان الجار يهوديًّا أو نصرانيًّا]:

قال الذهبي رحمه الله:

فإن كان جارك يهوديًا أو نصرانيًّا في الدار أو في السوق أو في البستان فجاوره بالمعروف، ولا تؤذه، ولا تواده فوق القدر الذي له.

وما أدري ما أقول لك في قبول هديته في عيده وسننه، وكذا دعوته، وإياك ويوم عيده وسننه.

فإن وقع ذلك في العمر مرةً فلا بأس ،كما جاء في الحديث: «**الجيران ثلاثةٌ جارٌ له ثلاثة حقوق، وهو القريب المسلم الجار، وجار له حقان: حق الإسلام وحق الجوار، وجار له حق واحد وهو غير المسلم، له حق الجوار**».

فأما من جعل إجابة دعوته ديدنه، وعاشرهم، وباسطهم، فإنَّ إيمانَه يرقُّ، وقد قال الله تعالى: ﴿**لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ**﴾ الآية.

فإن انضاف إلى جواره لك كونه قرابتك أو ذوي رحمك فهذا حقُّه آكدُ.

وكذا إن كان أحدُ أبويك ذميًّا، فإنَّ للأبوين وللرَّحم حقوقًا فوق حقِّ الجوارِ، فأعطِ كُلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ.

وكذا ردُّ السلامِ، فلا تَبْدأ أحدًا من هؤلاء بسلامٍ أصلًا، وإذا سلَّم أحدٌ منهم عليك، فقل: وعليكم.

أمَّا: كيف أصبحت، كيف أمسيت؟ فهذا لا بأس به، وأن تقول منه من غير إسراف ولا مبالغة في الرَّدِّ: قال الله تعالى: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ**

وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

فالمؤمن يتواضعُ للمؤمنين، ويتذلل لهم، ويتعزَّزُ على الكافرين، ولا يتضاءلُ لهم تعظيمًا لحرمة الإسلامِ، وإعزازًا للدين من غير أن تؤذيهم، ولا توادهم كما تواد المسلمَ.

انتهى كلام الذهبي رحمه الله.

وذكر ابن رجب الحنبلي رحمه الله في كتابه «جامع العلوم والحكم» مجموعة من الأحاديث في بيان حقوق الجار والأدب معه وتحريم أذيته، وذلك كله تحت شرح قوله ﷺ: «فليكرم جاره» فقال رحمه الله:

والثاني مما أمر به النبي ﷺ في هذا الحديث المؤمنين: إكرام الجار، وفي بعض الروايات: النهي عن أذى الجار:

فأما أذى الجار فمحرم لأن الأذى بغير حق محرم لكل أحد، ولكن في حق الجار هو أشد تحريمًا.

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه سئل أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك» قيل: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» قيل: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك».

وفي «مسند الإمام أحمد» عن المقداد بن الأسود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في الزنا؟» قالوا: حرام حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول الله ﷺ: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره» قال: «فما تقولون في السرقة؟» قالوا: حرام حرمها الله ورسوله، فهي حرام، قال: «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره».

وفي «صحيح البخاري» عن أبي شريح رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من لا يأمن جاره بوائقه» وخرجه الإمام أحمد وغيره من حديث أبي هريرة.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه».

وخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة أيضًا قال: قيل يا رسول الله، إن فلانة تصلي بالليل وتصوم النهار وفي لسانها شيء تؤذي جيرانها سليطة قال: «لا خير فيها هي في النار» وقيل له: إن فلانة تصلي المكتوبة وتصوم رمضان وتتصدق بالأثوار وليس لها شيء غيره ولا تؤذي أحدًا قال: «هي في الجنة».

ولفظ الإمام أحمد: «ولا تؤذي بلسانها جيرانها».

وخرج الحاكم من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره فقال له: «اطرح متاعك في الطريق» قال: فجعل الناس يمرون به فيلعنونه، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من الناس؟ قال: «وما لقيت؟» قال: يلعنوني قال: «فقد لعنك الله قبل الناس» قال: يا رسول الله فإني لا أعود.

وخرجه أبو داود بمعناه من حديث أبي هريرة، ولم يذكر فيه «فقد لعنك الله قبل الناس».

وخرج الخرائطي من حديث أم سلمة قالت: دخلت شاة لجارة لنا فأخذت قرصة لنا فقمت إليها فأخذتها من بين لحييها فقال رسول الله ﷺ: «إنه لا قليل من أذى الجار».

فأما إكرام الجار والإحسان إليه فمأمور به، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ

﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾

النساء: ٣٦.

فجمع الله تعالى في هذه الآية بين ذكر حقه على العبد وحقوق العباد على العباد أيضًا، وجعل العباد الذين أمر بالإحسان إليهم خمسة أنواع:

أحدها: من بينه وبين الإنسان قرابة وخص منهم الوالدين بالذكر لامتيازهما عن سائر الأقارب بما لا يشركونهما فيه، فإنهما كانا السبب في وجود الولد ولهما حق التربية والتأديب، وغير ذلك.

الثاني: من هو ضعيف محتاج إلى الإحسان، وهو نوعان: من هو محتاج لضعف بدنه، وهو اليتيم، ومن هو محتاج لقلة ماله، وهو المسكين.

والثالث: من له حق القرب والمخالطة، وجعلهم ثلاثة أنواع: جار ذو قربى، وجار جنب، وصاحب بالجنب، وقد اختلف المفسرون في تأويل ذلك، فمنهم من قال: الجار ذو القربى الجار الذي له قرابة، والجار الجنب الأجنبي، ومنهم من أدخل المرأة في الجار ذي القربى، ومنهم من أدخلها في الجار الجنب، ومنهم من أدخل الرفيق في السفر في الجار الجنب.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «أعوذ بك من جار السوء في دار الإقامة فإن جار البادية يتحول».

ومنهم من قال: الجار ذو القربى الجار المسلم، والجار الجنب الكافر، وفي «مسند البزار» من حديث جابر مرفوعًا: «الجيران ثلاثة جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقًّا وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران حقًّا، فأما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له له حق الجوار، وأما الذي لم حقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الذي له ثلاثة

حقوق فجار مسلم ذو رحم فله حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم».

وقد روي هذا الحديث من وجوه أخرى متصلة ومرسلة ولا تخلو كلها من مقال.

وقيل الجار ذو القربى هو القريب الملاصق والجار الجنب البعيد الجوار.

وفي «صحيح البخاري» عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما بابًا».

وقال طائفة من السلف: حد الجوار أربعون دارًا وقيل مستدار أربعين دارًا من كل جانب.

وفي مراسيل الزهري أن رجلًا أتى النبي ﷺ يشكو جارًا له فأمر النبي ﷺ بعض أصحابه أن ينادي ألا إن أربعين دارًا جار.

وقال الزهري: وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا يعني ما بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله.

وسئل الإمام أحمد عمن يطبخ قدرًا وهو في دار السبيل، ومعه في الدار نحو ثلاثين أو أربعين نفسًا يعني أنهم سكان معه في الدار قال: يبدأ بنفسه وبمن يعول، فإن فضل أعطي الأقرب إليه، وكيف يمكنه أن يعطيهم كلهم قيل له لعل الذي هو جاره يتهاون بذلك القدر ليس له عنده موقع، فرأى أنه لا يبعث إليه.

وأما الصاحب بالجنب ففسره طائفة بالزوجة، وفسره طائفة منهم ابن عباس بالرفيق في السفر ولم يريدوا إخراج الصاحب الملازم في الحضر، وإنما أرادوا أن صحبة السفر تكفي، فالصحبة الدائمة في الحضر أولى، ولهذا قال سعيد بن جبير: هو الرفيق الصالح.

وقال زيد بن أسلم: هو جليسك في الحضر، ورفيقك في السفر.

وقال ابن زيد: هو الرجل يعتريك، ويلم بك، لتنفعه.

وفي «المسند» و«سنن الترمذي» عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره».

الرابع: من هو وارد على الإنسان غير مقيم عنده وهو ابن السبيل يعني المسافر إذا ورد إلى بلد آخر، وفسره بعضهم بالضيف يعني به ابن السبيل إذا نزل ضيفًا على أحد.

والخامس ملك اليمين، وقد وصى النبي ﷺ بهم كثيرًا وأمر بالإحسان إليهم، وروي أن آخر ما وصى به ﷺ عند موته الصلاة وما ملكت أيمانكم، وأدخل بعض السلف في هذه الآية ما يملكه الإنسان من الحيوانات والبهائم.

ولنرجع إلى شرح حديث أبي هريرة في إكرام الجار:

وفي «الصحيحين» عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» فمن أنواع الإحسان إلى الجار مواساته عند حاجته.

وفي «المسند» عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يشبع المؤمن دون جاره».

وخرج الحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع».

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما آمن من بات شبعان وجاره طاويًا».

وفي «المسند» عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ: «أول خصمين يوم القيامة جاران».

وفي «كتاب الأدب» للبخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: يا رب هذا أغلق بابه دوني يمنع معروفه.

وخرج الخرائطي وغيره بإسناد ضعيف من حديث عطاء الخراساني عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله فليس ذلك بمؤمن، وليس مؤمنًا من لا يأمن جاره بوائقه، أتدري ما حق الجار؟ إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عدت عليه، وإذا مرض عدته، وإذا أصابه خير هنيته، وإذا أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذيه بقتار قدرك إلا أن تغرف له، وإن اشتريت فاكهة فاهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرًّا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده» ورفْعُ هذا الكلام منكر، ولعله من تفسير عطاء الخراساني.

وقد روي أيضًا عن عطاء عن الحسن عن جابر مرفوعًا: «أدنى حق الجوار أن لا تؤذي جارك بقتار قدرك إلا أن تقدح له منها».

وفي «صحيح مسلم» عن أبي ذر قال: أوصاني خليلي ﷺ «إذا طبخت مرقًا فأكثر ماءه ثم انظر إلى أهل بيت جيرانك فأصبهم منها بمعروف».

وفي رواية أن النبي ﷺ قال: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك».

وفي «المسند» و«سنن الترمذي» عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه ذبح شاة فقال: هل أهديتم منها لجارنا اليهودي ثلاث مرات؟ ثم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار ظننت أنه سيورثه».

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يمنعن أحدكم جاره أن يغرز خشبه في جداره» ثم يقول أبو هريرة رضي الله

عنه: ما لي أراكم عنها معرضين والله لأرمين بها بين أكتافكم.

ومذهب الإمام أحمد أن الجار يلزمه أن يمكن جاره من وضع خشبة على جداره إذا احتاج الجار إلى ذلك ولم يضر بجداره لهذا الحديث الصحيح، وظاهر كلامه أنه يجب عليه أن يواسيه من فضل ما عنده بما لا يضر به إذا علم حاجته.

قال المروزي: قلت لأبي عبد الله: إني لأسمع السائل في الطريق يقول إني جائع.

فقال: قد يصدق وقد يكذب.

قلت: فإذا كان لي جار أعلم أنه يجوع؟

قال: تواسيه.

قلت: إذا كان قوتي رغيفين.

قال: تطعمه شيئًا، ثم قال: الذي جاء في الحديث: إنما هو الجار.

وقال المروزي: قلت لأبي عبد الله: الأغنياء يجب عليهم المواساة؟

قال: إذا كان قوم يضعون شيئًا على شيء كيف لا يجب عليهم؟!

قلت: فإذا كان للرجل قميصان أو قلت: جبتان يجب عليه المواساة؟

قال: إذا كان يحتاج إلى أن يكون فضلًا.

وهذا نص منه في وجوب المواساة من الفضائل ولم يخصه بالجار، ونصه الأول يقتضي اختصاصه بالجار.

وقال في رواية ابن هانئ في السُّؤَّال يكذبون: أحب إلينا لو صدقوا ما وسعنا إلا مواساتهم.

وهذا يدل على وجوب مواساة الجائع من الجيران وغيرهم.

وفي «الصحيح» عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «أطعموا الجائع

وعودوا المريض وفكوا العاني».

وفي «المسند» و«صحيح الحاكم» عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله عز وجل».

ومذهب أحمد ومالك أنه يمنع الجار أن يتصرف في خاص ملكه بما يضر بجاره، فيجب عندهما كف الأذى عن الجار بمنع إحداث الانتفاع المضر به ولو كان المنتفع إنما ينتفع بخاص ملكه.

ويجب عند أحمد أن يبذل لجاره ما يحتاج إليه ولا ضرر عليه في بذله، وأعلى من هذين أن يصبر على أذى جاره ولا يقابله بالأذى.

قال الحسن: ليس حسن الجوار كَف الأذى ولكن حسن الجوار احتمال الأذى.

ويروى من حديث أبي ذر: «إن الله يحب الرجل يكون له الجار يؤذيه جواره فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما الموت أو ظعن» خرجه الإمام أحمد.

وفي مراسيل أبي عبد الرحمن الحبلي أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ يشكو إليه جاره فقال له النبي ﷺ: «كف أذاك عنه واصبر لأذاه فكفى بالموت مفرقًا» خرجه ابن أبي الدنيا.

انتهى كلام الحافظ ابن رجب رحمه الله.

* * *

حقوق الرحم والأقارب

إن أعظم ما تُعمر به البيوت صلة الرحم التي أمر الله بها، فصلة الرحم واجب جاءت به نصوص الكتاب والسنة، وقرن الله بينه وبين عبادته وحده لا شريك له، وبيَّن رسول الله ﷺ أنه من علامات الإيمان بالله واليوم الآخر، وجعل الله عز وجل جزاء صلة الرحم أو قطعه من جنسه، فمن وصل رحمه وصله الله، ومن قطع رحمه قطعه الله، وليست صلة الرحم على سبيل المكافأة، فالواصل الصادق هو الذي يصل رحمه وإن قطعها الآخرون، وأخبر رسول الله ﷺ أن صلة الرحم توسع على أهل البيت أرزاقهم، وتبارك لهم.

والأرحام هم من بينهم رابطة القرابة والنسب، فالبيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ، وتدخلها الملائكة: بيوتٌ واصلة للأرحام، وإن قُطعت، بيوتٌ تعرف لكل ذي حق حقه، وتقوم به.

ومن حقوق الأرحام:

١ـ الصلة، وإن قطعت، قال ﷺ: «**ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل مَن إذا قطعت رحمه وصلها**»(١).

٢ـ مساعدتهم والحلم عليهم، لحديث: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحلم عليهم ويجهلون عليَّ..الحديث

٣ـ دعوتهم وتقديم النصح والمشورة لهم.

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله**

---

(١) البخاري (٥٩٩١).

والیوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت»(١).

فما بالك أخي المسلم ببيت يجعل الله عز وجل فيه هذا الخير؟!

فما أحبَّ هذه البيوت وأقربها إلى الله عز وجل!

وروى البخاري(٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل إذا قُطعت رحمه وصلها»**.

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِى وَصَلَهُ الله وَمَنْ قَطَعَنِى قَطَعَهُ الله»**(٣).

وروى الإمام مسلم(٤) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: لما أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ دَعَا رَسُولُ الله ﷺ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ: **«يَا بَنِى كَعْبِ بْنِ لُؤَىٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِى مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِى عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِى عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِى هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِى عَبْدِ المطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِى نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّى لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلالِهَا»**.

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِى أَيُّوبَ رضى الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِىِّ

---

(١) البخاري (٢٠٦٧، ٥٩٨٥، ٥٩٨٦، ٦١٣٨) ومسلم (٤٧).

(٢) البخاري (٥٩٩١).

(٣) البخاري (٥٩٨٩) ومسلم (٢٥٥٥)

(٤) «صحيح مسلم» (٢٠٤).

ﷺ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «تَعْبُدُ الله، وَلا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ»(١).

وروى البخاري(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ الله الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهَا: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَاكِ لَكِ» قَال أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ محمد: ٢٢.

وأما البيوت التي قطع أصحابها أرحامهم، فهي بيوت مقطوعة عن كل خير وبركة، وهي بيوت مقطوعة عن الله رب العالمين، بل جعل الله عز وجل قطيعة الرحم من الإفساد في الأرض، وأخبر النبي ﷺ أن الجنة لا يدخلها من قطع رحمه.

فقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ محمد: ٢٢.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ البقرة: ٢٧.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ

(١) البخاري (١٣٩٦) ومسلم (١٣).
(٢) البخاري (٤٨٣٠).

مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ الرعد: ٢٥.

وروى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم: أن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة قاطع**»(١) يعني قاطع رحم.

وقال رسول الله ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله، ثم صلة الرحم**»(٢).

وحقيقة الصلة: العطف والرحمة والإحسان.

وهي نوعان: عامة، وهي رحم الدين، وصلتها تكون بملازمة الإيمان، والمحبة لأهله، ونصرتهم، والنصيحة، وترك مضرتهم، والعدل بينهم، والنصفة في معاملتهم، والقيام بحقوقهم الواجبة.

وخاصة، وهي رحم القرابة من طرف الرجل أبيه وأمه فتجب لهم الحقوق الخاصة - كالنفقة، وتفقد أحوالهم - بجانب الحقوق العامة، فإذا تزاحمت الحقوق بدئ بالأقرب فالأقرب.

والمعنى الجامع للصلة: إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، هذا إذا كان أهل الرحم أهل استقامة، فإن كانوا كفارًا أو فجارًا فعلى المسلم أن يجتهد في بذل الجهد في وعظهم، والدعاء لهم أن يعودوا إلى الطريق المثلى.

فهذه البيوت تعلم أن صلة الرحم خير وبركة ونماء ومودة وألفة ورحمة في الدنيا وأنها سبب لصلة الله للعبد ومحبته له.

* * *

(١) البخاري (٥٩٨٤) ومسلم (٢٥٥٦).

(٢) حسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٦).

الخاتـــمـــة

وبعد هذا العرض السابق لصفات البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة: فقد تبين لنا بوضوح أن كثيرًا من بيوت المسلمين في حاجة ماسة إلى الرجوع للكتاب والسنة والاعتصام بهما، وتحقيق التوحيد الخالص لله رب العالمين، ومتابعة النبي الأمين، وتقديم محبته وطاعته على سائر المحابِّ، وضرورة أن تقوم بيوتنا على العلم النافع والعمل الصالح، لعل الله عز وجل أن يصلح بيوتنا وأن تكون منارة لهداية الناس من حولنا.

وهذا آخر ما يسره الله لنا من هذا الكتاب، والذي نسأل الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن ينفع به كاتبه وقارئه وسائر المسلمين في الدنيا والآخرة، وأن يجعل بيوتنا بيوتًا طيبة مباركة يحبها تبارك وتعالى، ويحبها رسوله ﷺ وأن تدخلها ملائكة الله البررة الكرام.

* * *

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
صورة عامة للبيوت التي يحبها الله ورسوله	٧
تأسيس البيت على تقوى الله ورضوانه	١٣
أعمال وأقوال تبنى بها البيوت في الجنة	١٨
نموذج من بيت النبوة	٢٠
نماذج من بيوت الصحابة رضي الله عنهم	٢٦
الإيثار والمواساة	٢٨
الصدقة	٢٩
الصبر على فقد الأولاد	٣٠
صدقهم في إيمانهم وأقوالهم وأفعالهم	٣٠
زهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة	٣١
شجاعتهم النادرة واستهانتهم بالحياة الدنيا	٣١
قطع حبال الجاهلية وموالاة الله ورسوله والمؤمنين	٣٢
مسارعتهم إلى التوبة والإنابة إذا بدرت منهم معصية	٣٢
تكافلهم فيما بينهم ومواساتهم لإخوانهم	٣٣
استهانتهم بزخارف الحياة الدنيا	٣٤
حرصهم على الاجتماع والوحدة ونبذ الخلاف	٣٥
اتهامهم أنفسهم بالتقصير	٣٥
أنفتهم واستعلاء الإيمان في قلوبهم	٣٦
صفات البيوت التي يحبها الله ورسوله ﷺ وتدخلها الملائكة	٣٧
بيوت تقوم على التوحيد	٣٩
بيوت قائمة على الإخلاص	٥٣

بيوت قائمة على الحب في الله ٦٠
بيوت شعارها الإيمان والخشية من الله ٧٢
بيوت تستجيب لله ورسوله ﷺ في الدين كله ٧٧
بيوت تنقاد لحكم الله وحكم رسوله ﷺ وتحافظ على السنة وآدابها ٨٢
بيوت تحب الله ورسوله ﷺ ٨٦
بيوت تقوم على العلم الشرعي ٩٨
صور من حرص البيت المسلم على طلب العلم الشرعي ١١٨
بيوت تعرف المعروف وتأمر به، وتنكر المنكر وتنهى عنه ١٢٠
قيام الزوج بالأمر والنهي في البيت ١٢١
قيام المرأة والزوجة والأم بالأمر والنهي ١٢٥
نماذج لقيام المسلمات بالأمر والنهي ١٢٧
أمر أم سليم ابنها بالتوحيد ١٢٧
عرض أم سليم الإسلام على زوجها ١٢٧
أمر أم حكيم بنت الحارث بالإسلام ١٢٨
أمر سلمى زوجها بالوضوء لما أحدث في الصلاة ١٢٨
نهي أسماء بنت أبي بكر ابنها عن الخضوع للحجاج ١٢٩
أمر أم سعد بن معاذ ابنها بسرعة اللحوق بالجهاد ١٣٠
أمر عمارة زوجها بالقيام بالعبادة ١٣٠
نماذج أخرى لزوجات صالحات زاهدات صابرات مجاهدات ١٣١
خديجة بنت خويلد ١٣١
عائشة بنت أبي بكر ١٣٢
أسماء بنت أبي بكر ١٣٢
نسيبة بنت كعب ١٣٣
بيوت تربي أبناءها على القرآن والسنة ١٣٤
بيوت قائمة على البصيرة والعزيمة ١٣٦
بيوت عابدة لله رب العالمين ١٤٠
بيوت المصلين لله رب العالمين ١٤٣
بيوت صائمة لله رب العالمين ١٥٨

بيوت يُتلى فيها كتاب الله ١٦٦
بيوت يذكر فيها اسم الله كثيرًا ١٧٠
بيوت تدعو ربها ١٨٧
بيوت شاكرة لله رب العالمين ١٩٣
بيوت حامدة لله رب العالمين ١٩٥
بيوت تائبة من الذنوب والمعاصي ٢٠١
بيوت دائمة الاستغفار لربها ٢١١
بيوت يزكي أهلها نفوسهم ٢١٨
بيوت قائمة على الصبر ٢٢١
بيوت صابرة على فقد الأزواج ٢٢٣
بيوت تصبر على فقد الأولاد ٢٣٥
الابتلاء في الأولاد ٢٣٧
نماذج لبيوت مسلمة فقدت بعضًا من الأولاد ٢٤٢
بيوت ذاكرة للموت وقاصر أملها ٢٥٣
بيوت ثابتة عند الفتن ٢٥٨
بيوت تتثبت من الأخبار والشائعات ٢٦٠
بيوت مهاجرة لله ورسوله ﷺ ٢٦٥
بيوت قائمة على مكارم الأخلاق ٢٦٧
١ ـ الإحسان وحسن الخلق ٢٦٨
٢ ـ العدل ٢٧٠
٣ ـ الكرم والجود والإيثار ٢٧٦
٤ ـ المحبة وحسن التصرف ٢٧٧
٥ ـ الحلم والأناة والرفق والعفو ٢٨٠
٦ ـ الإيثار والمواساة ٣٠١
٧ ـ الصدق ٣٠٧
٨ ـ العفاف والتعفف ٣١٠
٩ ـ الحياء ٣٣٤
١٠ ـ الوفاء ٣٣٧

بيوت متأدبة بأدب النبوة ٣٤٠
١ ـ الأدب مع الوالدين ٣٤٠
٢ ـ آداب الطعام والشراب ٣٤٢
٣ ـ آداب السلام ٣٤٤
٤ ـ آداب الاستئذان ٣٤٧
٥ ـ آداب المجلس ٣٤٩
٦ ـ آداب الحديث ٣٥٠
٧ ـ آداب التهنئة ٣٥٣
٨ ـ آداب عيادة المريض ٣٥٥
٩ ـ آداب التعزية ٣٥٧
١٠ ـ آداب العطاس ٣٥٨
١١ ـ آداب التثاؤب ٣٦٠
١٢ ـ آداب الزيارة ٣٦٢
١٣ ـ آداب الضيافة ٣٦٤
١٤ ـ آداب النوم ٣٦٥
بيوت قائمة على الحقوق ٣٦٧
١ ـ حقوق الوالدين ٣٦٧
٢ ـ الحقوق بين الزوجين ٣٦٩
٣ ـ حقوق الأولاد ٣٩٠
٤ ـ حقوق الجيران ٣٩١
٥ ـ حقوق الرحم والأقارب ٤٠٨
الخاتمة ٤١٢
فهرست الموضوعات ٤١٣